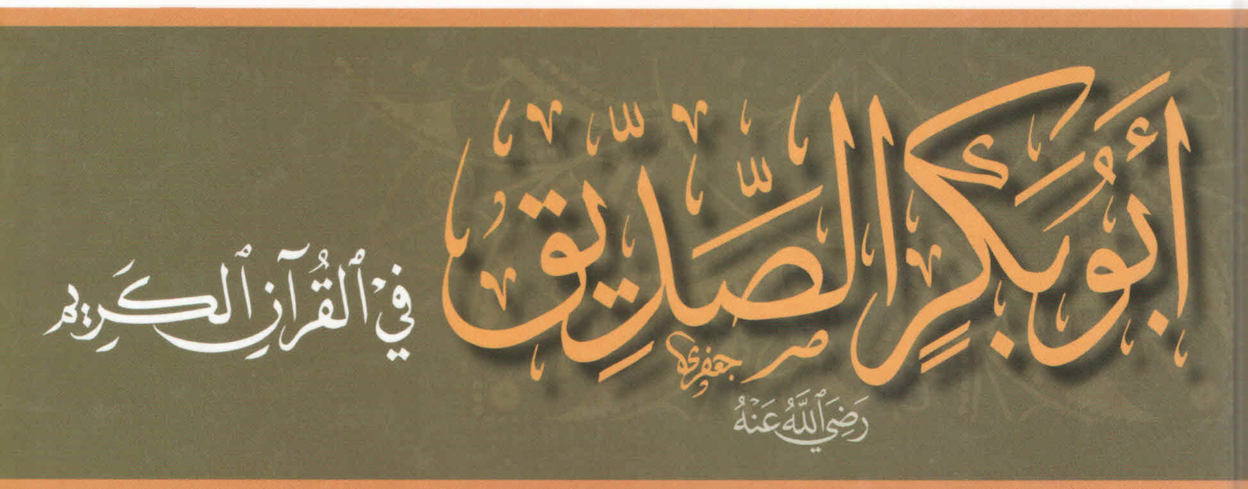
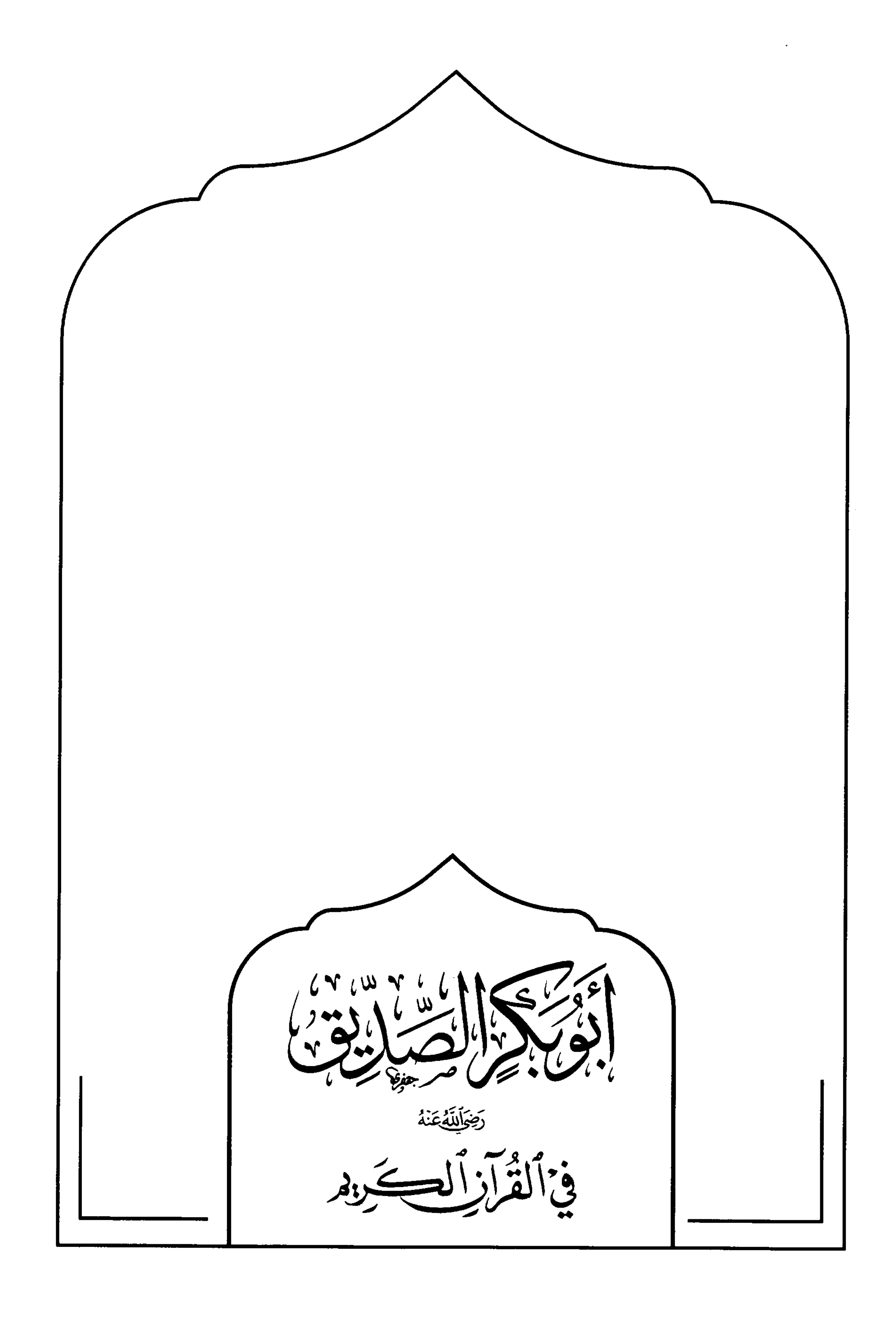
الشيخ الدكتور عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي
كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة أم القرى



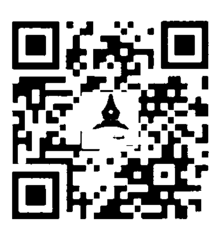

أبو بكر الصديق
رضي الله عنه
في القرآن الكريم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحميدي ، عبدالعزيز بن أحمد بن محسن
أبو بكر الصديق رضي الله عنه في القرآن الكريم
عبدالعزيز بن أحمد بن محسن الحميدي - مكة المكرمة ، 1441 هـ
336 ص؛ 17×24 سم
ردمك: 978-603-03-4235-8
1- أبو بكر الصديق، عبدالله بن ابي قحافة ، ت 13 هـ 2- الخلفاء الراشدون أ. العنوان
ديوي 239,9 1441/9058

رقم الإيداع: 1441/9058
ردمك: 978-603-03-4235-8

الطبعـة الأولى (1441هـ - 2020م)

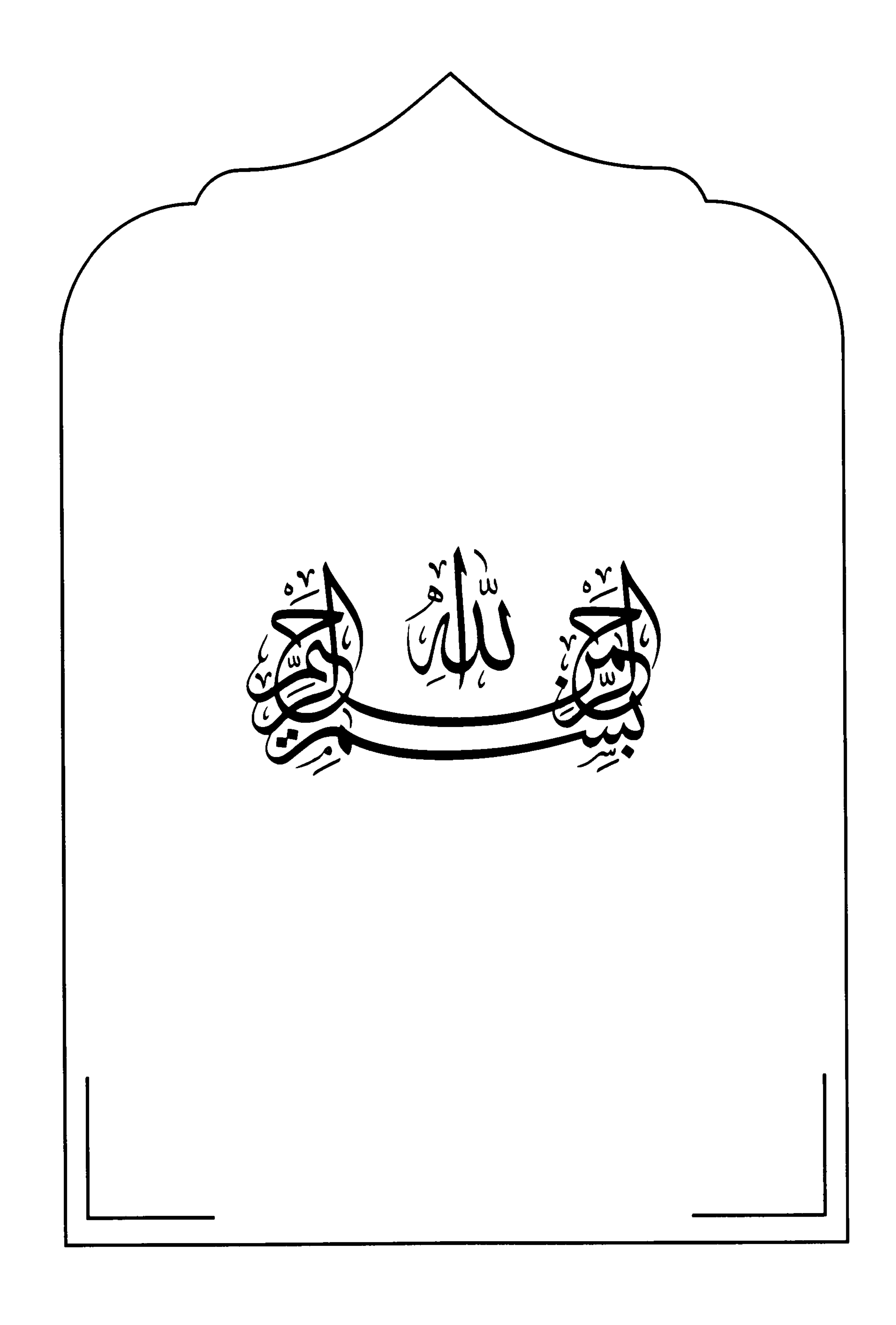
يمكنكم طلب الكتب عبر
متجرنـا الإلكتروني



حيثما كنت يصلك طلبك



dar.taibagreen123
dar.taiba
@dar_tg
dar_tg
dartaibagreen@gmail.com
yyy.01@hotmail.com
0125562986
0550428992
مكـة المكرمـة - العزيزيـة - خلف مسجد فقيـه


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، أما بعد.

فهذا كتاب وفقَ الله تعالى لجمعه وتأليفه وكَتْبِه ورسمه: فللّه وحده الحمد، وله الثناء الحسن. وهو في بيان القيمة الجليلة العظيمة التي آتاها الله ﷻ لأشهر وأفضل من صحب نبيًّا من الأنبياء، إنه في فضل وقيمة الصِّدِّيق خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قُحافة القرشي ثم التيمي ﵁ فهو بحق خير صاحب لخير نبي ﷺ.

وتقوم فكرة هذا الكتاب على بيان الحضور الكبير والشريف للصِّدِّيق في القرآن العظيم. وذلك من خلال مايلي:

[١] أسباب النزول لعددٍ من الآيات الكريمات.

[٢] كون الصِّدِّيق هو المقصود عينًا، وحصرًا ببعض آيات الكتاب الكريم.

[٣] كونه هو المقصود بعددٍ من الآيات: لأنه رأس المؤمنين الداخلين معه في حكم الآيات تبعًا واقتداءً.

[٤] تفسير الصديق للآيات الكريمة خصوصًا التي أشكل على غيره من الصحابة ﵃ فهمها واستحضارها والاستشهاد بها.

[٥] تفسير السلف من الصحابة والتابعين لعددٍ من الآيات الكريمات بأن المراد والمقصود بها أبو بكر﵁.

وغير ذلك من المقاصد الشريفة، مما يدل على ذلك الحضور الجليل لهذا الرجل العظيم الصّديق ﷺ في كتاب الله تعالى.

وقد جعلتُ هذا الكتاب على مقدمةٍ وبابين رئيسيَّين وخاتمة:

الباب الأول: أبو بكر الصديق ﷺ القامة والقيمة . وفيه أربعة فصول:

الفصل الأوَّل: خصائص أبي بكر الصديق ﷺ.

الفصل الثاني: وِلاية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الفصل الثالث: أبو بكر الصديق ﷺ ومقام الإمامة والخلافة.

الفصل الرابع: أبو بكر الصديق ﷺ وقضية ميراث النبي ﷺ.

الباب الثاني: أبو بكر الصديق ﷺ في القرآن الكريم.

ورتَّبْتُ هذا الباب بالأرقام حسب الآيات الكريمات المراد النظر فيها والتزمتُ ترتيب المصحف الشريف في السّوَر والآيات.

- ثم خاتمة فيها مقاصد ونتائج الكتاب.
- ثم قائمة المصادر والمراجع.
- ثم الفهارس.

وبالله التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد بن محسن الخميدي

كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

مكة المعظمة - ١٤٤١/٦/٢٥هـ

Abdulazeza678@gmail.com

الباب الأول

أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه
القامة والقيمة

في هذا الباب سأذكر القيمة العظيمة والمنزلة الجليلة لأبي بكر الصديق ﷺ في الإسلام،

وهو في أربعة فصول على النحو التالي:

- ✓ الفصل الأول: خصائص أبي بكر الصديق ﷺ.
- ✓ الفصل الثاني: ولاية الأنبياء.
- ✓ الفصل الثالث: أبو بكر الصدّيق ﷺ ومقام الإمامة والخلافة.
- ✓ الفصل الرابع: أبو بكر الصدّيق ﷺ وقضية ميراث النبي ﷺ.

الفصل الأول

خصائص أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ

أولا: السمة الرئيسية لمناقب الصديق.

لو تأملت المناقب العظيمة والفضائل الهائلة الثابتة للصّدّيق الأكبر أبي بكر لوجدتها في الغالب خصائص لم يشركه غيره فيها.

وقد رتب الإمام البخاري -رحمه الله- الأحاديث في فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ترتيبًا يشعر بالخصوصية وبأنه ﷺ قد انفرد بتلك المناقب وتميز بها ولم يشركه غيره فيها. وهاك ترتيب الإمام البخاري:

بدأ البخاري ذلك بقوله: باب مناقب المهاجرين وفضلهم، منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي ﷺ وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٤٠]، قالت عائشة وأبو سعيد وابن عباس ﷺ: «**وكان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار**».

ثم أسند حديث البراء عن أبي بكر في قصة الهجرة والغار[١].

ثم حديث أنس عن أبي بكر: قلت وأنا في الغار: «**لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال النبي ﷺ: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟»**»[٢].

---

(١) حديث رقم (٣٦٥٢).

(٢) حديث رقم (٣٦٥٣).

فاجتمعت لأبي بكر هذه الشهادات الجليلة بأنه صاحب رسول الله ﷺ ورفيقه في سفر الهجرة وقرينه في الغار: شهادة الله ﷻ وكفى بالله شهيدًا، وشهادة النبي ﷺ، وشهادة الصحابة، واتفاق الجن والإنس على ذلك.

ثم بوّب البخاري بعده فقال: باب قول النبي ﷺ: **«سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر»**. قاله ابن عباس ﵄.

ثم أخرج حديث أبي سعيد الخدري: «**خطب رسول الله ﷺ وقال: «إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله»**، قال أبو سعيد: **فبكى أبو بكر: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيّر، فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيّر، وكان أبو بكر أعلَمَنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن أَمَنَ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذًا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوّة الإسلام ومودّته، لا يبقينَّ في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر»**[1].

وفي هذا من خصائص الصدّيق ﷺ أنواع:

الأوَّل: علمه بأحوال النبي ﷺ ومراده وفحوى كلامه، فشهد له أهل المسجد وهم الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ بأنه أعلمهم بأحوال رسول الله ﷺ ومراده، فتأمل قول أبي سعيد الخدري: «وكان أبو بكر أعلمنا» وفي رواية: «أعلمنا به».

الثَّاني: تعلقه الروحي وانجذابه النفسي لرسول الله ﷺ: وذلك أنه لما فهم أن النبي ﷺ راحل هاجه الوجد فبكى، وهذا يشبه إلى حدٍ كبير بكاء فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لما أسَرَّ لها أبوها أنه مقبوض في مرضه ذلك فبكت، ولسان حالها

---

(١) حديث رقم (٣٦٥٤).

وحال أبي بكر:

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أُحاذرُ.

الثَّالث: إعلان النبي ﷺ بِخُلَّة أبي بكر له لولا المانع: **«لو كنت متخذًا خليلا غير ربي».**

الرَّابع: إعلان النبي ﷺ أن أبا بكر أفضل أصحابه وأمنُّهم في صحبته وماله.

الخامس: أمره ﷺ بتخصيص أبي بكر بسد الأبواب المشرعة إلى المسجد ما خلا باب أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي قوله: «ولو كنت متخذًا خليلا...الخ» منقبة عظيمة لأبي بكر لم يشاركه فيها أحد»[١].

وقال أيضًا: «قال الخطابي وابن بطال وغيرهما: في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة، لا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي ﷺ في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر»[٢].

وقال الحافظ أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «فيه دليل على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ كان أبا بكر، إذ المصطفى ﷺ حسم من الناس كلهم أطماعهم في أن يكونوا خلفاء بعده غير أبي بكر»[٣].

بعد هذين البابين اللذين بوّب بهما البخاري في ذكر بعض وأهم خصائص

---

(١) فتح الباري (١٤/١٨٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/٢٧٦).

الصديق، **بوّب البخاري فقال:** باب: فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ. وفي هذا الباب ذكر عددًا من الأحاديث في فضائل الصديق ﷺ[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ما ثبت من فضائل أبي بكر وعمر فإن كثيرًا منها خصائص لهما لا سيما فضائل أبي بكر؛ فإن عامتها خصائص لم يشركه غيره فيها»[(٢)].

وقال أيضًا: «قد عُلم بالنقل المتواتر العام أنَّه لم يكن أحد عند النبي ﷺ أقرب إليه ولا أخص به ولا أكثر اجتماعًا به ليلا ونهارًا سرًا وعلانية من أبي بكر، ولا كان أحد من الصحابة يتكلم بحضرة النبي ﷺ قبله؛ فيأمر وينهى ويخطب ويفتي ويقرّه النبي ﷺ على ذلك راضيًا بما يفعل»[(٣)].

وقد كان أبو بكر ﷺ أعلم الصحابة بأحوال رسول الله ﷺ الخاصة، وآمنهم على سِرِّ النبي ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ يُسِرُّ إلى صاحبه الخاص وصِدِّيقه أبي بكر ﷺ بما لم يُسِرُّ لغيره،

ففي صحيح البخاري من حديث الزهري قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر: أنَّه سمع عبد الله بن عمر يحدث: **أن عمر بن الخطاب حين تَأَيَّمَت حفصة بنت عمر من خُنَيس بن حذافة السهمي- وكان من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فتوفي بالمدينة - فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه**

---

(١) حديث (٣٦٥٥) و (٣٦٥٦) و (٤٦٥٧) و (٣٦٥٨) و (٣٦٦٠) و (٣٦٦١) و (٣٦٦٢) و (٣٦٦٣) و (٣٦٦٤) و (٣٦٦٥) و (٣٦٦٦) و (٣٦٦٧) و (٣٦٦٨) و (٣٦٦٩) و (٣٦٧٠) و (٣٦٧١) و (٣٦٧٢) و (٣٦٧٣) و (٣٦٧٤) و (٣٦٧٥) و (٣٦٧٦) و (٣٦٧٧) و (٣٦٧٨).

(٢) منهاج السنة (٥/٧).

(٣) المصدر السابق (٥/٤٩٢،٤٩٣).

حفصة فقال: سأنظر في أمري. فلبثتُ ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. فقال عمر: فلقيت أبا بكر الصَدّيق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر. فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ بشيء. وكنتُ أَوْجد عليه منّي على عثمان. فلبثتُ ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه. فلقيني أبو بكر فقال: لقد وجدتَ عليّ حين عرضتَ عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا. قال عمر: قلت: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَ إلا أنِّي كنتُ علمتُ أنَّ رسول الله ﷺ قد ذكرها: فلم أكن لأُفشيَ سِرَّ رسول الله ﷺ. ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولعلَّ اطلاع أبي بكر على أن النبي ﷺ قصد خطبة حفصة كان بإخباره له ﷺ إمَّا على سبيل الاستشارة وإمَّا لأنَّه كان لا يكتم عنه شيئًا مما يريده حتى ولا ما في العادة عليه غضاضة، وهو كون عائشة ابنته عنده، ولم يمنعه ذلك من إطلاعه على ما يريد لوثوقه بإيثاره إياه على نفسه. ولهذا أطلع أبو بكر على ذلك قبل إطلاع عمر الذي يقع الكلام معه في الخطبة»[٢].

وخصائص أبي بكر في ذلك تظهر من وجهين:

الوجه الأول: حجم هذه الفضائل وعظمها، فإنها مناقب ضخمة عظيمة.

الوجه الثاني: اختصاصه وانفراده دون بقية الصحابة بها.

وفي كلام عمر بن الخطاب يوم السقيفة ما يدل على انفراد الصديق بالمناقب التي ليست لغيره.

---

(١) رواه البخاري (٥١٢٢) (٤٠٠٥) (٥١٤٥).

(٢) فتح الباري (١٩/٢١٣).

وفيه: «قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقام عمر وقال: أَسَيْفان في غمد واحد؟ ثم أخذ بيد أبي بكر فقال: من له هذه الثلاثة؟

«إذ هما في الغار» من هما؟!

«إذ يقول لصاحبه» من صاحبه؟!

«لا تحزن إن الله معنا» مع من؟!

ثم بسط يده فبايعه، ثم قال: «بايعوه؛ فبايعه الناس»[1].

---

(١) مسند البزار (١/١٩٤) ، وانظر الدر المنثور للسيوطي (٤/٢٠١).

ثانيًا: كونه أول المسلمين بعد رسول الله ﷺ

لا ريب أن أبا بكر رضي الله عنه كان دائم السبق إلى تصديق رسول الله ﷺ بلا تردد أو تلعثم، لا يخفى ذلك إلا أعمى البصر مظلم البصيرة؛ لهذا صار وصفه واسمه الصِّدِّيق، فهو بحق أول الرجال سبقًا إلى الإسلام والتصديق في وقت كان سِنُّ علي رضي الله عنه لا يتجاوز العشر سنوات، في عِداد عيال النبي ﷺ.

قال الحسن بن زيد بن الحسن رحمه الله: «أسلم علي وهو ابن تسع»[١]. **قلت:** هذه شهادة آل بيته وهم أعرف.

وقال عروة بن الزبير: أسلم وهو ابن ثمان[٢].

وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر رحمه الله: قتل علي رضي الله عنه وهو ابن ثمانٍ وخمسين[٣].

قلت: هذا قول الباقر في سِنّ جَدِّه عليّ رضي الله عنه، وعليٌّ قُتل بالإجماع سنة ٤٠ من الهجرة: فعلى هذا يكون سِنُّهُ عند الهجرة ثماني عشرة سنة، ويكون سِنّه عند بعثة النبي ﷺ نحو خمس سنوات فقط.

وفي رواية أخرى للباقر: أنّ عليًّا استشهد وله ثلاث وستون سنة. **قلت:** وهذا أقرب وأصح. وشهد به ابنه محمد ابن الحنفية، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب[٤]: فعلى هذا يكون سِنّه عند بعثة النبي ﷺ نحو عشر سنوات لا غير.

وأخرج الحاكم في المستدرك بسند صحيح من طريق مسعر عن الحكم بن

---

(١) رواه عنه بالسند ابن سعد في الطبقات (٣/٢١).

(٢) الطبراني في المعجم الكبير (١٦٢).

(٣) أخرج عنه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٥).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب (١/١٣٦، ١٣٧).

عتيبة عن مقسم عن ابن عباس قال: **دفع النبي ﷺ الراية يوم بدر إلى عليّ وهو ابن عشرين سنة**[١]. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وهذا نص صريح أن عليًّا ﷺ كان سِنّه وقت البعثة ووقت إسلامه نحو سبع سنوات كما هو قول عروة السابق.

قال الذهبي: «هذا نص في أنه أسلم وله أقل من عشر سنين بل نص في أنه أسلم وهو ابن سبع سنين، أو ثمان وهذا قول عروة»[٢].

۞ هذا وقد شهد لأبي بكر الصّدّيق بالأسبقية إلى الإسلام والغَنَاء فيه والنصرة لرسول الله ﷺ خيرُ الشهود وأعدلُهم بأصح الأحاديث وأوثقِها نسوقها لك فيما يلي:

أول هؤلاء الشهود: سيد الأنبياء وخاتمهم ﷺ،كما هو ثابت عند البخاري من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: كان بين أبي بكر وعمر محاورة ... فذكر الحديث، **وفيه قول النبي ﷺ : «إن الله ابتعثني إليكم فقلتم جميعًا كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله: فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟! فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟»**[٣].

الشاهد الثاني: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: فقد شهد بقيام الصديق أبي بكر بالدفع عن رسول الله والذب عنه في وقت لم يكن له من أهله ولا أصحابه نصير ولا ظهير بمن فيهم عليٌّ نفسه لصغر سنه إذ ذاك.

أخرج البزار من رواية محمد بن عقيل بن أبي طالب **عن عليّ** ﷺ **أنه خطب فقال:**

---

(١) المستدرك (٣/١١١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) صحيح البخاري (٣٣٦١ ، ٤٦٤٠).

من أشجع الناس؟ قالوا له: أنت: فقال: أمَا إِنّي ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أشجع الناس: أبو بكر لقد رأيتنا بمكة وقد اجتمع المشركون على رسول الله ﷺ وهو وحده فجعلوا يؤذونه: هذا يخنقه، وهذا يضربه، وهذا يتلتله، فوالله ما قام منا أحد يدفع عنه، إذ أقبل أبو بكر يهرول فجعل يدفعهم عنه ويضرب هذا ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله. ثم بكى علي رضي الله عنه ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال عليّ: والله لساعة من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وأبو بكر رجل يعلن إيمانه»[١].

أين أهل التشيع من هذه الشهادة الصادقة الكريمة من أمير المؤمنين أبي الحسن علَى منبر الكوفة وهو الخليفة بين شيعته وأنصاره بلا رهبة ولا رغبة والناقل لها ابن أخيه، فما الحامل له على هذه الشهادة أتقية هذه أم أنتم لا تعقلون؟ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥﴾ [الطور: ١٥]، إنها شهادة صادقة الباعث لها تقوى الله رب العالمين وإظهار الحق المبين، فرضي الله عن أمير المؤمنين.

الشهادة الثالثة: شهادة أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه أحد السابقين الأولين الكبار، وهو مرضي عند الشيعة ومن أعظم من شايع وناصر أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه فلا مجال لرد شهادته ولا الطعن فيه.

أخرج البخاري في الصحيح عن همام بن الحارث قال: **قال عمار بن ياسر: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أَعْبُدٍ وامرأتان وأبو بكر»**[٢].

---

(١) مسند البزار (٣/ح٧٦١) وقال: «وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن عليّ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد»، وانظر مجمع الزوائد (٩/٤٦)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/١٦٨).

(٢) البخاري (٣٨٥٧، ٣٦٦٠).

أما المرأتان ففسروهما بخديجة أم المؤمنين ﵂ زوج النبي ﷺ، والثانية أم أيمن بركة الحبشية إحدى حاضنات النبي ﷺ. وأمَّا أبو بكر : فإنه أبو بكر، وأمَّا الأعبد: فهم بلال بن رباح وكان إسلامه على يد أبي بكر واشتراه من أمية بن خلف وأعتقه، وأمَّا الآخر: فزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وأمَّا الثالث: فعامر بن فهيرة مولى أبي بكر أسلم على يد أبي بكر واشتراه وأعتقه، وأمَّا الرابع: فأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية أسلم على يد أبي بكر واشتراه وأعتقه، وأما الخامس: فيحتمل أن يكون عمارًا نفسه[١].

فكما ترى عاد الأمر كله إلى أبي بكر ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي هذا الحديث، أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقًا»[٢].اهـ

الشهادة الرابعة: شهادة الراكب المهاجر، أحد القدماء، رحل إلى رسول الله ﷺ أول ما ظهر، وهو عمرو بن عَبَسة السلمي ﷺ.

فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: **قلت لعمرو بن عبسة السلمي: بأي شيء تُدْعى ربع الإسلام؟ فقال: إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة ولا أرى الأوثان شيئًا، ثم سمعت الرجال تخبر أخبارًا بمكة وتحدث أحاديث فركبت راحلتي حتى قدمت مكة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مستخف، وإذا قومه عليه جرآء، فانطلقت حتى دخلت عليه، فقلت: ما أنت؟ قال: نبي، قلت: وما نبي؟ قال: رسول الله، قلت: آلله أرسلك؟ قال: نعم، قلت: بأي شيء؟ قال: بتوحيد الله لا تشرك به شيئًا، وكسر الأوثان، وصلة الأرحام، قلت: فمن معك؟ قال: حر**

---

(١) انظر فتح الباري (١٤/١٥٥).

(٢) المصدر السابق.

وعبد، قال عمرو بن عبسة: فإذا معه أبو بكر بن أبي قحافة وبلال...»[١] الحديث.

۞ هذا وقد عَمَد أهل التشيع إلى هذه الشهادات العظيمة فكذبوا بها واتخذوها وراءهم ظهريًّا، ثم لفقوا الروايات وافتروا الأكاذيب في إثبات أن عليًا ﷺ سبق الجميع إلى الإسلام، بل والصلاة بسنين عددًا، فلننظر فيما ذكره النسائي - رحمه الله - في كتاب الخصائص باعتباره أمثل ما عند القوم:

۞ الرواية الأولى:

قال النسائي: ذكر خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وذكر صلاته قبل الناس، وأنه أول من صلى من هذه الأمة، ثم روى هذا الخبر من طريق شعبة عن سلمة بن كُهيل قال: سمعت حَبَّة العُرني قال: سمعت عليًّا يقول: «أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ»[٢].

وحَبَّة: هو ابن جُوَين العُرني الكوفي، ليس بشيء، كان غاليًا في التشيع واهي الحديث[٣]، وهو الذي افترى: أن عليًّا شهد معه صفين ثمانون بدريًا، وهذا الكذب الصراح[٤]، حتى النسائي الذي أخرج حديثه هذا ضعفَّه[٥].

۞ الرواية الثانية:

أخرج النسائي من حديث شعبة عن عمرو بن مُرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم

(١) أخرجه بطوله مسلم في الصحيح (٥٦٩/١)، وأحمد (١١٢/٤)، والحاكم (٦٦/٣).

(٢) السنن الكبرى (٨٣٣٢)، وابن أبي شيبة (٦٥/١٢)، ومسند أحمد (١١٩١).

(٣) المجروحين لابن حبان (٢٦١/١).

(٤) العلل لابن الجوزي (٤٦١/٢).

(٥) التهذيب (٤٨٩/١).

قال: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب[(١)].

وهذه الرواية فيها علل:

العلة الأولى: أبو حمزة هذا هو طلحة بن يزيد الأيلي أبو حمزة الكوفي مولى قرظة بن كعب الأنصاري، لم يرو عنه غير عمرو بن مرة الجملي، كذا قال يحيى بن معين. لكن البخاري أخرج له حديثًا واحدًا في الصحيح من روايته عن زيد بن أرقم أيضًا ومن رواية عمرو بن مرة عنه أيضًا في موالي وأتباع الأنصار.

وقد بيّن البخاري علته: وهو الاختلاف في وصله وإرساله؛ فأخرج من رواية غندر عن شعبة عن عمرو بن مرة: سمعت أبا حمزة عن زيد بن أرقم: **قالت الأنصار: يا رسول الله...الحديث**[(٢)].

ثم أخرجه من رواية آدم بن أبي إياس بأعلى درجة عن شعبة عن عمرو بن مرة: سمعت أبا حمزة رجلا من الأنصار: **قالت الأنصار...الحديث**[(٣)].

وفي كل من الروايتين: قال عمرو فذكرته لابن أبي ليلى فقال: قد زعم ذلك زيد، قال شعبة: أظنه زيد بن أرقم. وبكل حال: فأبو حمزة لا يكاد يعرف، وقد وثقه ابن حبان.

العلة الثانية: الاختلاف فيه على شعبة، وقد وضح النسائي نفسه هذا فقال: "ذكر اختلاف الناقلين لهذا الخبر عن شعبة"[(٤)].

ووجه الاختلاف من جهتين:

---

(١) السنن الكبرى (٨٣٣٣)، والترمذي (٣٧٣٥)، ومسند أحمد (١٩٢٨١).

(٢) حديث رقم (٣٧٨٧).

(٣) حديث رقم (٣٧٨٨).

(٤) السنن الكبرى (٧/٤٠٧).

الجهة الأولى: اتفق كل من محمد بن جعفر غُندر، وعبد الرحمن بن مهدي، وابن إدريس عن شعبة على روايته بالعنعنة في كل طبقات السند، وانفرد خالد بن الحارث عن شعبة بالتصريح بسماع عمرو من أبي حمزة، وسماع أبي حمزة من زيد بن أرقم.

الجهة الثانية: اتفاق غندر، وابن مهدي، وابن إدريس عن شعبة: بذكر الإسلام فقط «أول من أسلم علي»، وانفرد ابن الحارث بلفظ: «أول من صلى مع رسول الله ﷺ عليّ»، وهذا اضطراب واضح وخلل ظاهر؛ فما دخل الصلاة هنا؟! فإن الصلاة بالإجماع إنما فرضت على النبي ﷺ وأمته ليلة المعراج، وذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، وبعد البعثة بنحو عشر سنوات وقد أسلم جمع كثير.

وإذا سلمنا بصحة الأثر وتجاوزنا تلك العلل، فما قاله زيد بن أرقم إنما قاله حسب علمه وظنه، وهو من أبناء الأنصار من صغار الصحابة لم يكن قد خُلق وقت البعثة وإنما ولد بعد ذلك، وأول مشاهده كان مؤتة قبل فتح مكة، فأين زيد وأين أيام البعثة الأولى؟! فيقدم عليه شهادات أولئك الشهود على تلك الفترة: النبي ﷺ، وعليّ نفسه، وعمار، وعمرو بن عبسة، وغيرهم.

وهنا تظهر حكمة جواب إبراهيم النخعي التابعي المشهور: فإن الإمام الترمذي بعدما أخرج قول زيد بن أرقم هذا[١] وقع في آخر الرواية: «**قال عمرو بن مرة: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال: أول من أسلم أبو بكر الصديق**».

۞ الرواية الرابعة:

أخرج النسائي: حديث سعيد بن خثيم عن أسد بن عبد الله البجلي عن يحيى بن عفيف قال: جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب،

(١) سنن الترمذي (٣٧٣٥).

فلما ارتفعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل القبلة، فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجدًا فسجدا معه، فقلت: يا عباس أمر عظيم. وفيه إخبار العباس أن الشاب هو محمد بن عبد الله والغلام عليّ والمرأة خديجة، وأن الله أمره بهذا وإقسام العباس: ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة»[١].

قلت: هذا حديث موضوع، قبّح الله واضعه، وفيه من أمارات الوضع والكذب ما لا يخفى: فمن المعلوم أن الصلاة إنما شرعت ليلة الإسراء والمعراج إلى السماء، وذلك بإجماعهم بعد البعثة بسنوات نحو العشر وقد أسلم عدد كبير من الصحابة، وهاجر من هاجر إلى الحبشة، والصلاة شرعت بإجماعهم ليلة الإسراء، وذلك بعد وفاة أم المؤمنين خديجة ﵂: فذكرها في هذا الخبر فيه ما فيه. ثم لا أدري ما هذه الصلاة التي بعد طلوع الشمس، ومتى كانت العرب في الجاهلية تعرف القبلة واستقبالها، وأكبر ظني أن واضع هذه الفرية أراد أن يحاكي حديث عمرو بن عبسة الراكب المهاجر السابق ذكره -وفيه سابقة أبي بكر- بهذه القصة الملفقة، ولكن أبى الله إلا أن يفضح الكذابين.

وشيخ النسائي في هذا الحديث هو محمد بن عبيد الكوفي لم يوثقه إلا النسائي، قال: لا بأس به. وسعيد بن خثيم هو الهلالي أبو معمر الكوفي شيعي. ذكره ابن عديّ في الكامل. وقال: أحاديثه ليست محفوظة. ولكن وثقه ابن معين[٢]. أمّا

---

(١) السنن الكبرى (٨٣٣٧)، والحاكم (١٨٣/٣).

(٢) التهذيب (٣٠٣/٢).

أسد بن عبد الله البجلي فقال عنه البخاري: لم يتابع في حديثه[١]. والأظهر أنه مجهول ليس له إلا هذا الحديث الواحد عند النسائي في الخصائص؛ لذلك قال ابن عدي: معروف بهذا الحديث وما أظن له غير هذا إلا الشيء اليسير. وله أخبار تروى عنه، فأما المسند من أخباره فهذا الذي ذكرته يعرف به[٢].

فإن برئ أسد هذا من وضع هذه القصة، فقد تلقفها من بعض الكذابين من الشيعة أو غيرهم وزوَّجها، ووافقت هوى شيعيًا عند سعيد بن خثيم فروجها، ووافقت هوى شيعيًا عند محمد بن عبيد شيخ النسائي فكذلك، ووافقت شيئًا عند النسائي فأثبتها في كتاب الخصائص.

وأمَّا يحيى بن عفيف يقال هو الكندي، فمجهول لا تعرف له رواية مطلقًا إلا هذه الفرية عن أبيه، وعنه أسد هذا فهو المتهم بوضعها، وإلا فمن يكون هذا المجهول الذي لا يُعرف؟! أمَّا عفيف فيقال الكندي، ويقال البجلي قيل هو صحابي، فإن أريد إثبات صحبته بهذا الحديث الموضوع فدون ذلك خرط القتاد، وإن كان شيء آخر فما أدري ما هو. ولقد أحسن الحافظ ابن حجر صنعًا فلم يضع ترجمة لعفيف هذا في الإصابة لأنَّ الأمر كما ترى.

۞ الرواية الخامسة:

أخرج النسائي حديث ابن فضيل: قال حدثنا الأجلح عن عبد الله بن أبي الهذيل عن عليّ قال: «ما أعرف أحدًا من هذه الأمة عَبَد الله بعد نبيها ﷺ غيري، عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين»[٣].

---

(١) التاريخ الكبير (١/ ٥٠).

(٢) الكامل (٣١٥).

(٣) السنن الكبرى (٨٣٣٩) . والحاكم (٣/ ١١٢)، وأدخله ابن الجوزي في كتاب الموضوعات (١/ ٣٤١).

وقد برَّأ الله تعالى أمير المؤمنين عليًّا من هذا الكلام المفترى الخارج عن المعقول كذلك؛ فلَئِنْ كان النبي ﷺ مكث يدعو إلى الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له سبع سنين ما استجاب له أحدٌ مطلقًا إلا عليّ وهو إذ ذاك صبي دون العاشرة، لئن كان ذلك كذلك ففيه أعظم الطَّعن في دعوة رسول الله ﷺ؛ حيث لم يستجب له أحد سبع سنين طباقًا.

وبالله ما أعظم هذه الفرية وأقبحها وأشدها إزراءً بآل بيت رسول الله ﷺ. كيف لا وهذا الادعاد فيه ما لا يخفى من الجحود لإسلام وإيمان الصديقة خديجة قبل كل أحد؟!. وكذلك بنات رسول الله ﷺ وعلى رأسهم فاطمة رضي الله عنهن جميعًا، وهل من المعقول أن يمكث النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام ولا يستجيب له أحد من قومه فضلا عن زوجه وبناته ولا يعبد الله معه أحد مدة سبع سنوات طباقًا إلا عليّ وهو إذ ذاك صبي دون العاشرة؟، وقد ردّ الله هذا الكذب الفاضح وبرّأ عليًّا منه. وإن عجبي لا يكاد ينتهي ممن وضع هذه الفرية التي فيها الإزراء بالنبي ﷺ وزوجه الصديقة الأولى خديجة وبناته ومعهن سيدة نساء العالمين وأصحابه الأوَّلين السابقين الصابرين، وعلى رأسهم الصِّدِّيق الأكبر أبو بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين.

ولِئِن كانت لا تثبت فضيلة عليّ ﷺ وعبادته لله ﷻ إلا بمثل هذا الكذب الفاضح ففي ذلك أعظم الطَّعن في عليّ نفسه ﷺ، وصدق أمير المؤمنين ﷺ عندما قال: «**يهلك فينا محبٌّ مفرط، أو مبغض مجحف**»[1]. وإنَّ قَدْر أمير المؤمنين عليّ ﷺ عندنا لأجل وأعظم، وحسن عبادته لأبرّ وأظهر من أن يحتاج معها إلى هذا الكذب الفاضح. **وإليك تحقيق هذه الرواية:**

---

(١) المستدرك (١٢٣/٣).

أمَّا الأجلح راوي هذه الفرية فهو يحيى بن عبد الله بن معاوية أبو حُجَيَّة الكندي، والأجلح لقب له، من شيعة الكوفة كان جاهلا: حتى **قال يحيى بن سعيد القطان:** ما كان الأجلح يفرّق بين عليّ بن الحسين والحسين بن عليّ. **وقال الإمام أحمد:** روى الأجلح غير حديث منكر. **بل قال النسائي نفسه عنه:** ضعيف ليس بذاك وكان له رأي سوء. **وقال ابن حبان عنه:** كان لا يدري ما يقول جعل أبا سفيان أبا الزبير. **وقال ابن سعد:** كان ضعيفًا جدًا[١].

وأمَّا عبد الله بن أبي الهذيل راوي هذا الخبر عن عليّ فهو العَنَزي أبو المغيرة الكوفي، ولقد تفنن الأجلح هذا في تركيب الأسانيد لهذا الخبر الواهي: فها هو عند النسائي يجعل الخبر عن عبد الله بن أبي الهذيل عن علي، من رواية ابن فضيل عنه، وهو محمد بن فضيل بن غزوان، فيه تشيع. وفي مستدرك الحاكم نجد الأجلح يركب سندًا آخر فيقول: عن سلمة بن كهيل عن حبّة بن جوين العُرني - أحد الهلكى - عن عليّ[٢].

وأمَّا الراوي عنه شعيب بن صفوان أبو يحيى الكوفي: كان صاحب سمر ليس حديثه بشيء[٣].

وقد أدرج الحاكم هذا الخبر في المستدرك، ولم يسنده ولا صححه ولا علق عليه بشيء، كذا في المطبوع من المستدرك، لكن في إتحاف المهرة الخيرة للحافظ ابن حجر ذكر الحديث نقلا عن الحاكم مسندًا هكذا: «ثنا أبو عمر الزاهد، ثنا محمد بن هشام المروزي، ثنا أبو إبراهيم الترجماني، ثنا شعيب بن صفوان عن

---

(١) تهذيب التهذيب (١/١٨٣).

(٢) المستدرك (٣/١١٢).

(٣) التهذيب (٢/٥٠٣).

الأجلح عن سلمة بن كهيل عن حبة العرني عن علي...»[١].

أما الحافظ الذهبي فقال: «هذا باطل لأن النبي ﷺ من أوَّل ما أُوحي إليه آمن به خديجة وأبو بكر وبلال وزيد بن حارثة مع عليّ قبله بساعات أو بعده بساعات، وعَبدوا الله مع نبيّه ﷺ فأين السبع سنين؟ ولعل السمع أخطأ فيكون أمير المؤمنين قال: عبدت الله ولي سبع سنين ولم يضبط الراوي ما سمع، ثم إن حَبّة العُرني شيعي جَلْد قد قال ما يُعلم بطلانه من أن عليًّا شهد معه صفين ثمانون بدريًّا، وذكره أبو إسحاق الجوزجاني فقال: غير ثقة، وقال الدار قطني وغيره: ضعيف، وشعيب بن صفوان والأجلح متكلم فيهما»[٢].اهـ

---

(١) إتحاف المهرة الخيرة (١١/٥٤٠).

(٢) تلخيص المستدرك (٣/١١٢).

ثالثًا: لقب الصِّدِّيق.

منذ فجر الإسلام وإشراق نوره على الأرض وإلى اليوم بل إلى أن تخلو الأرض من المؤمنين مازالت أَلْسُن المؤمنين الذين يتقون الله رب العالمين تلهج بهذا الاسم البرّاق الجميل «الصِّدِّيق» حكرًا إيمانيًا ووصفًا ربانيًا لأشهر من صحب نبيًّا على الإطلاق، إنه أبو بكر الصديق. حتى غلب هذا الاسم الإيماني الجليل على اسمه الحقيقي: فلو سألت أبناء المسلمين وأفرادهم وعوامهم ما اسم أبي بكر؟! لقالوا: «الصديق»، ويختفي في شعاع نور وبهاء هذا الاسم الجميل اسمه الحقيقي. عبد الله بن عثمان أو عبد الله بن أبي قحافة.

مِنْ تَلَظِّي لُمُوعِه كادَ يَعْمى كادَ مِنْ شُهْرَةِ اسمِهِ لا يُسَمَّى.

فهو اسم سماه به رسول الله ﷺ وتلقاه بالتصديق عباد الله المؤمنون، وكرهه ورفضه من لا خلاق له في الدنيا والدين، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آيات الله وما أنذروا هزوًا.

أخرج البخاري وغيره عن أنس بن مالك ﷺ قال: **صعد النبي ﷺ أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان. فرجف بهم فقال: «اثبت أُحُد فإنما عليك نبيٌّ وصِدّيقٌ وشهيدان»**(١).

وأخرج أحمد وغيره من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ: **«أن النبي ﷺ أعطاه أرضًا وأعطى أبا بكر أرضًا، فذكر خلافًا بينه وبين أبي بكر في عِذْق نخلة. فقدم ربيعة على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «مالك وللصدّيق؟» فذكر القصة. فقال النبي ﷺ: أجل فلا ترد عليه. ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر. فقلت.**

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٣٦٧٥).

فولَّى أبو بكر وهو يبكي»[١]. وفيه قول ربيعة في وصف أبي بكر: **«هذا أبو بكر ثاني اثنين، هذا ذو شيبة المسلمين»**.

وأخرج الترمذي وابن ماجه وغيرهما: **عن عائشة ﵂ قالت: «يا رسول الله** ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] **أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف أن يعاقبه الله؟ قال: «لا يا ابنة الصدّيق ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل الله منه»**[٢].

بل إنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب نفسه شهد بذلك شهادة صدق وحق: فقد أخرج الحاكم والطبراني **عن علي بن أبي طالب ﷺ: «أنه كان يحلف بالله أن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء الصدّيق»**[٣].

وإنَّ هذا الحق المبين لم يُعجِب رواة الشيعة فلجؤوا إلى أسلوبهم المعهود فكذبوا بهذا الحق المبين، مع أن عليًا ﷺ قد أقسم بالله عليه، وهو الصادق البار وإن لم يقسم: فذهبوا يُرَكِّبُون الأسانيد المظلمة، ويلفقون الروايات المفتريات ليخلعوا بالكذب والبهتان لقب «الصِدِّيق» على عليّ ﷺ.

من ذلك ما أخرجه النسائي في الخصائص من طريق العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عبّاد بن عبد الله قال: قال عليّ: «أنا عبد الله وأخو رسول الله

---

(١) أخرجه أحمد (٥٨/٤)، والحاكم (١٧٢/٢ ، ١٧٤) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) الترمذي (٣١٧٥) ، وابن ماجه (١٤٠٤/٢)، ومسند أحمد (١٥٦/٦، ٢٠٥).

(٣) له طرق منها عند الحاكم (٥/٣) من طريق شعبة ومسعر كلاهما عن عمرو بن مُرة الجملي عن أبي البختري واسمه سعيد بن فيروز عن علي «أن النبي ﷺ سأل جبريل من يهاجر معي؟ قال: أبو بكر الصديق» وسنده صحيح، قال الحاكم: صحيح الإسناد والمتن، وله طريق أخرى عند الحاكم (٦٢/٣) . وله طرق أخرى عند الطبراني. ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٤١/١٤) وقال: رجاله ثقات.

ﷺ وأنا الصّدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب، صليت قبل الناس بسبع سنين»[١].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحديد: ١٩]، ونحن نشهد أن أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب من خيار عباد الله الصّدّيقين، ومن أرفع السابقين الأوّلين، ومن أهل الجنة بيقين. وهو في مقامه الرفيع ليس في حاجة أن ينسب له هذا الزور المبين؛ **فهذا حديث موضوع ولا شك، والمتهم به عبّاد بن عبد الله هذا:** فهو عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي، لم يرو شيئًا إلا هذا الخبر عن عليٍّ، ولا عنه إلا المنهال بن عمرو، **قال البخاري:** فيه نظر. **وضرب الإمام أحمد** على حديثه هذا عن عليّ، **وقال:** هو حديث منكر[٢]. فهو إذن من كذابي الشيعة، صنع هذا الحديث ونسبه لعليّ: قاتل الله الإفك والأفاكين.

وجاء كذاب آخر مجهول من محترقي الشيعة يُدعى أبا الخطاب، فركب سندًا آخر لهذه الرواية فقال: حدثنا نوح بن قيس قال: حدثنا سليمان أبو فاطمة عن معاذة العدوية عن عليّ[٣]...، وهو حديث لا يصح؛ فأبو الخطاب مجهول، وسليمان أبو فاطمة كَذَبَّه الأئمة، قال الجوزقاني: حديث باطل، وأبو الخطاب هذا مجهول مضطرب الحديث.

---

(١) السنن الكبرى (٨٣٣٨)، وابن ماجه (١٢٠).

(٢) التهذيب (٣/٦٤).

(٣) أخرجه الجوزقاني في الأباطيل والمناكير (١/١٤٩).

رابعًا: وفاة رسول الله ﷺ في حجرة عائشة ﵂ بين سحرها ونحرها.

اتفق الصحابة والقرابة والمسلمون أجمعون أن النبي ﷺ توفاه الله وهو في بيت زوجه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ﷺ وفي يومها، تُوفي ورأسه الشريف بين سحرها ونحرها، ودُفِن ﷺ في حجرتها الشريفة، فكان قبره الشريف في حجرة أم المؤمنين الصّدّيقة عائشة بنت صاحبه وصِدِّيقه أبي بكر ﷺ. والأحاديث في ذلك متواترة، والنصوص متضافرة لا تخفى إلا على من أعمى الله بصره وطمس بصيرته من محترقي أهل التشيع: حيث ذهبوا ينكرون هذا المعلوم بالضرورة وافتروا من أنواع الكذب ما لا يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا.

بوّب الإمام البخاري في أواخر المغازي من الجامع الصحيح: باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠]. وأخرج في هذا الباب ثلاثة وعشرين حديثًا منها:

- حديث القاسم بن محمد عن عائشة ﵂ **قالت: «مات رسول الله ﷺ ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي»**[(١)].
- وحديث عبد الله بن الزبير **عن عائشة: أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند إليَّ ظهره يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق»**[(٢)].
- وحديث ذكوان مولى عائشة **عن عائشة ﵂ قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفِّيَ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين**

---

(١) البخاري رقم (٤٤٣٨).

(٢) البخاري رقم (٤٤٤٠).

ربقي وريقه عند موته»(١).

- **وحديث عروة بن الزبير عن عائشة: «أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غدًا، يريد عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري وخالط ريقه ريقي»**(٢).

- **وحديث ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: «توفي النبي ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري فذهبت أُعَوِّذُه فرفع رأسه إلى السماء وقال: في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى...فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة»**(٣).

ضاق المنحرفون ذرعًا بهذه الخصوصية الجليلة لأم المؤمنين عائشة ﵂، فلم يطيقوا أن يجمع الله تعالى لها هذه الخصائص الجليلة فيتوفى النبي ﷺ في يومها وبيتها وبين سحرها ونحرها ويحمل ريقها معه إلى الدار الآخرة ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤]: فذهبوا يجادلون في ضوء النهار الساطع وفي هذا البرهان القاطع، فكذبوا به ودفعوه: لأن شيمتهم التكذيب بالصدق والدفع للحق: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الكهف: ٥٦]. ثم افتروا كعادتهم الإفك المبين، فركبوا

---

(١) البخاري رقم (٤٤٤٩).

(٢) البخاري رقم (٤٤٥٠).

(٣) البخاري رقم (٤٤٥١).

الأسانيد المظلمة. ولفقوا الروايات الواهية أن النبي ﷺ مات على صدر علي بن أبي طالب ﷺ.

ولندع التحقيق العلمي في كشف هذا الزور المبين لأحد أكابر العلماء المحققين وهو الحافظ الكبير علي بن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري - رحمه الله - مع شيء من التعليق للتوضيح.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وهذا الحديث[1] يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق: «أن النبي ﷺ مات ورأسه في حجر علي» وكل طريق منها لا يخلو من شيعي فلا يلتفت إليهم. وقد رأيت بيان حال الأحاديث التي أشرت إليها دفعًا لتوهم التعصب.

قال ابن سعد: ذكر من قال توفي في حِجر عليّ. وساق من حديث جابر. «سأل كعب الأحبار عليًا: ما كان آخر ما تكلم به النبي ﷺ؟ فقال: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة. فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء» **في سنده الواقدي وحرام بن عثمان وهما متروكان.**

وعن الواقدي عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعوا إليّ أخي فدُعِيَ له عليّ فقال: ادن مني. قال: فلم يزل مسندًا إليّ وإنه ليكلمني حتى نزل به وثقل في حجري فصحت: يا عباس أدركني فإني هالك. فجاء العباس فكان جهدهما جميعًا أن أضجعاه» **فيه انقطاع مع الواقدي وعبد الله فيه لين.** وبه عن أبيه عن علي بن الحسين: «قُبِض ورأسه في حجر عليّ» **فيه انقطاع.**

وعن الواقدي عن أبي الحويرث عن أبيه عن الشعبي: «مات ورأسه في حجر

---

(١) أي حديث عائشة السابق بمختلف رواياته.

عليّ» فيه الواقدي والانقطاع. وأبو الحويرث اسمه عبد الرحمن بن معاوية بن الحارث المدني. قال مالك: ليس بثقة، وأبوه لا يعرف حاله.

وعن الواقدي عن سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن أبي غطفان: سألت ابن عباس قال: توفي رسول الله ﷺ وهو إلى صدر عليّ قال: فقلت فإن عروة حدثني عن عائشة قالت: توفي النبي ﷺ بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: لقد توفي وإنه لمستند إلى صدر عليّ وهو الذي غسّله وأخي الفضل وأَبِي أَبَى أن يحضر» **فيه الواقدي، وسليمان لا يعرف حاله**، وأبو غطفان -بفتح المعجمة ثم المهملة- اسمه سعد وهو مشهور بكنيته وثقه النسائي.

وأخرج الحاكم في الإكليل من طريق حبّة العُرني عن عليّ: «أسندته على صدري فسالت نفسه» **وحبة ضعيف**»[(١)].انتهى كلام ابن حجر رحمه الله.

بقي حديث في هذا المعنى عند البزار، قال البزار: حدثنا غسان بن عبيد الله قال: نا يوسف بن نافع. قال: نا عبد الرحمن بن أبي الموالي عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: «توفي رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي»[(٢)]. **غسان بن عبيد الله: مجهول. ويوسف بن نافع: مجهول. وابن أبي الموالي: ربما أخطأ.**

وبعد فإن الفضل بيد الله ﷻ يؤتيه من يشاء من عباده، ولأمير المؤمنين عليّ ﷺ من الفضائل العليّة والمناقب السّنية ما أغناه الله ﷻ به عن أن يحتاج معه إلى الكذب والافتراء على الله ﷻ ورسوله ﷺ وعلى أمير المؤمنين نفسه للرفع من شأنه.

ومثل هذا التصرف لعمر الله فيه أعظم الحطّ من قدره والإزراء به: فكأنه

---

(١) فتح الباري (١٦/٢٧٢، ٢٧٣).

(٢) مسند البزار (٩/ح٣٨٨٦).

فقير من الفضائل فاقد للمناقب حتى يأتي هؤلاء الكذبة الأفاكون الإخباريون فيضعوا له المكذوبات لعلهم يرفعون من شأنه. والحق أنهم بذلك له شائنون شانئون.

وقد جمع أئمة أهل السنة الكبار قديمًا وحديثًا فضائل أمير المؤمنين علي ﷺ وحرروها، وفي طليعتهم إمام أهل السنة حقًا وشيخ الإسلام صدقًا **الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله**: حيث جمع كتابًا حافلا في فضائل الإمام علي وابنيه الحسن والحسين ﷺ، كما جمع كتابًا حافلا في فضائل عموم الصحابة[(١)]، وخص منه أبوابًا لفضائل أمير المؤمنين علي والحسن والحسين ﷺ، **بل إن الإمام أحمد، والإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي قالا**. كما قال غيرهم من الأئمة رحمهم الله: «ما رُوي لأحد من الفضائل ما رُوي لعلي بن أبي طالب ﷺ»[(٢)]. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله**: «وكذلك الإمام أحمد بن حنبل قد عُلم كمال محبته لرسول الله ﷺ ولحديثه، ومعرفته بأقواله وأفعاله، وموالاته لمن يوافقه، ومعاداته لمن يخالفه، ومحبته لبني هاشم، وتصنيفه في فضائلهم، حتى صنف: «فضائل عليّ والحسن والحسين» كما صنف: «فضائل الصحابة»[(٣)].اهـ

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) طبع في جزأين بتحقيق د. وصي الله عباس.

(٢) انظر فتح الباري (٢١٤/١٤).

(٣) منهاج السنة النبوية (١٢٥/٤).

الفصل الثاني

ولاية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

✿ أولا:

خلق الله ﷻ الناس وبثّهم في هذه الأرض وجعلها لهم مستقرًا ومتاعًا إلى حين، وجعل ﷻ عيشهم وعمارتهم للأرض على سنن اجتماعية تحكم وتنظم حركة البشر وتدافعهم فيها. وكان من جملة هذه السنن استحالة بقاء الناس وعيشهم هكذا أوزاعًا متفرقين يصدر كل واحد منهم عن رأيه.

هذا وقد قرر علماء الاجتماع أن الإنسان مدني بطبعه؛ يحب الاجتماع ويتعذر عليه العيش وحده. حتى صار التاريخ البشري كله رصدًا لحركة هذا الجنس البشري وقيام ممالكه ودوله وسقوطها وتعاقب الأمم وتدافعها.

قال عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله: «اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عُمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التَّوحش والتَّأنُّس والعصبيات وأصناف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من المُلْك والدُّول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العُمران بطبيعته من الأحوال .....»[1].اهـ

---

(١) المقدمة (٤٠).

وقد أراد الله ﷻ أن يكون الاجتماع هو سنة الوجود البشري وقد قضى ﷻ ذلك قبل أن يخلق أبا البشر آدم ﷺ فقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٦].

وهذه الآيات الكريمة من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ. ومن سننه التي أراد أن تكون القاعدة الناظمة لحركة الجنس البشري بعد وجوده على هذه الأرض، وهذا العلم أخرج الله ﷻ منه جانبًا وأظهره لملائكته كما في هذا الحوار المهيب الجليل في ملكوت السماء بين الله ﷻ علام الغيوب وبين ملائكته الكرام قبل وجود الجنس البشري بمدى لا يعلمه إلا الله ﷻ.

والكلمة المحورية في هذه الآيات الكريمة هي كلمة «خليفة»، واختيار الله ﷻ لها دون وصف البشرية أو الإنسانية في هذا المقام العظيم له دلالاته العظيمة التي لا تخفى.

ولأهل العلم بالتفسير في معنى «الخليفة» عدة تفاسير:

التَّفسير الأوَّل: أنه خليفة يخلف عن الله في الحكم بين عباده. نُقِلَ هذا عن بعض الصحابة[١]، وهو باطل لم يقل به أحد من الصحابة، ولم يصح عنهم.

قال الطبري رحمه الله: «وهذا إذا تدبّره ذو الفهم علم أن أوّله يفسد آخره، وأن آخره يبطل معنى أوّله ....»[٢]. ثم أفاض في إبطاله رحمه الله.

وقال ابن كثير رحمه الله: «هذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السُّدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة؛ فلعل بعضها مُدْرَج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة»[٣].اهـ

التَّفسير الثَّاني: يراد به خلافة آدم وبنيه لمن كان قبلهم في الأرض، والأرض كان يعمرها الجانُّ قبل آدم، وقد نُقل في هذا بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما[٤]، وهي روايات سقيمة ومنكرة من الإسرائيليات التي نُسبت إلى الصحابة وأُدرجت في كلامهم كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[٥].

التَّفسير الثَّالث: المراد بـ «خليفة» أن بني آدم عندما يعمرون الأرض يخلف بعضهم بعضًا في ذلك، وفي الحكم ومتعلقاته.

قال الإمام الطبري رحمه الله: «والخليفة: الفعيلة، من قولك: خلف فلان فلانًا في هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بعده، كما قال جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس: ١٤]، يعني بذلك:

---

(١) انظر تفسير الطبري (١/٤٥١).

(٢) المصدر السابق (١/٤٥٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٢٣٠).

(٤) انظر تفسير الطبري (١/٤٥٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/٢١٨).

أنه أبدلكم في الأرض منهم فجعلكم خُلفاء بعدهم. ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة لأنه يخلف الذي قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلفًا»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قوله ﷻ: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠]، يعُمّ آدم وبنيه، لكن الاسم متناول لآدم عينًا، كقوله ﷻ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤]، وقوله ﷻ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرحمن: ١٤]. والخليفة من كان خلفًا عن غيره»[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله: «قوله ﷻ: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠]: أي قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن وجيلا بعد جيل»[٣].اهـ

وللإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -رحمه الله- في الآية تفسيرٌ بديعٌ حيث قال: «قال الله تعالى ذكره للملائكة: إني أريد أن أخلق في الأرض خلقًا وأجعل فيهم خليفة، وليس لله يومئذ خلق إلا الملائكة والأرض خِلْوٌ ليس فيها خلق»[٤].

وعلّق الإمام الطبري على تفسير ابن زيد بن أسلم فقال: «ويحتمل أن يكون أراد ابن زيد أن الله أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة له، يحكم فيها بين خلقه بحكمه»[٥].اهـ

---

(١) تفسير الطبري (٤٤٩/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٣/٣٥، ٤٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢١٦/١).

(٤) تفسير الطبري (٢٣٧/١).

(٥) المصدر السابق.

ومن تفسير الإمام ابن زيد نأخذ فائدتين:

الفائدة الأولى: كانت الأرض خالية قبل عمارتها من قِبَل آدم عليه السلام وذريته فلم يكن بها خلق قبل ذلك فزالوا عنها ثم خلفهم البشر فيها كما اتجهت إليه بعض التفاسير.

والفائدة الثَّانية: في قوله: «وأجعل فيهم خليفة» بيان لسُنَّة من سنن التكوين القدرية القاضية بوجود البشر في تجمعات ولهم رؤوس وخلفاء وملوك يجتمع البشر عليهم.

فاجتمع بذلك في الإمامة والخلافة أمرين:

الأمر التقديري الكوني: فصار من ضرورات الوجود البشري المتصلة بتقدير الله الكوني بحكم الربوبية.

والأمر التشريعي الإلهي لحاجة البشر في الأرض إلى الإمام والخليفة والحَكَم فذلك من مقاصد الشريعة العظيمة؛ ولذلك شرع الله الشرائع والأحكام وأنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

✪ ثانيًا:

قال الله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٦ – ٢٤٧]، في هذه الآيات الكريمات مسائل عظيمة ولنا معها وقفات:

الوقفة الأولى:

كان قِوام بني إسرائيل يعود إلى وجود طائفتين فيهم عليهما يجتمعون وهما الأنبياء والملوك: أمَّا الأنبياء فيُعَلِّمون ويوجِّهون ويتلون الكتاب ويفسرونه للناس. وأمَّا الملوك فيحكمون ويحفظون السبل والثغور ويقيمون بين الناس العدل الذي به قوام الممالك.

وكان بين الأنبياء من بني إسرائيل وملوكهم تواصل وتشاور؛ فالملوك يستنصحون الأنبياء ويشاورونهم ويتخذونهم بطانة. والأنبياء يستعينون بالملوك على جمع الناس على كلمة الحق وتعبيدهم لله ﷻ: فلابد من الملوك الذين يجتمع عليهم الناس، ولابد من الأنبياء لميراث الكتاب وبقاء العلم والهداية، وبهذا قامت الأمم وسادت الدول.

قال الإمام وهب بن مُنَبِّه رحمه الله: «إنما كان قِوَام بني إسرائيل الاجتماع على الملوك وطاعةُ الملوكِ أنبياءَهم، وكان المَلِك هو يسير بالجموع؛ والنبي يُقوِّم له

أَمره ويأتيه بالخبر من ربه: فإذا فعلوا ذلك صلح أمرهم. فإذا عتت ملوكهم وتركوا أمر أنبيائهم فسد أمرهم»[١].

فبالملوك الذين يقودون ويسودون، وبالأنبياء الذين يعلمون ويوجهون كان أمر بني إسرائيل قائمًا ماضيًا.

وقد ذكَّر نبيُّ الله الكريم موسى بن عمران ﷺ قومَه بني إسرائيل بهذه النعمة العظيمة وحذرهم من كفرانها وعصيانها والتمرد على توجيه أنبيائهم والعصيان لملوكهم، قال ﷻ عن موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠ ﴾ [المائدة: ٢٠] يذكرهم عليه السلام بما فيه قوامهم: الأنبياء المعلمون الموجهون، والملوك الذين يقودون ويسوسون.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما مات نبي خلفه نبي. وإنه لا نبي بعدي**»[٢].

فالأنبياء مِنْ بني إسرائيل إليهم السياسة الشرعية: من التعليم والتوجيه ووراثة الكتاب، وإلى ملوكهم القيادة والسيادة وحفظ الأمر.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيًا يقيم لهم أمرهم. ويزيل ما غيّروا من أحكام التوراة. وفيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة. وينصف المظلوم من الظالم»[٣].اهـ

---

(١) تفسير الطبري (٦١١/٢، ٦١٢).

(٢) البخاري برقم (٣٤٥٥).

(٣) فتح الباري (٢٥٨/١٣).

قلت: وكذلك الأمر في أمتنا المسلمة: فإن جماع أمر الناس وصلاح حالهم وأمنهم يعود بعد فضل الله ﷻ إلى العلماء والأمراء: فالعلماء يوضحون للناس ميراث النبوة ويعلمون جاهلهم ويرشدون غافلهم ويفتونهم في أمور دينهم، والأمراء يجتمع عليهم الناس وتحفظ بهم الثغور وتقام بهم حدود الله ويأمن الناسُ بهم وبسلطانهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

الوقفة الثانية:

قوله ﷻ عن بني إسرائيل: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴿٢٤٦﴾﴾ فيه طلب من بني إسرائيل لنبيهم الذي كان فيهم أن يبعث لهم ملكًا يجتمعون عليه ويجاهدون معه، **وفيه فائدتان:**

الفائدة الأولى: أنهم لم يطلبوا من النبي الذي كان فيهم أن يجاهد بهم ويقاتل لأن ذاك ليس للأنبياء: إذ كان أمر النبي محصورًا في دعوتهم ونصحهم وإرشادهم.

والفائدة الثَّانية: أن الأمور العامة الكبار من شأن الملوك والأمراء، ومن ذلك إعلان الحرب والقتال أو المسالمة، وحفظ الثغور، وإقامة الحدود وأمن البلاد، ومعاقبة المجرمين، وتأمين العباد، وجباية الأموال وطرائق صرفها، وما يتبع ذلك من مصالح الناس الكبار، ولا يحسن ذلك إلا أن تجتمع عليهم الكلمة وتنعقد لهم البيعة وتستوثق لهم الولاية ويكون لهم شوكة وسلطة، وهذا يعطيك حكمًا مفاده ضرورة قيام سلطة على الناس من ملوك وأمراء ولابد لهم من بيعة واجتماع كلمة، كما يعطيك حكمًا مفاده أنَّ الأمور الكبار التي تمس حياة الناس ومعاشهم وأمنهم وسلمهم إنما مرجعها إلى ملوكهم وأمرائهم.

الوقفة الثالثة:

قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

هذه الآية تدل على ما تقدم تقريره من أن الملك والرآسة والولاية منحة يمنحها الله من يشاء من عباده؛ فوجب التسليم لأمر الله واختياره؛ فإن بني إسرائيل لما اعترضوا على اختيار الله طالوت ليكون عليهم ملكًا رد عليهم نبيهم بأن الله هو الذي اختاره لذلك، والله هو الذي يؤتي هذا المنصب من يشاء، فوجب التسليم والسمع والطاعة؛ لأن المنازعة لا تأتي إلا بالشر والفساد، والله هو الواسع العليم الذي يؤتي الملك من يشاء سبحانه وتعالى.

ولذلك اتفق أهل السنة والجماعة على أن من مَكّنه الله ﷻ وآتاه الملك والرآسة واستوثق له الأمر وتم له الحال واجتمع عليه الناس واجتمعت عليه الكلمة فهو خليفة شرعي وملك حقيقي؛ فوجب له المبايعة والسمع والطاعة في المعروف وعدم المنازعة والمفارقة، والله ﷻ يقول: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [النساء: ٥٤ – ٥٥].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «إن الملك بيد الله دون غيره: يؤتيه من يشاء فيضعه عنده ويخصّه به. ويمنعه من يشاء من خلقه. يقول: فلا تستنكروا يا معشر الملأ من بني إسرائيل أن يبعث الله طالوت ملكًا عليكم فلا تتخيروا على الله»[(١)].

---

(١) تفسير الطبري (٢/٦١٩).

ونقل الطبري عن الإمام وهب بن منبه قوله: **«الملك بيد الله يضعه حيث** يشاء ليس لكم أن تتخيروا فيه»[١].

ومما يدل على هذا المعنى ويؤكده بوضوح ويزيل كل لبس عنه حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله»**[٢]. أخرجه البخاري وترجم عليه: «باب بطانة الإمام وأهل مشورته»[٣].

والمقصود قوله: **«ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة»**؛ حيث سوّى بين بعث الأنبياء واستخلاف الخلفاء، وأعاد ذلك كله إلى فعل وأمر الله بجلاء، بل وفي إحدى روايات الحديث: **«ما بعث الله من نبي ولا بعده من خليفة»**: فوضح المراد والحمد لله.

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه البخاري برقم (٧١٩٨).

(٣) فتح الباري (٢٧/٢٢٠).

✿ ثالثًا:

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩].

كان العرب في جزيرتهم أيام الجاهلية قبل البعثة النبوية الكريمة أوزاعًا متفرقين وقبائل متناحرين لا يجمعهم إمام جامع، تقوم بينهم الحروب الطاحنة على الشاة والبعير والكلمة والكلمتين والانتصار للعصبيات، يعبدون الأوثان ويأكلون الخبيث من الطعام من ميتة ونحوها، ويئدون البنات ويقتلون أولادهم خشية إملاق، فأنقذهم الله ﷻ وأنقذ البشرَ جميعًا -وله الحمد والفضل والمنّة- ببعثة خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد ﷺ وأخرجهم ﷻ به من الظلمات إلى النور وهداهم بعد الجهالة وبصّرهم بعد الضلالة وجمعهم بعد الفرقة والتناحر، ثم أخرج الله ﷻ من هؤلاء العرب وممن آمن بدين الإسلام من غيرهم هذه الأمة الجديدة العظيمة الأمة الخاتمة للأمم الأمة المسلمة المؤمنة.

قال الله ﷻ: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

فارتفعت هذه الأمة بالإسلام والقرآن وبمحمد ﷺ، وصارت خير أمم الأرض وخير أمة أخرجت للناس، قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ

خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فلما صارت أمةً جامعة ظاهرة متماسكة ولها رأس عنه ينفذون وبأمره يأتمرون ذكر الله ﷻ في هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] ما به جماع أمر هذه الأمة المسلمة وضمان سيادتها وكُلِّيتها وجمعيّتها وهو طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وكذلك طاعة من يقوم بالأمر بعد رسول الله ﷺ فيما هو طاعة لله ورسوله ﷺ.

وهذه المقاصد الكبيرة قد نص عليها الإمام الكبير **محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله**. وذكر أنها سبب نزول هذه الآية الكريمة فقال رحمه الله: «وكانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة: فكانوا يمتنعون على الأمراء فأنزل الله هذه الآية يحثهم على طاعة من يُؤَمِّرهم الله عليهم والانقيادِ لهم إذا بعثوهم في السرايا وإذا وَلَّوْهم البلاد. فلا يخرجوا عليهم لئلا تفترق الكلمة»[١].

وفي الرسالة قال الشافعي رحمه الله: «فإن كل من كان حول مكة من العرب لم يكن يعرف إمارة. وكانت تأنف أن يُعطي بعضُها بعضًا طاعة الإمارة. فلما دانت لرسول الله بالطاعة لم تكن ترى ذلك يصلح لغير رسول الله ﷺ فأُمِرُوا أن يطيعوا أولي الأمر الذين أَمَّرهم رسول الله ﷺ لا طاعة مطلقة بل طاعة مستثناة فيما لهم وعليهم»[٢].اهـ

وقد نصّ كثير من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من المفسرين أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ ﴾ الأمراء والسلاطين.

---

(١) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٧/ ١٢٠). والقاسمي في محاسن التأويل (٣/١٨٥).

(٢) الرسالة (٨٠).

قال أبو هريرة ﷺ: «هم الأمراء»[١].

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «سألت أبي -هو زيد بن أسلم- عن هذه الآية فقال: هم السلاطين»[٢].اهـ وهو الذي اختاره **شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري؛ حيث قال رحمه الله:** «وأَوْلَى الأقوال بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة»[٣].

وقد قدمنا كيف كان الحال في بني إسرائيل من وجود الأنبياء فيهم لتعليمهم وتوجيههم ووجود الملوك لقيادتهم والحكم فيهم والولاية عليهم وحفظ بيضتهم، والعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في بني إسرائيل.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما مات نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأوَّل فالأوَّل وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»**[٤].

فقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف الأمر وجلّاه: حيث أخبر أن بني إسرائيل خلا فيهم الأنبياء، كلما مات نبي خلفه نبي: ليعلموهم أحكام التوراة، ثم أخبر أنه لا نبي بعده؛ لأنه خاتم الأنبياء ﷺ، ثم أخبر أنه إنما يخلفه في أمته من بعده العلماء والأمراء والسلاطين، يعقب بعضهم بعضًا، **فأمر بأمرين:**

الأمر الأول: وجوب الوفاء للخلفاء والملوك ببيعتهم الأوَّل فالأوَّل.

---

(١) تفسير الطبري (٤/١٥٠).

(٢) المصدر السابق (٤/١٥٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٣٤٥٥).

والأمر الثاني: أن نعطي هؤلاء الخلفاء والملوك حقهم من السمع والطاعة لهم والوفاء ببيعتهم. وعدم مخالفتهم في معروف.

وفي شرح هذا الحديث قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث تقديم أمر الدنيا: لأنَّه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكفّ الفتنة والشر»(١).اهـ

وقد قال التابعي زيد بن أسلم العدوي رحمه الله: «لو شاء الله لجعل الأمر كله إلى الأنبياء، لكنه جعله إلى الأمراء والأنبياء معهم»(٢).

وقد كان الملوك يحكمون في بني إسرائيل مع وجود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والقول بأن الآية في الأمراء وأن الله ﷻ أوجب علينا طاعتهم هو قول الإمام البخاري أيضًا: فقد قال في أول كتاب الأحكام من الجامع الصحيح: «باب قول الله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا إشارة من البخاري إلى ترجيح القول الصائر إلى أن الآية نزلت في طاعة الأمراء: خلافًا لمن قال نزلت في العلماء. وقال ابن عيينة: سألت زيد بن أسلم عنها ولم يكن أحد بالمدينة يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله، فقال: اقرأ ما قبلها تعرف، فقرأت ما قبلها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨] فقال زيد بن أسلم: هي في الولاة»(٣).اهـ

---

(١) فتح الباري (٢٥٩/١٣).

(٢) تفسير الطبري (١٥١/٤).

(٣) فتح الباري (١٢٩/٢٧).

إذن هذه الآية الكريمة أصل شرعي قرآني عظيم في وجوب طاعة مَنْ ولاه الله ﷻ الأمر وعدم الافتئات عليهم، فضلا عن عصيانهم والتمرد عليهم ونزع اليد من طاعتهم والغدر والفجور ببيعتهم.

✪ رابعًا:

يجب أن نعلم أن النَّبي الأكرم ﷺ هو رسولُ الله النبيُ الأميُ الذي يؤمن بالله وكلماته، وقد أوجب الله على العالمين أن يشهدوا أن محمدًا هو عبد الله ورسوله، أوجبه عليهم أجمعين إنسهم وجِنِّهم وعربهم وعجمهم وأولهم وآخرهم، بل وعلى كل مخلوق من الدواب والطيور والأشجار والبحار والأحجار، وهذه خاصية انفرد بها فداه أبي وأمي دون جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، **ففي حديث ميسرة الفجر ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله متى كُتبتَ نبيًا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»**[١].

وفي رواية: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»[٢].

وفي حديث آخر يقول ﷺ: **«إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنِّي رسول الله إلا عاصي الجنّ والإنس»**[٣].

وفي صحيح مسلم يقول رسول الله ﷺ: **«إني لأعرف حَجَرًا بمكة كان يسلِّم عليَّ بالنُّبوة قبل أن أبعث. إنِّي لأعرفه الآن»**[٤].

فالشهادة له بالنبوة والرسالة في حياته باقية بعده إلى قيام الساعة، وإنَّما في حياته الشريفة ﷺ كان يأخذ البيعة من كل الناس، ومن كل من أتاه من الكبار

---

(١) ميسرة الفجر: قيل اسمه عبد الله بن أبي الجدعاء، وميسرة لقبه، حديثه هذا أخرجه أحمد في المسند (١٦٦٢٣)، والحاكم في المستدرك (٦٠٨،٦٠٩/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه الترمذي (٣٦٠٩) من حديث أبي هريرة ﷺ وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) أحمد في المسند (١٧١٥٠) من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

(٣) أحمد في المسند (١٤٣٣٣) من حديث جابر بن عبد الله في قصة الجمل.

(٤) رواه مسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة ﷺ.

والصغار والرجال والنساء، وكانوا يبايعونه بالإضافة إلى النبوة والإسلام على مقاصد الولاية كلها من السمع والطاعة والانضمام إليه وأداء الزكاة له والجهاد معه وألا تعقد راية ولا يغزى عدو ولا ينصب قتال ولا يشهر سلاح إلا بأمره وعقده وحسب توجيهه ورأيه، على أنه هو الإمام القائد والراعي والرائد، بالإضافة إلى أخذ جميع أحكام الدين منه باعتبار مقام النبوة والرسالة.

ولذلك كان يشاورهم فيما هو من مقاصد وأعمال الولاية من الحرب والسلم، والأخذ والرد، والعهود والمعاهدات، ونحو ذلك وهو معنى قوله ﷻ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والأمر في هذه الآية أمر الولاية ومقاصدها ومهامها وأعمالها.

ومعلوم أنه لا مجال لمشاورة أحد في أمور التشريع والدين من الصلاة والصيام والحج ونحو ذلك، إنما كان يأمر ويُعلِّم ويَسُنّ ويؤسس ويحلل ويحرم بمقتضى مقام النبوة والرسالة: **كما قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»**(١)، وقال: **«خذوا عني مناسككم»**(٢) ونحو ذلك؛ ولذلك كان ﷺ إذا أمرهم بأمر من أمور الولاية ومقاصد الإمامة مما يجتهد هو فيه بما يرى من المصلحة وأراد فضلاء أصحابه وعقلاؤهم أن يشيروا عليه بخلاف ما أمر لرأي رأوه فإنهم يتلطفون إليه ويتأدبون بين يديه فيقول أحدهم قبل أن يبدي رأيه: **«يا رسول الله أهذا أمر أمرك به ربك فلا نتقدم عنه ولا نتأخر. أم هو الرأي والاجتهاد؟»** فكان يقول لهم: **«بل هو الرأي»**: فإذا علموا أنه أمر بما أمر به بموجب مقام الإمامة والقيادة والولاية. لا بموجب مقام النبوة والرسالة فعند ذلك يشيرون

(١) رواه البخاري (٦٠٠٨) من حديث مالك بن الحويرث ﷺ.

(٢) رواه مسلم (١١٤٨) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

عليه بما يرون مما فيه المصلحة. وكان في الغالب يأخذ برأيهم ومشورتهم، كما أخذ برأي الحُباب بن المنذر ﷺ في منزلهم يوم بدر، وكما أخذ برأي الشباب بالخروج إلى غزوة أُحد بدل المكث بالمدينة، وكما أخذ برأي أبي بكر الصديق في شأن أسارى بدر، وكما أخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق، وهكذا: حتى قال أبو هريرة: «**ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ**»[١]. وهو قطعًا إنما يشاورهم في أمور الولاية ومقاصد الإمامة، وأما ما أوحاه الله إليه فلا رأي لأحد فيه، إنما هو حكم الله المنزل.

ومن تراجم الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من الجامع الصحيح: «باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ۝٣٨﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۝١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأن المشاورة قبل العزم والتبيّن لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۝١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج....وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة: ليأخذوا بأسهلها....وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا كانوا أو شبانًا، وكان وقَّافًا عند كتاب الله تعالى»[٢].

قال الحافظ ابن حجر: «وقد اختُلف في متعلق المشاورة فقيل: في كل شيء ليس فيه نص، وقيل: في الأمر الدنيوي فقط. وقال الداودي: إنما كان يشاورهم في أمر الحرب مما ليس فيه حكم: لأن معرفة الحكم إنما تلتمس منه. قال: ومن زعم أنه كان يشاورهم في الأحكام فقد غفل غفلة عظيمة. وأمَّا في غير الأحكام

---

(١) علقه الترمذي بصيغة التمريض في السنن (١٧١٤)، وأسنده عبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) إلا أنه منقطع بين الزهري وأبي هريرة، وأخرجه أحمد في المسند (١٨٩٢٨).

(٢) فتح الباري (١٠٥/٢٨، ١٠٩).

فربما رأى غيره، أو سمع ما لم يسمعه أو يره. وقال غيره: اللفظ وإن كان عامًا لكن المراد به الخصوص للاتفاق على أنه لم يكن يشاورهم في فرائض الأحكام»[١].اهـ

وقد علّق الحافظ ابن حجر بتعليق رائع على قول البخاري في الترجمة: «وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها.» فقال: «أي إذا لم يكن فيها نص محكم بحكم معين من الله، وكانت على أصل الإباحة. أما تقييده بالأمناء فهي صفة موضحة؛ لأن غير المؤتمن لا يستشار ولا يلتفت لقوله. وأما قوله: «ليأخذوا بأسهلها» فلعموم الأمر بالأخذ بالتيسير والتسهيل، والنهي عن التشديد الذي يُدْخل المشقة على المسلم»[٢].

وفي مبايعة القوم على مختلف طبقاتهم رسول الله ﷺ إنما يبايعونه على الإسلام والثبات عليه وعلى جميع مقاصد الولاية ووظائف الإمامة، فلا شهادة لأحد بالنبوة والرسالة بعد رسول الله ﷺ؛ إذ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وتبقى البيعة لمن ولي الخلافة وتَسَلَّم الإمامة ورقي الولاية بجميع وظائفها وأعمالها بعد النبي ﷺ إلى قيام الساعة إذا قام بها على هدي وسنّة رسول الله ﷺ.

وبعد هذه الطليعة التي أرى أنه لابد منها نعلم أهمية وجود الجماعة، وقيام الإمام الجامع ووجوب المسارعة إلى بيعته، والسمع له والطاعة بموجب جميع الأدلة والسنن فيما كان النبي ﷺ يأخذ به البيعة من كل من قدم إليه ووفد عليه.

---

(١) فتح الباري (١٠٥/٢٨).

(٢) فتح الباري (١٠٨/٢٨).

الفصل الثالث

أبو بكر الصّدّيق ﵁ ومقام الخلافة والإمامة

توطئة

توفَّى الله نبيه ورسوله محمدًا ﷺ فالتحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى بعد أن بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة وترك الأمة على محجّة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وبرحيله ﷺ حلّت بالمسلمين فاجعة الدهر، ونزلت بهم قاصمة الظهر: فطاشت العقول وذهلت الألباب. لكنّ الله ﷻ تدارك الإسلام وأغاث الأنام، وانجابت الغمّة انجياب الغمام، وذلك بالصّدّيق الأكبر والصاحب الأشهر أبي بكر ﷺ.

فقد حدث بوفاته ﷺ شغور عظيم وفراغ كبير في مقام الإمامة والولاية مما فتح الباب لبذور الشقاق، ونَجَم الشيطانُ وألقى سهم الافتراق؛ فاجتمع الأنصار وهم أهل الدار بسقيفة يقال لها «سقيفة بني سَاعِدة»، وقالوا: منّا أمير وللمهاجرين أمير، وهذا أوَّل الانشقاق والافتراق.

وهذا الشغور العظيم لمقام الولاية والإمامة بعد وفاة رسول الله ﷺ كان في أمس الحاجة إلى رجل عظيم وقامة سامقة تملؤه وتعيد الأمور إلى نصابها، وتورد الأحوال من أبوابها، ومن يكون لهذا المقام أولى وأحرى من أبي بكر الصّدّيق ﷺ؟ فكأن هذا مقامه الذي لا يصلح إلا له، ولا يمكن أن يملأه غيره.

قَدْ رَجَع الحـــقُّ إلى نِصَابِـهِ	وأنتَ مِنْ دُون الورى أَولى بِـهِ
ما كنت إلا السيفَ سَلّتْهُ يدٌ	ثم أعَادَتْـــــهُ إلى قِرَابِـــهِ
قَدْ علمـوا لمّا رَأَوْها ضَيْعَـــةً	أَنْ ليسَ لِلجوّ ســوى عقابِهِ

أولا: حَسْمُ أمر الخلافة والإمامة، وإعادة بناء الدولة والأمّة المسلمة وقوتها.

كان لأبي بكر الصديق ﷺ أعظم المقام وأبركه في سدّ هذا الفراغ الكبير والشغور العظيم لمقام الولاية والحكم الذي سبَّبته وفاة خاتم الأنبياء ﷺ، ولم يتوف اللهُ ﷻ النبي ﷺ إلا وهو مطمئِنٌ على أمته واثق من أن قيامها وسيادتها وقيادتها ستستمر بعد وفاته: طمأنه ربه ﷻ على ذلك. وعَلِمَ أن المؤمنين لا يرضون بمن يملأ هذا المقام ويقوم به غير صِدِّيقِ نبيهم وصاحبِه من أول يوم أبي بكر ﷺ. فكان يقول ﷺ: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(١). ولم يكن ذلك رجمًا بالغيب ولا ظنًا واحتمالا وإنما رسالة من الله لرسوله ﷺ بأنه ﷻ لن يُمَكِّن ويولي بعد نبيّه ﷺ غير صِدّيقه أبي بكر، ولن ترضى أمته ولن تقوم بغير الصديق ﷺ، وهذا فيما يرى بعض العلماء أبلغ وأوقع مِنْ نصّ النبي ﷺ على الصديق باسمه.

وكان قد همّ رسول الله ﷺ بذلك وأراد أن يكتب لأبي بكر كتابًا يعهد فيه إليه، ثم لما بلغته رسالة ربه بأنه ﷻ لن يرضى ولن يرضى المؤمنون غير أبي بكر اطمأن إلى ذلك وترك كَتْبَ الكتاب.

فعن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: «وارأساه، فقال رسول الله ﷺ: بل أنا وارأساه، لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد: أن يقول قائل أو يتمنّى المتمنّون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون»(٢).

وأخرج الحديثَ مسلم بلفظ: «**ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا: فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٦، ٧٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٦، ٧٢١٧).

(٣) صحيح مسلم (٢٣٨٧).

وهذا كما هو ظاهر جدًا من أول يومٍ مرض فيه النبي ﷺ، وهو يدل بوضوح على أن أمر قيام الصدّيق أبي بكر بعده وكونه وحده خليفته من بعده كان يهمّ النبي ﷺ أوّل الهم وأعظمه حتى أراد أن يكتب لأبي بكر كتابًا بذلك، ثم اطمأن إلى أن ذلك هو قدر الله وأمره ورغبة المؤمنين كلهم، وأن الله ﷻ لا يرضى أن يقوم بالأمر في هذه الأمة الخاتمة للأمم بعد خاتم رسله ﷺ غير أبي بكر ﷺ. وهذا الذي كان ووقع والحمد لله رب العالمين.

والذي يظهر لي بعد التأمل في الأحاديث أن النبي ﷺ هَمَّ وأراد أن يكتب كتابًا مرتين اثنتين، وليس مرّةً واحدة:

أمَّا المرّة الأولى: فكانت في أوّل يومٍ ابتدأ به المرض ﷺ، ولم يك عنده إلا زوجه أم المؤمنين عائشة ﷺ.

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: «رجع رسول الله ﷺ من حَجّة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بقيّته والمحرّم وصَفَرًا، وبعث أسامة بن زيد، فبينا الناس على ذلك ابتُدِئ رسول الله ﷺ بشكواه الذي قَبَضَه الله فيه إلى ما أراده الله من رحمته وكرامته، في ليالٍ بقينَ من صَفَر أو في أوّل شهر ربيع الأول. فكان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من ذلك فيما ذُكر لي أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك»[1].

وعن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: وارأساه. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حيٌّ فأستغفر لك، وأدعو لك»: فقالت عائشة: واثُكْلِياه، والله إني لأظنّك تحب موتي، ولو كان ذاك لظللتَ آخر يومك مُعَرِّسًا ببعض أزواجك،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/٦٤٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/٣١٢).

فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساه، لقد هممتُ أو أردتُ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد؛ أن يقول القائلون أو يتمنّى المتمنّون، ثم قلتُ: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون»[١].

وأخرج الإمام مسلم هذا الحديث بلفظ: «**ادعي لي أبا بكر، وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنّى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٢].

وهذا ظاهر جدًا أنه من أول ما بدأ به المرض، ولم يكن معه إلا زوجه أم المؤمنين عائشة ﵂ ، وهو كتاب خاص لأبي بكر، ليعهد إليه حتى لا يطمع أحد في القيام في الأمة بعد رسول الله ﷺ غير أبي بكر ﵁.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «سياق الحديث يُشعر بأن ذلك كان في ابتداء مرضه ﷺ»[٣].اهـ

وأما المرة الثانية: فهي التي ذكرها ابن عباس ﵄ وكانت يوم الخميس قبل وفاة النبي ﷺ بأربعة أيام فقط وقد اشتد به المرض، وكان عنده رجال ذوُو عددٍ، منهم عمر بن الخطاب، وفيه قال النبي ﷺ: «**ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**»، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع».

والذي يظهر أن هذا الكتاب الذي همّ به ﷺ يوم الخميس كما ذكره ابن عباس كان في الوصية بأمور مهمة عظيمة من أمور الدين، وهذه الأمور ذكرها وأوصى بها بكلامه لهم ووصيته لهم دون كتْب الكتاب، وتلك الوصايا هي:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٦، ٧٢١٧).

(٢) صحيح مسلم (٢٣٨٧).

(٣) فتح الباري (٢٣٨/٢١).

۞ الوصية الأولى:

أوصاهم في نفس المجلس والموقف بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.

الأمر الثاني: وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتُ أجيزهم.

الأمر الثالث: قال الراوي: وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها. أخرجه البخاري في مواضع[(١)] من طريق سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس ﷺ. والراوي الذي قال: سكت عن الثالثة. أو قال: ذكرها فنسيتها: هو سليمان الأحول، كما نص عليه الراوي عنه وهو سفيان بن عيينة، قال سفيان: هذا من قول سليمان[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه لم يكن أمرًا متحتمًا: لأنه لو كان مما أُمِرَ بتبليغه لم يكن يتركه لوقوع اختلافهم، ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلغه لهم لفظًا كما أوصاهم بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أيامًا، وحفظوا عنه أشياء لفظًا، فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه»[(٣)]. اهـ

أما هذه الثالثة التي نسيها الراوي، فيظهر أنها الوصية بكتاب الله ﷻ، وقد نقله الحافظ ابن حجر عن كلٍ من الداودي ومحمد بن التين، ويأيده حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ «**قيل له: كيف كُتب على الناس الوصية. ولم يوص أي النبي ﷺ؟ فقال: أوصى بكتاب الله**»[(٤)]. ويحتمل أن تكون الصلاة، ويأيّده

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح في المواضع (١١٤، ٣١٦٨، ٤٤٣١، ٤٤٣٢) وغيرها.

(٢) البخاري (٣١٦٨).

(٣) فتح الباري (١٦/٢٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٤٠).

حديث أنس بن مالك أنه ﷺ كان يوصي عند موته «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»[١].

۞ الوصية الثَّانية:

في نفس هذا اليوم يوم الخميس أمرهم النبي ﷺ أن يُفْرِغوا عليه من سبع قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أوكيتهن، فوضعوه في طست، وطفقوا يصبون عليه حتى أشار إليهن أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، ثم خرج فجلس على المنبر، وخطب، **وأوصى بأمور أخرى:**

الأمر الأوَّل: نَوَّه بمقام أبي بكر الصديق وسابقته وفضله واختصاصه به بالخُلّة والصحبة والمواساة بالأهل والمال، وأمر بسدّ الأبواب اللافظة إلى المسجد إلا باب أبي بكر.

الأمر الثَّاني: أوصى بالأنصار خيرًا، وقال إنهم قد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم؛ فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم. وإليك الروايات:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: **خطب رسول الله ﷺ وقال: «إن الله خَيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر: فعجبنا لبكائه، فقال رسول الله ﷺ: «إن أَمَنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي لاتَّخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوّة الإسلام ومودّته، لا يبقينّ في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»**[٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: **خرج النبي ﷺ، وقد عَصَب على رأسه حاشية بُرد، فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي**

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٠٥٧، ٧٠٥٨) ، وأحمد في المسند (١٢١٦٩)، وابن ماجه (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٤).

لهم: فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ «أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر، فتوفي من يومه»[٢].

وقال التابعي الكبير ابن أبي مُلَيْكة: سُئِلت أم المؤمنين عائشة فقيل لها: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، فقيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا[٣].

لذلك كان أبو بكر ﷺ هو وحده صاحب ذلك المقام العظيم الثابت الراسخ في يوم وفاة رسول الله ﷺ: فلم يعتزل في بيته يبكي، ولم يطش عقله، ولا ذهل لبّه، بل كتّم حزنه ودرأ موجدته على نبيّه وصاحبه ﷺ، وقام بما يجب أن يقوم به وبما لا يقوم به غيره مطلقًا: فثبّت الأمة وأزال الغشاوة، وأعلن بكل ثبات وقوة استمرار الرسالة وبقاء الديانة وسيادة الشريعة واستمرار الأمة وعدم عودتها كما كانت قبل البعثة قبائل متناحرة ولا أوزاعًا متخاصمة.

فعن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: «أقبل أبو بكر على فرس من مسكنه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٩، ٣٨٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٠، ٧٥٤، ٤٤٤٨).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (٢٣٨٥).

بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم أحدًا حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مُغَشّى بثوب حِبَرة، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمّي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مُتّها».

قال[1]: وحدثني أبو سلمة، عن ابن عباس: **أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يُكلّم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٤٤]، وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها»[2].**

فلما تيقنّ الناس بوفاة رسول الله ﷺ وعلموا أن مقام الإمامة والولاية قد صار شاغرًا، ونجم قرن الشِقاق والافتراق فاجتمع الأوس والخزرج وهم الأنصار وأهل الدار في سقيفة لهم يُقال لها: «سقيفة بني ساعدة»، وبنو ساعدة هم رهط سعد بن عبادة ﷺ، وطالبوا أن يكون للمدينة وللمسلمين أميران، فقالوا: منّا أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا أمر خطير وأول الشقاق وعود الافتراق : فهرع اثنان من خِيار الصحابة والأنصار إلى شيخي قريش ورأسي المسلمين أبي بكر وعمر، وقالا: أدركا المسلمين قبل أن يفترقوا؛ فخرج الصّدّيق أبو بكر والفاروق

---

(١) هو الزهري الراوي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن حديث عائشة السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤).

عمر وأمين الأمة أبو عبيدة ﷺ سراعًا إليهم، فكان للصِّدِّيق ذلك الح سم العظيم والموقف الكريم الذي أسس به ولاية الخلافة الراشدة التي هي على منهاج النبوة، وجمع الله به الكلمة ودرأ الشقاق وأخزى الشيطان، وعاد بالأمة إلى كُلِّيَتها وجمعيّتها وقوتها؛ لتتواصل المسيرة المباركة التي أخرجها الله لها: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وها هي أم المؤمن ين عائشة ﷺ تروي لنا هذه النازلة العظيمة ودور الصديق العظيم فيها، قالت ﷺ: «**فحمد اللهَ أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال: فنشج الناس يبكون. قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني سَاعِدَة فقالوا: مِنّا أمير ومنكم أمير. فذهب إليهم أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردتُ بذلك إلا أني قد هَيَّأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس. فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حبابُ بن المنذر: لا والله لا نفعل مِنّا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا؛ فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيّدنا**

وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس»[(١)].

وفي حديث ابن عباس ﷺ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال في خطبة له على المنبر: «وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا عليٌّ والزبير ومن معهما. واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر. فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم. فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان[(٢)] فذكرا ما تمالأ عليه القوم. فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة. فإذا رجل مُزّملٌ بين ظهرانيهم. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك. فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم. فأثنى على الله بما هو أهله. ثم قال: أما بعد. فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام. وأنتم معشر المهاجرين رهطٌ. وقد دفتْ دافة من قومكم. فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا. وأن يحضُنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم. وكنت قد زوّرْتُ مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يَدَيْ أبي بكر. وكنت أداري منه بعض الحدّ. فلما أردت أن أتكلم. قال أبو بكر: على رِسْلِك. فكرهت أن أغضبه. فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم منّي وأوقر. والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت. فقال: ما ذكر تم فيكم من خير فأنتم له أهل. ولن يعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش. هم أوسط العرب

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٦٦٨).

(٢) هما عُوَيم بن ساعدة ومعن بن عدي ﷺ.

نسبًا ودارًا، وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين، فبَايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقَدَّم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحبَّ إليَّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أ ن تُسَوِّل إلي نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار[١]: أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك، وعُذَيْقُها المُرَجَّب، منّا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش. فَكَثُر اللّغط، وارتفعت الأصوات، حتى فَرِقْتُ من الاختلاف، ف قلت: ابسط يَدَك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم باي عته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة: أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا[٢] نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد»[٣].

ووقع في مس ند الإمام أحمد رواية مهمة تدل على أن سعد بن عبادة ﷺ أقرّ لأبي بكر الصديق قوله: «**نحن الأمراء، وأنتم الوزراء**»، واعترف بذلك صراحة. فأخرج الإمام أحمد من طريق عفّان، حدثنا أبو عوانة، عن داود بن عبد الله الأودي، عن حُميد بن عبد الرحمن بن عوف، قال: «**توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر في طائفة - من المدينة، قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبّله...**»، وساق الحديث بنحو

---

(١) هو الحُباب بن المنذر.

(٢) كذا بدون «لا» في النسخة التي شرح عليها الحافظ ابن حجر وعلّق عليها بأن السياق يقتضيها كما هي رواية مالك وهي ثابتة في نُسَخ الصحيح، والطبعة السلطانية والعامرية وغيرها، وكذا في نسخة ابن سعادة ونسخة إسماعيل البقاعي.

(٣) أخرجه بطوله الإمام البخاري في الصحيح (٦٨٣٠).

حديث عائشة وابن عباس ﷺ السابقين وزاد في آخره: «**قال أبو بكر: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس واديًا وسلكتُ الأنصار واديًا سلكتُ واديَ الأنصار» ولقد علمتَ ياسعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش وُلاةُ هذا الأمر، فَبَرُّ الناس تبعٌ لِبَرِّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم» قال: فقال له سعد بن عبادة: صدقتَ، نحن الوزراء، وأنتم الأمراء»**[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وفي سياق الإمام أحمد فائدة جليلة، وهي: أن سعد بن عبادة، مُسَلِّمٌ لأبي بكر ما قال، وذَكَر حين ذكّره ورجع إليه»[2].اهـ

وفي هذا الموقف من الصّدّيق ﷺ دين عظيم وفقه كبير وعقل راشد: حيث أعلن لهم أن الأمراء يجب أن يكونوا من قريش: لأن هذا حكم شرعي ذكره النبي ﷺ ونصّ عليه ونُقِلَ عنه في أحاديث عديدة، فأعلن أبو بكر الحكم الشرعي الذي يجب على الجميع أن يمتثل له وينقاد إليه، ولم يعلن عن نفسه؛ لأنه لو فعل لقال القوم رجل يطلب لنفسه، وهم على بداية خلاف ونزاع، ولكنه أعلن الحكم الشرعي بأن الإمارة لابدّ أن تكون في قريش، ثم رشّح لهم أحد الرجلين وهما من خيرة المهاجرين من قريش، وهو يعلم أن عمر بن الخطاب وأبو عبيدة لا يقبلان أن يَتَأمرّا على قوم فيهم أبو بكر وقد علما يقينًا سابقته وقربه من رسول الله ﷺ

---

(١) مسند أحمد (١/١٨)، ونقل السيوطي في جامع الأحاديث (١/١٥٧) عن الحافظ ابن المنذر قوله: «هذا حديث حسن، وإن كان فيه انقطاع فإن حميد بن عبد الرحمن بن عوف لم يدرك أيام الصّديق، وقد يكون أخذه من أبيه أو غيره من الصحابة، وهذا مشهور بينهم»، وقال الحافظ ابن كثير في «مسند الصديق» (٢٣٤) نحو كلام ابن المنذر، إلا أن الحافظ ابن حجر ذكر في أطراف المسند (٦/٨٢) أنه حميد بن عبد الرحمن الحميري، وهذا وهم، وإنما هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف كما ذكره الحافظان: ابن المنذر وابن كثير رحمهما الله.

(٢) مسند الصديق (٢٣٦، ٢٣٧).

وحبّ رسول الله ﷺ له واختصاصه به واستخلافه له في الصلاة أيام مرضه، وكيف يتأمّران عليه وهو الأسبق إلى الإسلام والأقرب من رسول الله والأفضل بإجماع المسلمين؟! حينئذ قام عمر بما يجب أن يقوم به فبايع أبا بكر وبايعه أبو عبيدة، ثم تتابع القوم على ذلك.

وقد قَبِل أبو بكر ﷺ البيعة بالخلافة والإمامة في الأمة بعد رسول الله ﷺ لأنه علم يقينًا أمرين اثنين في غاية الأهمية:

الأمر الأوَّل: أن هذا مقامه وهذه مهمته وهذا عمله الذي ادَّخره الله له وهيَّأه للقيام به، وقد ملأ سمعه وسمع جميع الصحابة قول النبي ﷺ: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**.

والأمر الثَّاني: أن القيام بأمر الأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ لَوْ وَلِيَهُ غيره مهما كان فإن الأمر سينثلم، وشأن الإسلام سيضعف، وتقع الفتنة وتتفرق الكلمة، وتذهب الريح، ويقع الفشل والانحدار.

فعن نافع بن عمر عن ابن أبي مُلَيْكة قال: **قيل لأبي بكر ﷺ: «يا خليفة الله» فقال: «بل أنا خليفة رسول الله، وأنا راضٍ به»**[١].

وعن عبد الملك بن عمير اللخمي[٢]، عن رافع الطَّائي[٣]: وهو رفيق أبي بكر في غزوة ذات السلاسل قال: **«وسألت أبا بكر عمّا قيل من بيعتهم فقال: وهو يحدث عما تكلمت به الأنصار، وما كلمهم به، وما كلّم عمر بن الخطاب الأنصار،**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥٩، ٦٤)، وابن أبي شيبة (٧/٤٣٣)، وسنده صحيح، لكنه مرسل لأن ابن أبي مليكة لم يدرك زمن أبي بكر ﷺ.

(٢) التابعي الحافظ المعمّر، توفي سنة (١٣٦هـ). سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٤٣٨).

(٣) رافع بن عمرو الطائي، ذُكر في الصحابة، مات سنة (٢٣هـ). الإصابة لابن حجر (٢/٣٦٦).

وما ذكَّرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك، وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة تكون بعدها رِدَّة»[١]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «إسناده حَسَنٌ، لا بأس به، وله شواهد»[٢].

وهذه الرواية قد بسطها محمد بن إسحاق - رحمه الله - في سيرته وأولها: «**أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص يستنفر أخواله من بَلِي إلى غزو الشام...**»، فذكر خبر غزوة ذات السلاسل مطولا، وصحبة رافع الطائي لأبي بكر واستنصاحه وفيه قول أبي بكر الصديق له: «**ولا تتأمّر على رجلين من المسلمين أبدًا**»، إلى أن قال رافع: «**فلما قُبِض رسول الله ﷺ، وأُمِّر أبو بكر على الناس. قال: قدمت عليه فقلت: «يا أبا بكر، ألم تكن نهيتَني عن أن أتأمَّر على رجلين من المسلمين؟ قال أبو بكر: «بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك» قال رافع: فقلت له: فما حملك على أن تَلِيَ أمر المسلمين؟ قال أبو بكر: «لا أجد من ذلك بُدًّا: خشيتُ على أمّة محمد الفرقة»**[٣].

ويوم السقيفة هو يوم وفاة النبي ﷺ وكان يوم الاثنين، وبعد حسم أمر الخلافة ووقوع البيعة لأبي بكر شُغلوا بجهاز النبي ﷺ ودفنه.

واحتار أصحاب النبي ﷺ وآل بيته أين يدفنونه ﷺ؟ حينئذ ظهر أبو بكر مرة أخرى وأخبر بهذا العلم الشريف الذي لم يوجد من يعرفه غيره وربما خصّه النبي ﷺ به.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٢).

(٢) كتاب: مسند الصّدّيق (٤١٠).

(٣) السيرة لابن إسحاق (٦٨٧/٢، ٦٨٨). وانظر سيرة ابن هشام (١٨٧/٤). والرواية أخرجها أحمد في كتاب الزهد (٥٥٩)، والطبراني في الكبير (٤٤٦٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٤/٥): «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

فعن أبي بكر ﷺقال: سمعت من النبي ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: «ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع الذي يحب أن يُدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه»[(١)].

وفي لفظ آخر عن أبي بكر ﷺ قال: **سمعت النبي ﷺ يقول: «إن النَّبيّ لا يُحَوّل عن مكانه، يُدفن من حيث يموت». فنحّوا فراشه فحفروا له موضع فراشه"[(٢)].**

فرفعوا سريره وحفروا له في حجرة عائشة، ودفنوه فيها ﷺ.

ثم في اليوم التالي ليوم وفاته ﷺ وهو يوم الثلاثاء وقعت البيعة العامة من جميع المسلمين لأبي بكر ﷺ على منبر رسول الله ﷺ وبمسجده، ليتحقق خبر النبي ﷺ **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».**

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠١٨)، وبوّب عليه: باب ما جاء في دفن النبي ﷺ حيث قُبض، وكذا ابن ماجه (٦٢٨). وقال الترمذي: «حديث غريب وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعّف من قبل حفظه، وقد رُوِي هذا الحديث من غير هذا الوجه: فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ». قال الحافظ ابن كثير في مسند الصديق (٢٤١): «يشير الترمذي إلى الطريق الأخرى التي رواها أبو يعلى الموصلي في مسنده من طريق محمد بن إسحاق، حدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس عن أبي بكر ﷺ به».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٨١٧٧)، وكذا عبد الرزاق (٦٥٣٤). ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أحمد في المسند (٢٧) عن ابن جُريج قال: أخبرني أبي أن أصحاب النبي ﷺ لم يدروا أين يقبرون النبي ﷺ حتى قال أبو بكر. فذكره. وهذا معلول: لأن والد ابن جريج واسمه عبد العزيز مضعّف. ولم يدرك أيام الصّديق، وقد قال عنه الإمام البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٤/٥): «لا يتابع في حديثه». قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في مسند الصديق (٢٣٨): «هذا منقطع من هذا الوجه؛ فإن ابن جريج اسمه: عبد الملك بن عبد العزيز يرويه عن أبيه. وأبوه فيه ضعف ولم يدرك أيام الصّديق». وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه البخاري رحمه الله: «وهذه سُنّة تفرد بها الصّديق ﷺ من بين المهاجرين والأنصار، ورجعوا إليه فيها» كتاب: الروض الأنيق في إثبات إمامة الصديق (٢١٤، ٢١٥). وأخرجه كذلك البزار (٧٠/١) برقم (١٨)، وقال البزار بعده: «وهذا الكلام لا نعلم رواه إلا أبو بكر. ورواه عن أبي بكر ابن عباس وعائشة ﷺ».

فعن أنس بن مالك ﷺ أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم. قال: «كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرَنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم- فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به بما هدى الله محمدًا ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين: فإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه»، وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة[1].

هذا مقام الصّدّيق ﷺ فلا أحد من الصحابة ﷺ يستحق أن يقوم مقام رسول الله ﷺ ويخلفه في أمته ويستحق أن يلقب بـ «خليفة رسول الله ﷺ» غير أبي بكر ﷺ؛ فهذا اللقب الشريف من خصائصه، وحكر عليه. ولقد نُقل أن عمر ﷺ لما ولي الخلافة قالوا له: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال عمر: هذا الأمر يطول، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فصار لقبه: «أمير المؤمنين»، وتلقَّب به بعدُ كل من وليَ الخلافة من خلفاء المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٩).

ثانيًا: حروب الردة وإعادة قيامة الأمة والملة.

ظهر يُمْنُ وبركة استخلاف أبي بكر ﷺ على الإسلام وعلى الصحابة وعلى الأمة كلها بذلك الموقف المهيب العظيم الذي قام به خليفة رسول الله ﷺ عندما وقعت الردة وارتدت العرب عن الإسلام وعادوا إلى جاهليتهم الأولى: ففريق منهم تبع أولئك المتنبئين الكذابين كمسيلمة الكذاب والأسود صاحب صنعاء وغيرهما، وفريق آخر عاد إلى عبادة الأصنام والأوثان، وفريق ثالث منعوا زكاة أموالهم وقالوا: كنا نعطيها لرسول الله ﷺ، فما لنا ولأبي بكر؛ حتى قال شاعرهم:

أطعنا رسولَ الله إذْ كان بيننا ... فيَا لِعبـــادِ الله مـا لأبي بكــر

أيُورثُها بكرًا إذا ماتَ بعده[1] ... فتلك لعمرُ الله قاصمةُ الظَّهْرِ[2]

وضربت نساء كِنْدَة بالدفوف استبشارًا بوفاة رسول الله ﷺ، وشَمتَتْ بغايا حضرموت بموته ﷺ وعاد سوقهنّ: فكتب في ذلك بعض صالحي كندة وهو امرؤ القيس بن عابس الكندي[3] إلى خليفة رسول الله ﷺ يُعْلِمُه ويستنصره ويستحثه على رفع سيوف الله وإجراء خيول الله على المرتدين، ولقد أسمع إذ نادى: فذاك الصدّيق خليفة رسول الله ﷺ، وكان مما أرسل به إلى أبي بكر ﷺ:

---

(١) «بعدَه»، كذا في كل المصادر، فإن كان أراد عَوْد الضمير إلى النبي ﷺ، استقام المعنى فيكون: هل إذا مات أبو بكر بعد النبي ﷺ سيُورث ما أعطيناه من أموالنا لأبنائِهِ، وإن كان أراد عَوْد الضمير إلى الابن «بكر»، فحقها أن تكون «قبله»، والمعنى إذا مات أبو بكر قبل ابنه، هل سيُورث ابنه أموالنا التي آتيناه.

(٢) الأبيات للحُطيئة في ديوانه (٣٢٩)، وانظر الأغاني للأصفهاني (١٥٧/٢)، وعزاهما الطبري في تاريخه (٢٤٦/٣) لعبد الله الليثي من بني عبد مناة.

(٣) صحابي وفد على النبي ﷺ، وأسلم، وثبت على الإسلام عام الردة، وكان شاعرًا، نزل الكوفة بعد. انظر أسد الغابة لابن الأثير الجزري (١٣٧/١).

شَمتَ البغايا يومَ أعْلنَ جَهْبَلٌ[(١)] بِنَعْيِ أحمدٍ[(٢)] النبيِّ المُهْتَدِي
صلى الإله عليه من مُسْتَوْدَعٍ أمسى بيثرب ثاويًـا في مَلْحَدِ
يا راكبًا إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَن عني أبا بكر خليفـة أحمـدِ
لا تَتْرُكَنَّ عواهرًا سـودَ الذُّرى يَزْعُمْنَ أن محمـدًا لم يُفْقَدِ[(٣)]
اشفِ الغليلَ بقطعهـنّ فإنها كالجمْرِ بين جوانحي لم تَبرُدِ[(٤)]

وقال أحد شعراء الإسلام[(٥)]:

وقال رجالٌ قد عدا القومُ قدرَهم عقيلٌ ولو أنْصَفْتُ لم أعدُكُمْ قَدْري
فلا تأمنوا الصّدّيقَ، والله غالبٌ على أمرِهِ. إن العتيـقَ أبو بكرِ

تزلزلت الأرض، وأطبقت الردة في طول أرض العرب وعرضها إلا مساجد يسيرة، وكل ذلك بُعَيد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة: فقام خليفة رسول الله ﷺ بإيمان راسخ وعزم لا يلين وشجاعة منقطعة النظير وثقة بالله ﷻ أنه لا يضيّع دينَ خاتم أنبيائه ﷺ. وانفرد بتلك العزيمة دون جميع أصحاب رسول الله ﷺ. وردّ الناس من الباب الذي خرجوا منه، ورفع الرايات، وعقد الألوية، وأعاد بنصر الله وتأييده قيام الأمة من جديد وتثبيت الملة وقطع دابر الردة.

---

(١) هو جَهْبَل بن سيف. وهو الذي نعى النبي ﷺ لأهل حضرموت.

(٢) أحمد لا ينصرف، ولكن الشاعر صرفها بالكسر والتنوين لضرورة الشعر حتى يستقيم الوزن فالأبيات من البحر الكامل.

(٣) كذا في المصادر: «لم يفقد». وهو مشكل في المعنى. إلا أن يكون مراد الشاعر: أن البغايا يزعمْنَ أنّ محمدًا ﷺ مات غير فقيدٍ، ولم يُفجَع به، وليس له أثر وحاشاه ﷺ. فيستقيم المعنى.

(٤) ذكر الخبر والأبيات ابن حبيب في المُحَبَّر (١٨٦). وذكر في الإصابة (٢٥٣/١) البيت الأول.

(٥) هو عَقيل بن مالك الحميري كان حليفًا لبني حنيفة قوم مسيلمة. وثبت على الإسلام. ونصح بني حنيفة وحذّرهم الردة. انظر الإصابة لابن حجر (١٠٨/٣)، والأبيات في الإصابة.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: «لما توفي النبي ﷺ واسْتُخْلِف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزّكاة؛ فإن الزّكاة حقّ المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أنْ قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفتُ أنَّه الحق»[(١)].

أخرج الإمام البخاري هذا الحديث وبوّب عليه: باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نُسبوا إلى الردّة.

وقال الإمام مالك رحمه الله: «الأمر عندنا أن كل من منع فريضة من فرائض الله عز وجل فلم يستطع المسلمون أخذها كان حقًا عليهم جهاده حتى يأخذوها منه»[(٢)].

وهذا الجهاد أقامه خليفة رسول الله ﷺ. وهذا الكفر المذكور هنا "وكفر من كفر من العرب": هو كفر الردة المبيح للدم والمال. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «في حديث أنس عند ابن خزيمة: «لما توفي النبي ﷺ ارتد عامة العرب»[(٣)].

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله: «فأخرج أبو بكر إليهم البعوث، وقُتِل مسيلمة باليمامة، وعاد طليحة إلى الإسلام، وكذا سجاح، ورجع غالب من كان ارتد إلى الإسلام، فلم يَحُلِ الحول إلا والجميع قد راجعوا دين الإسلام والحمد لله»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٤).

(٢) الموطأ (١/٢٦٩).

(٣) فتح الباري (٢٦/١٠٨).

(٤) الفصل (٢/٦٧).

فعاد الإسلام غضًا ثابتًا راسخًا كما تركه رسول الله ﷺ، وعادت الأمة إلى كُلِّيتها وجمعيتها، أمةً مسلمة مؤمنة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ﷻ ورسوله ﷺ، وتقيم فرائض الله وتُحَرِّم ما حرمه الله ورسوله، وعادت قوتها وظهورها وسيادتها، كل هذا بفضلٍ من الله ﷻ وتأييدٍ أيّدَ به صِدِّيق نبيّه وخليفته من بعده في أمته. وهكذا ثبّت خليفةُ رسول الله ﷺ أبو بكر ﷺ مقامَ الخلافة - خلافة النبوة - وأرسى دعائم الولاية والإمامة الحقَّة، وقد كاد العرب أن يضيعوها.

فلما تمكّن في منصبه، وأتم الله عليه النعمة بجهاده وإعادة قوة وهيبة الوِلاية والإمامة، أغزى المسلمين أرض الروم لنشر دين الله ﷻ في الأرض، وما توفاه الله ﷻ إلا وكتائب الإسلام وجنود الله تدك معاقل الروم في الشام، في اليرموك وأجنادين وما تلاهما بعد.

وقد أعلن في جواب له حكيم بليغ رصين السبيل إلى بقاء هذه الأمة قائمة عزيزة ظاهرة قاهرة، وذلك عندما حج في السنة الثانية من خلافته المباركة وهي سنة (١٣هـ) وجرى له هذا الموقف:

فعن قيس بن أبي حازم قال: «**دخل أبو بكر على امرأة من أَحْمَس يُقال لها: زينب بنت المهاجر، فرآها لا تَكَلَّم، فقال: ما لها لا تكلم؟ قالوا: حجّت مُصْمِتَة، قال لها: تكلمي فإن هذا لا يحلّ، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين، قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قُريش، قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنك لسؤول أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم، قالت: ما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم**

فيطيعونهم؟ قالت: بلى، قال: فهم أولئك على الناس»[1].

وفي هذا الحديث العظيم من علم خليفة رسول الله ﷺ شيء مهم كريم: فبعد أن زجر المرأة عن الحج وهي ساكتة وأخبر أنه من عمل الجاهلية وليس من نسك الإسلام ولا الحج سألته حتى عرفت من هو، فإذا به إمام المسلمين وخليفة رسول الله ﷺ والقائم بالحج والنسك وإمام الموسم والأمة على جمعها وعلوّها وصلاحها بصلاح رأسها وإمامها، وباستقامتهم لإمامهم والقائم بالأمر عليهم. سألته هذا السؤال البليغ، وهي تتفيأ خير الإسلام وأمن الطريق وجمع الأمة وإقامة الدين وظهور أعلامه وقيام النسك الشريف بعد النبي ﷺ بالإمام الجامع والخليفة المتنفّذ الذي لا يستقيم أمر الدين و الدنيا ولا يقام العدل ويردع الظلم ويأمن الناس إلا به فقالت له: ما بقاءنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فأجابها الصديق ﷺ ببيان عظيم أمرِ الإمامة والخلافة، وقيام الإمام الجامع الذي تنعقد له البيعة وتجتمع عليه الكلمة فقال لها: ما استقامت بكم أئمتكم. والمعنى ظاهر وهو أنه في قيام الإمام الجامع وصلاحه واستقامته وقيادته للأمة كلها على السَّنن الراشد والهدي المستقيم. وفي طاعة الأمة له واستقامتها له: فيقع الخير كله، ويظهر الدين وتأمن السبل وتعقد الألوية وتقام الحدود ويردع الظالم والفاجر ويصل الحق إلى الضعيف والفقير والمسكين.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٨٣٤).

ثالثًا: جمع القرآن الكريم.

أجمعوا على أن النبي ﷺ توفِّي ولم يكن القرآن الكريم قد جمع أو كتب في مصحف واحد، وإنما كان محفوظًا في صدور الرجال ومكتوبًا متفرقًا في الجلود والعظام واللخاف والألواح ونحوها، ولو بَقِيَ الأمر كذلك لأوشك القرآن أن يذهب ويضيع بموت حفَّاظ القرآن وقرائه من الصحابة ﷺ، ولا شك أن في ذهابه وضياعه ذهاب الديانة وانحلال أمر الشريعة وانطماس معالم الرسالة؛ فكان لابد من جمعه وكَتْبِهِ في صحائف يُرجع إليها ويُطمأن بها إلى عدم تفلّته وذهابه، وقد كان هذا العمل الجليل العظيم ذخيرة ادخرها الله ﷻ لخليفة رسوله وصِدّيق نبيّه ﷺ أبي بكر ﷺ: ليجمع الله تعالى لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الخيرين ويكون هو القائم بالأمرين:

الأمر الأوَّل: جمع الأمة وإقامة ناموس الخلافة وتأسيس الإمامة وجريان سنن الولاية، وبها ضمان كُلِّية الأمة وجمعيتها وعزها وظهورها وعدم فشلها وذهاب ريحها.

والأمر الثَّاني: جمع كتاب الله تعالى وكلامه المبارك الذي أنزله الله تعالى تبيانًا لكل شيء وهدى وموعظة وذكرى للمؤمنين على قلب خاتم رسله محمد ﷺ، وقد تركه النبي ﷺ غير مجموع وهو مطمئن غاية الطمأنينة أن خليفته في أمته وصِدِّيقه أبا بكر سيقوم بذلك والخلفاء من بعده، كما اطمأن ﷺ على خلافته في أمته من بعده وأن الله تعالى لا يرضى والمؤمنون إلا أبا بكر.

فوقع الأمران، وقرّت عين رسول الله ﷺ بأن وحي الله الكريم المنزل عليه وكتاب الله الذي أُعْطيه وكذلك أمته من بعده كلاهما في يدٍ أمينة صادقة مُصدِّقة مباركة ذات عزيمة في ذات الله وشكيمة، إنها يد خليفة رسول الله ﷺ وخاصّته من أصحابه وصِدِّيقه الأكبر أبي بكر ﷺ.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «قد عُلِمَ بالاضطرار أن رسول

الله ﷺ قدَّم أبا بكر في مرض الموت ليصلي بالناس، وقد ثبت في الخبر المتواتر أن رسول الله ﷺ قال: «ليؤم القوم أقرؤهم »، فلو لم يكن الصّدّيق أقرأ القوم لما قَدَّمه عليهم»(١).

وعلّق الحافظ ابن كثير- رحمه الله - على كلام الأشعري هذا فقال: «وهذا من كلام الأشعري - رحمه الله - مما ينبغي أن يُكْتب بماء الذّهب، ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها(٢) في الصّدّيق رضي الله عنه وأرضاه، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات -كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة- لا ينافي ما رُوِي في الصحيح: أن أبا بكر أئتمّ به عليه السلام، لأن ذلك في صلاة أخرى كما نصّ على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله ﷻ»(٣). اهـ

وبوّب البخاري - رحمه الله - في كتاب الصلاة: باب أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة.

وأخرج في هذا الباب حديث أبي موسى الأشعري، وأم المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر ﷺ، وكلها في أمر النبي ﷺ الصريح والقاطع في مرضه بقوله ﷺ: **«مروا أبا بكر فليصّل بالناس»**(٤).

---

(١) نقله الحافظ ابن كثير في مقدمة التفسير (٢٩/١) وقال: نقله أبو بكر بن زنجويه في كتاب: «فضائل الصّدّيق» عن الأشعري، وهو كتاب: «الروض الأنيق في إثبات إمامة الصّديق»، حُقق رسالة ماجستير، محمد منقذ السّقار، جامعة أم القرى، (١٤١٤هـ).

(٢) يقصد الصفات المذكورة في حديث: «يؤم القوم أقرأهم للقرآن، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسّنة، فإن كانوا في السّنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سنًا» أخرجه مسلم في الصحيح (٦٧٣).

(٣) البداية والنهاية (٣٣١/٥).

(٤) الأحاديث (٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١).

وهاك خبر جمع الصّدّيق للقرآن، وسببه:

قال البخاري في كتاب فضائل القرآن من الصحيح: باب جمع القرآن، وأخرج حديث عبيد بن السبّاق[1] أن زيد بن ثابت ﷺ قال: «**أرسل إليّ أبو بكر الصّدّيق مقتلَ أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن؛ قلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شابٌّ عاقلٌ لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ: فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر؛ فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] **حتى خاتمة براءة. فكانت الصُحُف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر ﷺ**»[2].

---

(١) هو المدني أبو سعيد ذكره مسلم في الطبقة الأولى من التابعين.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨٦).

إذن فقد جمع القرآن كله المنزل على رسول الله ﷺ في هذه الصُحُف المباركة بأمر خليفة رسول الله أبي بكر ﷺ، فكانت هذه الصُحُف المباركة محفوظة عنده لأنه مشروعه الذي تم بأمره وتحت إشرافه، ثم في يد خليفته عمر من بعده.

فلما كان زمن عثمان وأراد نسخ المصاحف ليجمع الناس عليها استدعى تلك الصحف التي صارت بيد أم المؤمنين حفصة ﷺ فأرسلت بها إليه، ونسخ منها المصاحف المشهورة ومصحفه الإمام، فكانت الصُحُف هي المرجع وهي المصحف الأول الذي كُتبت مصاحف المسلمين بناءً عليه ورجوعًا إليه.

وقصة نسخ عثمان ﷺ المصاحف أخرجها البخاري من حديث أنس بن مالك وفيه: «**فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصُحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيدَ بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف**»[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قُتل يومئذ - أي في حروب اليمامة - قريب من خمسمائة ﷺ: فلهذا أشار عمر على الصّدّيق بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بسبب موت من يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال، فإذا كُتب وحُفظ صار ذلك محفوظًا فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته، فراجعه الصّدّيق قليلا يستثبت الأمر ثم وافقه، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت في ذلك ثم صار إلى ما رأياه ﷺ»[2].اهـ

واعلم أنه قد اجتمع على جمع القرآن -كما فعل الصديق- الخلفاءُ الراشدون

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٧).

(٢) مقدمة التفسير (٣١/١).

الأربعة كلهم: فأشار عمر، وعزم الصديق وفعل، واعتمد جَمْعَه عثمان في مصاحفه، وأما علي بن أبي طالب ﷺ فثبت عنه أنه أثنى على أبي بكر ﷺ في جمعه للقرآن حتى لا يذهب ويضيع: **قال علي ﷺ: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر: إن أبا بكر كان أوّل من جمع القرآن بين اللوحين»**، وقال: **«رحم الله أبا بكر هو أوَّل من جمع القرآن بين اللوحين»**[(١)]. وكذلك ثبت عنه أنه قال: **«لو لم يفعل عثمان ذلك لفعلته أنا»**[(٢)].

ها قد اتفق الخلفاء الراشدون الأربعة على فضل أبي بكر وتقدمه بجمعه للقرآن في صُحُف، وأشادوا بعمله وعظيم أجره ونبل قصده.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فاتفق الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ على أن ذلك من مصالح الدين، وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي[(٣)]»**[(٤)]. فهذا العمل المبارك الكريم الذي قام به الصّدّيق خليفة رسول الله ﷺ بمشورة من عمر ﷺ من أَجَلِّ الأعمال وأبركها، وبه حُفِظ كتاب الله ﷻ، وتحقق وعد الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

وانظر إلى هذه المقابلة الكريمة بين هذين الرجلين العظيمين الجليلين: أبي

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف (٥) من طريق سفيان الثوري عن السُدي الكبير عن عبد خير عن عليّ به، قال الحافظ ابن كثير في مقدمة التفسير (٣٠/١): إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٥٧)، وابن أبي داود في المصاحف (١، ٢٣).

(٣) الحديث أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وغيرهم من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

(٤) مقدمة التفسير (٣٥/١).

بكر وعمر رضي الله عنهما في شأن محاربة ومجاهدة أهل الردة ومانعي الزكاة، تردد عمر وتوقف، وأبدى اعتراضه على خليفة رسول الله ﷺ في ذلك وقال له: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**» كما مر سابقًا؛ فردّ عليه خليفة رسول الله ﷺ بذلك الردّ الحاسم القاطع، وقال: «**ألم يقل إلا بحقها فإن الزكاة حق المال، لأقاتلن من فرّق بين الزكاة والصلاة، والله لو منعوني عَنَاقًا كانوا يأدونها إلى رسول الله لقاتلتهم عليها**». قال عمر: «**فوالله ما إن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق**».

وهنا في شأن جمع القرآن وكتابته في صُحف، أشار عمر على أبي بكر بذلك وعرض عليه أهمية هذا الجمع ونفعه العظيم، وما زال عمر يراجع أبا بكر في هذا الشأن حتى شرح الله صدر أبي بكر للذي شرح له صدر عمر، وقام فأمر بجمع القرآن.

قال الحافظ ابن كثير: «وهذا من أحسن وأجلّ وأعظم ما فعله الصّدّيق ﷺ: فإنه أقامه اللهُ تعالى بعد النبي ﷺ مقامًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده: قاتل الأعداء من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم، ونفّذ الجيوش وبعث البعوث والسرايا، وردّ الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تَفَرُّقه وذهابه، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تَمَكَّن القارئ من حفظه كلِّه، وكان هذا من سِرِّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]، فجمع الصّدّيق الخير وكفّ الشرور رضي الله عنه وأرضاه»[(١)] .اهـ

(١) مقدمة التفسير (١/٣٠).

رابعًا : إنْفاذ أبي بكر لِعِدَاتِ النبي ﷺ وعهوده.

من أَجَلِّ أعمال خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر ﷺ إنفاذُ كل عِدَةٍ من عِدَات رسول الله ﷺ كان وعدها أحدًا ومات دونها؛ فقد حمل خليفة رسول الله ﷺ على عاتقه إنفاذ جميع عِدَات وعهود رسول الله ﷺ.

وقد كان رسول الله ﷺ مطمئنًا إلى ذلك قبل وفاته، بل كان يُحيل إلى صِدِّيقه وصاحبه وخليفته من بعده أبي بكر الوعود التي كان قد قطعها للناس، دلّ على ذلكَ ما رواه البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه جبير بن مطعم ﷺ قال: «**أتت امرأةٌ النبي ﷺ. فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: أرأيت إن جئتُ ولم أجدكَ؟ كأنها تعني الموت. قال النبي ﷺ: «إن لم تجديني فأتِ أبا بكر**».

أخرجه البخاري[1] في كتاب المناقب، وبوّب عليه: باب لو كنت متخذًا خليلا.

وأخرجه في كتاب الأحكام[2]، وبوّب عليه: باب الاستخلاف.

وعليه اعتمد كل علماء أهل السنّة والجماعة في الاستدلال على أن النبي ﷺ أخبر ونبّه أن الخليفة من بعده لن يكون إلا أبا بكر ﷺ، وهكذا كان؛ فقام أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ بإنفاذ وإنجاز عِدَات رسول الله ﷺ بعد وفاته. وهاك أبرز ما قام به الصديق في هذا السياق المبارك

أولا: استنقاذ درع رسول الله ﷺ من يد اليهودي.

كان للنبي ﷺ دِرْعٌ تُسمّى «ذات الفضول»، وكانت من حديد وقد اشترى النبي ﷺ طعامًا نسيئة وهو ثلاثون صاعًا من شعير من رجل يهودي اسمه: «أبو

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩).

(٢) حديث رقم (٧٢٢٠).

الشّحم»، وكان الأجل إلى سنة ورهنه درعه هذه.

قال البخاري في الصحيح: باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة.

وأخرج فيه حديثين: حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: «**اشترى النبي ﷺ طعامًا من يهودي إلى أجل ورهنه دِرْعًا من حديد**»[١]، وحديث أنس بن مالك ﷺ قال: «**لقد رهن النبي ﷺ دِرْعًا له بالمدينة عند اليهودي، وأخذ منه شعيرًا لأهله**»[٢].

وبوّب في الرهن فقال: باب من رهن دِرعه. وأخرج حديث عائشة ﵂.

واستمرت هذه الدرع مرهونة عند هذا اليهودي، وتوفي رسول الله ﷺ وهي كذلك، وفي حديث عائشة السابق بلفظ: «**توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين، يعني صاعًا من شعير**»[٣].

وهذه الدرع افتكّها وخلّصها من يد اليهودي خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر ﷺ. **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:** «وروى إسحاق بن راهوية في مسنده عن الشعبي مرسلا: أن أبا بكر افتكّ الدّرع وسلمها لعلي بن أبي طالب»[٤].اهـ

ثانيا: إنفاذ عدات رسول الله ﷺ.

أعلن خليفة رسول الله ﷺ إعلانًا عامًّا للناس: أن مَنْ كان له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليأتِنا ليقضيها الصديق ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٦٨).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٦٩).

(٣) صحيح البخاري (٤٤٦٧).

(٤) فتح الباري (١٠/٢٣١).

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين، وما وَعَد من مال البحرين. والجزية ولمن يقسم الفيء والجزية؟ وأخرج فيه حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ قال لي: «لو قد جاءنا مال البحرين قد أعطيتك هكذا، وهكذا، وهكذا» فلما قُبض رسول الله ﷺ وجاء مال البحرين، فقال أبو بكر: من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليأتني: فأتيته فقلت: إن رسول الله ﷺ قد كان قال لي: لو قد جاءنا مال البحرين لأعطيتك هكذا، وهكذا، وهكذا، فقال لي: احثه، فحثوتُ حثية، فقال لي: عُدّها، فإذا هي خمسمائة، فأعطاني ألفًا وخمسمائة»[(١)].

واعلم أن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ قام مقام رسول الله ﷺ في قبض الأموال وتوزيعها على ما كان رسول الله ﷺ يفعل، ومال البحرين هذا هو الجزية التي صالح النبي ﷺ عليها أهل البحرين وهي «هَجَر وما حولها»، قد جاء للنبي ﷺ في حياته وهو المال الذي جاء به أبو عبيدة ﷺ وأعطى منه من أعطى، ومنهم عمّه العباس بن عبد المطلب ﷺ.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: أُتِيَ النبي ﷺ بمال من البحرين، فقال: «انثروه في المسجد»، فكان أكثر مالٍ أُتي به النبي ﷺ، إذ جاءه العبّاس فقال: يا رسول الله أعطني إني فاديتُ نفسي وفاديتُ عَقِيلا، فقال: «خُذْ»، فحثا في ثوبه، ثم ذهب يُقلّه فلم يستطع، فقال: مُرْ بعضهم يرفعه إليَ، قال: «لا» قال: فارفعه أنت عليّ، قال: «لا»، فنثر منه، ثم ذهب يُقلّه فلم يرفعه، فقال: فمُرْ بعضهم يرفعه عليّ، قال: «لا»، قال: فارفعه أنت عليَ، قال: «لا»، فنثر منه، ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق فما زال يُتْبِعه بَصَرَه حتى خفي علينا عَجبًا من

(١) صحيح البخاري (٣١٦٤).

حرصه. فما قام رسول الله ﷺ وثَمَّ منها درهم»(١).

فلما وَلِيَ خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر ﷺ وقام بالأمر كتب كتابًا إلى أهل البحرين لجلب ما عليهم من مال وختمه بختم رسول الله ﷺ ولم يتخذ له خاتمًا خاصًا، بل لما كان عمله هو عين عمل رسول الله ﷺ كان يختم مثل هذه الكتب بنفس خاتم رسول الله ﷺ، وأرسل بهذا الكتاب أنس بن مالك ﷺ، **يقول أنس بن مالك ﷺ: «لما استُخلف أبو بكر بعثه - أي أنسًا - إلى البحرين، وكتب له هذا الكتاب، وختمه بخاتم النبي ﷺ، وكان نقشُ الخاتم ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر»**(٢). فلما جاء هذا المال أعلن أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ: أن من كان له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليأتني، فجاء جابر بن عبد الله ﷺ فحثى له ثلاث حثيات كما مَرَّ.

---

(١) صحيح البخاري (٣١٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٣١٠٦)، وبوّب عليه: باب ما ذُكر من دِرْع النبي ﷺ وعصاه، وقدحه، وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك.

الفصل الرابع

أبو بكر وقضية ميراث النبي ﷺ

هذه قضية مهمة يجب النظر فيها، وإيضاح ما وقع حقًا، وما صنع خليفة رسول الله ﷺ بإنفاذ حكم الله ﷻ وحكم رسوله ﷺ دون أي مجاملة لأحد ولو كان في مقام وشرف وجلالة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وهنا قضيتان يُنظر فيهما، وليست قضية واحدة:

القضية الأولى: ميراث رسول الله ﷺ، وهل يُورث كما يورث غيره؟

والقضية الثانية: من الذي يجب أن يقوم مقام رسول الله ﷺ في قسمة ما أفاء الله عليه، وفي قسمة صدقة رسول الله ﷺ؟

أما القضية الأولى: فلله تعالى فيها حكم ثابت محكم قائم راسخ لا يزول ولا يُنْسَخ وهو أنه ﷻ خص النبي ﷺ كما خص جميع أنبيائه في جملة ما خصهم به أنهم لا يُورثون ولا يقسم ما خلّفوا من مال قسمة الميراث بين ورثتهم، وهذا من خصائصهم الجليلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والفرق بين الأنبياء وغيرهم أن الله ﷻ صان الأنبياء عن أن يُورِّثوا دنيا؛ لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلّفوها لورثتهم، وأما أبو بكر الصّديق وأمثاله فلا نُبوَّة لهم يُقدح فيها بمثل ذلك. كما صان الله ﷻ نبينا عن الخطّ والشعر صيانة لنبوّته

عن الشبهة، وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة»[1].

وأما القضية الثانية: قد فكان أبو بكر ﷺ يرى أنه خليفة رسول الله ﷺ وأنه هو الذي يلي ذلك كما سيأتي.

أما تَرِكة رسول الله ﷺ التي تركها بعده: فعن عمرو بن الحارث[2] ﷺ قال: **«ما ترك رسول الله دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أَمَة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة»**[3].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «انفرد به البخاري دون مسلم فرواه في أماكن من صحيحه من طرق متعددة»[4].

وعن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: **«ما ترك رسول الله دينارًا ولا درهمًا ولا شأة ولا بعيرًا، ولا أوصى بشيء»**[5].

انفرد به مسلم دون البخاري. وهذا كل ما تركه النبي ﷺ.

وقد مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند رجل يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير كما في حديث عائشة ﷺ

قالت: **«اشترى رسول الله ﷺ طعامًا من يهودي إلى أجل، ورهنه درعًا من حديد»**[6]. وعنها قالت: **«توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين**

---

(١) منهاج السنة (١٩٥/٤).

(٢) صحابي فاضل وهو أخو جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ﷺ، الإصابة (٥٠٨/٤).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٩، ٢٨٧٣، ٣٠٩٨، ٤٤٦١).

(٤) البداية والنهاية (٤٠١/٥).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٣٥)، وأبو داود (٢٨٦٣)، والنسائي (٣٦٢٣،٣٦٢٤).

(٦) أخرجه البخاري (٢٢٠٠، ٢٥١٣، ٢٩١٦)، ومسلم (١٦٠٣).

صاعًا من شعير»[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قد وردت أحاديث كثيرة في ذكر أشياء كان يختصّ بها ﷺ في حياته، من دورٍ ومساكن نسائه وإماءٍ وعبيد وخيول وإبل وغنم وسلاح وبَغْلةٍ وحمار وثياب وأثاث وخاتم وغير ذلك. فلعله ﷺ تصدّق بكثير منها في حياته منجزًا، وأعتق من إمائه وعبيده، وأرصد ما أرصده من أمتعته مع ما خصّه الله به من الأرضين من بني النضير وخيبر وفدك في مصالح المسلمين ...... ، إلا أنّه لم يُخلِّف من ذلك شيئًا يورث عنه قطعًا»[٢].اهـ

طرق روايات وألفاظ حديث "لا نُورث":

❁ أولا: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وله روايات.

❁ **الرواية الأولى:** عن ابن شهاب الزهري: أخبرني عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أخبرته: **أن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورث، ما تركنا صدقة»: فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت. وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر. قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خَيْبَر وفَدَك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك. وقال: لستُ تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به: فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ. فأما**

(١) البخاري (٣٩١٦، ٤٤٦٧).

(٢) البداية والنهاية (٥/٤٠٤) بتصرف يسير.

صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ وعباس، وأما خيبر وفدك فأمسكها عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من وَلِيَ الأمر، قال: فهما على ذلك إلى اليوم»[1]. أخرجه البخاري وبوّب عليه: باب فرض الخُمُس.

۞ **الرواية الثانية**: رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وفيه: أن **فاطمة والعباس أتيا أبا بكر ﷺ يلتمسان ميراثهما: أرضه من فدك، وسهمه من خيبر**[2]. فزاد ذكر العباس مع فاطمة ﷺ. أخرجه البخاري وبوّب عليه: باب بني النضير.

۞ **الرواية الثالثة**: رواية الليث عن عُقَيْل عن ابن شهاب عن عروة عنها به، وفيه: **قال أبو بكر: «إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُوْرَث، ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال»، وإني والله لا أغيّر شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ»**[3]. أخرجه البخاري في باب غزوة خيبر.

۞ **الرواية الرابعة**: رواية هشام: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر، وفيه: **قال أبو بكر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا نُورث ما تركنا صدقةٌ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال»**. أخرجه البخاري[4] وبوّب عليه في كتاب الفرائض، باب: قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقةٌ».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣٥).

(٣) صحيح البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١).

(٤) صحيح البخاري (٦٧٢٥).

قلت: والقول المحقق على مقتضى لسان العرب أن قوله ﷺ: **«ما تركنا صدقةٌ»** أن «ما» هي الموصولة بمعنى الذي، وصدقةٌ بالرفع في كل ألفاظ وروايات الحديث في الصحيح وغيره؛ فتكون ما الموصولة في موضع الرفع على الابتداء، وصدقةٌ خبر مرفوع، والمعنى: الذي تركناه فهو صدقةٌ.

قال ابن مالك: «**ما**»: مبتدأ بمعنى الذي، و«**تركنا**»: صلة، والعائد محذوف، و «**صدقة**»: خبر"[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وادّعى الشيعة أنه بالنصب على أن «ما» نافية، ورُدَّ عليهم بأن الرواية ثابتة بالرفع، وعلى التَّنزُّل فيجوز النصب على تقدير حذف تقديره: ما تركنا مبذولٌ صدقةً، قاله ابن مالك، وينبغي الإضراب عنه، والوقوف مع ما ثبتت به الرواية»[2].اهـ

وقوله في الحديث: «**إنما يأكل آل محمد من هذا المال**» هو من تمام كلام النبي ﷺ. **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:** «وقوله فيه: «**إنما يأكل آل محمد من هذا المال**»، كذا وقع، وظاهره الحصر، وأنهم لا يأكلون إلا من هذا المال، وليس ذلك مرادًا، وإنما المراد العكس، وتوجيهه: أن مِنْ للتبعيض، والتقدير: إنما يأكل آل محمد بعض هذا المال، يعني بقدر حاجتهم، وبقيته للمصالح»[3].اهـ

❁ **الرواية الخامسة:** رواية مالك عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: **إن أزواج النبي ﷺ حين تُوفِّي رسول الله ﷺ أَرَدْنَ أن يَبْعَثْنَ عثمان بن عفان إلى أبي بكر يَسْأَلْنَه ميراثهنّ، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله ﷺ:**

---

(١) شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح (١٥٤).

(٢) فتح الباري (١٢٧/٢٥).

(٣) المصدر السابق.

«لا نُورث ما تركنا صدقة»؟[١].

وأخرجه البخاري من حديث شعيب عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: سمعت عائشة ﵂ قالت: **أرسل أزواج النبي ﷺ إلى أبي بكر يسألنه ثُمُنَهنّ مما أفاء الله على رسوله، فكنت أنا أَرُدُّهنّ، فقلت لهنّ: ألا تتقين الله، ألم تَعْلَمْنَ أن النبي ﷺ كان يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة»؟، يريد نفسه بذلك، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال، فانتهى أزواج النبي إلى ما أخبرتهن»**[٢].

۞ الحديث الثاني: حديث أبي هريرة ﷺ:

أخرج البخاري من طريق مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يقتسم ورثتي دينارًا، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»**[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال محمد بن التين: «لايقتسمُ» كذا في الموطأ وكذا قرأته في البخاري برفع الميم على أنه خبر، والمعنى ليس يقسم، ورواه بعضهم بالجزم كأنه نهاهم إن خَلَّفَ شيئًا لا يُقْسم بعده، فلا تعارض بين هذا وما تقدم في الوصايا من حديث عمرو بن الحارث الخزاعي[٤]: **«ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا»**، ويحتمل أن يكون الخبر بمعنى النهي فيتحد معنى الروايتين، ويستفاد من رواية الرفع أنه أخبر أن لا يُخَلِّف شيئًا مما جرت العادة بقسمته كالذهب والفضة، وأن الذي يُخَلِّفُه من غيرهما لا يقسم أيضًا بطريق الإرث بل

---

(١) البخاري (٦٧٣٠) وهو في موطأ مالك (٢/٩٩٣)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) صحيح البخاري (٤٠٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٢٩)، وهو في الموطأ (٢/٩٩٣).

(٤) هو من بني المصطلق من خزاعة.

تقسم منافعه لمن ذُكر»[١].اهـ

وفي حديث أبي هريرة فائدة مهمة: وهي أن نفقة نسائه وهنّ أزواجه التسع التي مات عنهن تستمر من هذا المال الذي تركه النبي ﷺ، وذلك يشمل كسوتهنّ وسائر اللوازم ومن ثَمَّ استمرت المساكن التي كُنَّ فيها في حياة النبي ﷺ كل واحدة باسم التي كانت فيها[٢].

وقد بوّب البخاري -رحمه الله- على المسألتين النفقة والمساكن:

فقال في كتاب فرض الخُمُس: باب نفقة أزواج النبي ﷺ بعد وفاته، وأخرج حديث أبي هريرة هذا [٣] مع أحاديث أخرى.

وقال بعده: باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، وما نُسِبَ من البيوت إليهنّ.

وكذلك نفقة «عامله» تستمر من هذا المال، وقد اختلف في بيان المراد بعامله على أقوال: أصحها أنه: القَيِّم على أرضه وسهامه فهي وقف ولابدّ لها من قَيِّم عامل عليها، وهذا ما اختاره الإمام البخاري فترجم في كتاب الوصايا: باب نفقة قَيِّم الوقف.

❁ الحديث الثالث: حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ

عن مالك بن أوس بن الحدثان النصري[٤] قال: **«بينا أنا جالس في أهلي حين مَتَعَ النهار إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجبْ أمير المؤمنين:**

---

(١) فتح الباري (١٢٩/٢٥) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (١٣٠/٢٥).

(٣) البخاري (٣٠٩٦).

(٤) تابعي كبير، قال البخاري: قال بعضهم: له صحبة، ولا يصح، والنَّصري نسبة إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، التاريخ الكبير (١٢٩٦/٧).

فانطلقت معه حتى أَدخل على عمر. فإذا هو جالس على رِمَال سرير ليس بينه وبينه فِراش، مُتَّكِئ على وسادة من أدم، فَسَلّمْتُ عليه ثم جلست، فقال: يا مال[١] إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرتُ لهم بِرَضْخٍ: فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلتُ: يا أمير المؤمنين لو أمرتَ به غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينا أنا جالس عنده أتاه حاجبه «يَرْفَأُ» فقال: هل لك في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد بن أبي وقاص يستأذنون؟ قال: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، فسلموا وجلسوا، ثم جلس «يرفأ» يسيرًا، ثم قال: هل لك في عليٍ، وعبّاس؟ قال: نعم، فأذن لهما، فدخلا، فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا، وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير، فقال الرّهط (عثمان وأصحابه): يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرِحْ أحدهما من الآخر، قال عمر: تيِدَكم[٢]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورث ما تركنا صدقةٌ» يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على عليٍ وعباس فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قال عليٌّ وعباس: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر. إن الله قد خصّ رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ ﴾ [الحشر:٦]، فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، ووالله ما احتازها

---

(١) ترخيم لاسم مالك.

(٢) أي: اصبروا وأمهلوا.

دونكم ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مَجْعَل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك في حياته، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعليٍّ وعباس: أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال عمر: ثم توفّى الله نبيّه ﷺ فقال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله ﷺ، فقبضها أبو بكر، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، والله يعلم: إنه لصادقٌ بارٌّ راشدٌ تابع للحقّ، ثم توفى الله أبا بكر فكنتُ أنا وليّ أبي بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم إني فيها لصادق بارّ راشد تابع للحقّ، ثم جئتماني تكلماني، وكلمتكما واحدة وأمركما واحد، جئتني يا عبّاس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا - يريد عليًّا - يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورث، ما تركنا صدقة»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما، قلتُ: إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملتُ فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا؛ فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على عليٍّ وعباس فقال: أنشدكما بالله، هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان منّي قضاءً غير ذلك؟ فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاءً غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليّ، فإني أكفيكماها». أخرجه البخاري من حديث مالك بن أنس[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٤)، من طريق مالك عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان به، وهو مما حدّث به مالك خارج الموطأ.

وأخرجه البخاري من حديث شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال: أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان به، وفيه قال الزهري: فحدّثت هذا الحديث عروة بن الزبير، فقال: صدق مالك بن أوس: أنا سمعت عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ تقول: فذكر حديثها السابق، ثم قال عروة بن الزبير: فكانت هذه الصدقة بيد عليٍّ، منعها عليٌّ عباسًا، فغلبه عليها، ثم كان بيد حسن بن عليّ، ثم بيد حسين بن عليّ، ثم بيد عليّ بن حسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها، ثم بيد زيد بن حسن، وهي صدقة رسول الله ﷺ حقًا[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وروى عبد الرزاق عن معمر - هو ابن راشد - عن الزهري مثله، وزاد في آخره: قال معمر: ثم كانت [٢] بيد عبد الله بن حسن حتى وَلِيَ هؤلاء يعني بني العباس فقبضوها. وزاد إسماعيل القاضي: أن إعراض العباس عنها كان في خلافة عثمان. قال عمر بن شَبَّة: سمعتُ أبا غسان هو محمد بن يحيى المدني يقول: إن الصدقة المذكورة اليوم بيد الخليفة يُكْتَب في عُهْدَةٍ يُولي عليها مِنْ قِبَلِه من يقبضها ويفرقها في أهل الحاجة من أهل المدينة. قلت: كان ذلك على رأس المائتين، ثم تغيرت الأمور، والله المستعان»[٣].

وفي هذا دلالة صريحة على أن صدقة رسول الله ﷺ صارت كلها بيد علي بن أبي طالب من زمن عثمان إلى خلافته هو ووفاته. ثم ابنه الحسن ثم الحسين، ثم في أحفاده ولم يُغيّر عليّ ولا أهل بيته من فعل الشيخين أبي بكر وعمر شيئًا.

وبهذا يظهر بجلاء اتفاق الخلفاء الراشدين الأربعة على ما فعله أبو بكر

---

(١) صحيح البخاري (٤٠٣٤).

(٢) أي بعد زيد بن حسن.

(٣) فتح الباري (١٨٤/١٢).

الصديق واتباعه في ذلك، فأرغم الله تعالى أنوف الروافض.

أحكام هذا الحديث:

تعتبر الروايات التي ذكرناها في المبحث السابق أصح وأجود روايات حديث «لا نورث ما تركنا صدقةٌ» وهي التي اعتمدها صاحبا الصحيحين البخاري ومسلم. ومن دراسة هذا الحديث وتأمل ألفاظه وطرقه ورواياته نستطيع أن نتوصل لجملة من الأحكام والفوائد المهمة:

* الفائدة الأولى:

اتفق على سماع حديث «لا نورث ما تركنا صدقةٌ» من رسول الله ﷺ والشهادة بأنه قاله كلٌ من:

- الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ.
- وأمهات المؤمنين خصوصًا عائشة رضي الله عنهنّ.
- ومن العشرة المبشرين بالجنة بالإضافة إلى الخلفاء الأربعة: سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله[(١)] ﷺ.
- ومن آل بيت النبي ﷺ بالإضافة إلى عليٍّ ﷺ كبيرهم وهو العباس بن عبد المطلب ﷺ.
- ومن بقية الصحابة: أبو هريرة ﷺ.

ومن نوادر الأحاديث أن يتفق هؤلاء الصحابة كلهم على سماعه من رسول الله ﷺ، وبهذا يُرْغم أنف أهل الرفض الزاعمين أن أبا بكر ﷺ انفرد بروايته عن رسول الله ﷺ.

---

(١) ذكر طلحة بن عبيد الله ﷺ ورد في رواية الإمام أحمد في المسند (١/٢٥، ١٦٢، ١٦٤). قال الحافظ ابن كثير: إسناده على شرط الشيخين. البداية والنهاية (٥/٤٠٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ردّه على الرافضي الزاعم لذلك: «إن قوله - أي الرافضي- : «والتجأ - يعني أبا بكر - في ذلك إلى رواية انفرد بها» فكذبٌ: فإن قول النبي ﷺ «لا نورث ما تركنا صدقة» رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ وأبو هريرة، والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصحاح والمسانيد، مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث؛ فقول القائل: إن أبا بكر انفرد بالرواية يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب»[(١)].اهـ

۞ الفائدة الثَّانية:

ظاهر من روايات حديث عائشة ﷺ لحديث «لا نورث ما تركنا صدقة» أن فاطمة ﷺ غضبت على أبي بكر وهجرته ولزمت بيتها حتى توفاها الله، وذلك بعد ستة أشهر من وفاة رسول الله ﷺ، وقد ذكر لها الصّدّيق حكمَ الله وحكم رسوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة». فما سبب غضبها من أبي بكر؟ وما وجهه؟ والجواب: أنها قطعًا ويقينًا لم يكن غضبها ﷺ ردًّا لحكم الله ورسوله ﷺ: فمقامها وإيمانها يأبيان ذلك، بل الظنّ بها أنها قبلت وسلمت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذه الأحاديث الثابتة المعروفة عند أهل العلم، وفيها ما يبين أن فاطمة ﷺ طلبت ميراثها من رسول الله ﷺ على ما كانت تعرف من المواريث، فأُخبرت بما كان من رسول الله ﷺ فسَلّمَتْ ورجعت»[(٢)].اهـ

---

(١) منهاج السنة (١٩٥/٤، ١٩٦).

(٢) منهاج السنة (٢٣٤/٤).

أما قول بعض هلكى الروافض إن غضب الزهراء من أبي بكر رضي الله عنهما كان عن شك منها في عدالته وعدم تصديق لما أخبرها به فيجاب عنه بأن ذلك بعيد جدًا؛ حيث كان بإمكانها أن تسأل زوجها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمّها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن هذا الحديث الذي حَدّثها أبو بكر رضي الله عنه لتجد الجواب الواضح.

هذا وقد أشكل ذلك على علماء الإسلام، وقَدّموا له أجوبة:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وأما تغضّب فاطمة - رضي الله عنها وأرضاها- على أبي بكر - رضي الله عنه وأرضاه- فما أدري ما وجهه، فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث، فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله، وهي ممن تنقاد لنصّ الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث، وليس يظن بفاطمة رضي الله عنها أنها اتّهمت الصّدّيق رضي الله عنه فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وعائشة رضي الله عنهم أجمعين؟! ولو تفرّد بروايته الصّدّيق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك، وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصّدّيق إذ كانت هذه الأراضي صدقة لا ميراثًا أن يكون زوجها[(١)] ينظر فيها، فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضًا عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ، ويلي ما كان يليه رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال: «وإني والله لا أدع أمرًا كان يصنعه فيه رسول الله ﷺ ألا صنعته»[(٢)].اهـ

(١) أي علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) البداية والنهاية (٥/٤٠٧، ٤٠٨).

وما ذكره الحافظ ابن كثير - رحمه الله - من أن غضب فاطمة ﷺ من أبي بكر ﷺ إنما كان في أنها أرادت أن تقبض هي وزوجها عليّ ﷺ صدقة رسول الله ﷺ ويقوما عليها ويليا نظارتها ويعملا فيها بما كان النبي ﷺ يعمله هو المُتَعَيّن. وكان الصّدّيق يرى أنه هو القائم بالأمر بعد رسول الله ﷺ، وقد ورث عن رسول الله ﷺ الديانة والأمة والدولة فقام بها خير قيام، وأقام أمر الدين بعد الانثلام، وجمع الأمة بعد الفرقة والخصام، فهو الأحق والأولى بأن يلي صدقة رسول الله ﷺ وسِهَامه كما كان رسول الله ﷺ يقوم بها.

وهذا ما قاله الإمام القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق أحد أصحاب الإمام مالك، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال إسماعيل القاضي فيما رواه الدارقطني من طريقه: لم يكن - أي مخاصمة عليّ وعباس عند عمر - في الميراث، وإنما كان في وِلاية الصدقة وفي صرفها كيف تصرف»[١]. **قلت:** ولذلك دفعها أمير المؤمنين عمر إليهما، ولما صار الأمر بعد إلى عليّ ما غيّر شيئًا من ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد اعترف علماء أهل البيت بصحّة ما حكم به أبو بكر في ذلك، ثم ساق من الدلائل للبيهقي[٢] بسنده عن فضل بن مرزوق قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أما أنا فلو كنتُ مكان أبي بكر ﷺ لحكمت بما حكم به أبو بكر في فَدَك»[٣].اهـ

والعجيب أن البيهقي -رحمه الله- أخرج هذا الأثر من طريق إسماعيل بن إسحاق القاضي، قال: حدثنا نصر بن عليّ، قال: حدثنا ابن داود، عن فضيل بن

---

(١) فتح الباري (١٢/١٨٣).

(٢) دلائل النبوة (٧/٢٨١).

(٣) البداية والنهاية (٥/٤١٢).

مرزوق، قال: قال زيد بن عليّ بن الحسين. به: فعرفنا من أين أخذ القاضي إسماعيل بن إسحاق قوله السابق.

۞ الفائدة الثَّالثة:

لم تكن فاطمة وحدها التي سألت نصيبها من تركة رسول الله، بل طلبه العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ، وكذلك هَمَّ نساء النبي ﷺ أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر يَسْأَلْنه ثُمنهنَّ من ميراث رسول الله ﷺ، فقامت عائشة رضي الله عنها بردعهنّ، وتذكيرهن بما عَلِمْنه من قبل بحكم رسول الله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال**»، فلما ذكَّرتهنّ تذكرنَ، ولما وعظتْهنّ إتَّعظن والتزمن حكم الله ﷻ وحكم رسوله ﷺ.

۞ الفائدة الرابعة:

لما قَبض خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه صدقة رسول الله ﷺ ليقسمها كما كان رسول الله يقسمها جاءته فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ وطلبت منه نصيبها من هذا المال الذي تركه رسول الله ﷺ، وهو سهمه من خيبر وفَدَك وبني النضير، وظاهر من كل الروايات أن فاطمة رضي الله عنها لم يكن انتهى إليها علمٌ بحكم رسول الله ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»، فما زاد خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر على أن ذكر لها حكم رسول الله ﷺ المُلْزم لها وله ولجميع المسلمين بأنه ﷺ لا يُورث كما يورث غيره، تمامًا كما فعلته ابنته عائشة رضي الله عنها مع بقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

۞ الفائدة الخامسة:

لم يترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة، إنما ترك أرض بني النضير التي بالمدينة، وهي ما أفاءه الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون

بخيل ولا ركاب، وكذا خمسه من خيبر وهي صدقته التي دفعها أمير المؤمنين عمر ﷺ لعلي وعباس ﷺ يقومان عليها، ويعملان فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر وبما عمل هو فيها سنتين من خلافته، وهي التي غلب عليٌّ العباس عليها وبقيت في يد أبنائه الحسن ثم الحسين ثم عليّ بن الحسين زين العابدين ثم حسن بن حسن ثم بيد زيد بن حسن، ثم صارت بيد عبد الله بن حسن، حتى قام بنو العباس فقبضوها.

وذلك أنه كانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا: بنو النضير، وخيبر، وفَدَك: فأما بنو النضير: فكانت حُبُسًا لنوائبه، **وأما فَدَك**: فكانت حُبُسًا لأبناء السبيل، **وأما خيبر**: فجزأها رسول الله ﷺ ثلاثة أجزاء: جزأين بين المسلمين وجزءا نفقة لأهله، فما فضل عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين، ثبت هذا عن أمير المؤمنين عمر ﷺ[١].

ولما تولى عثمان ﷺ قبض فدكًا متأولا أنها لمن يلي أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ، ثم أقطعها عثمانُ مروانَ بن الحكم فقسمها في بنيه، حتى ولي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ﷺ فردّها إلى ما كان عليه الحال في زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر.

فأخرج أبو داود في سننه بسند صحيح[٢] عن مغيرة بن مقسم قال: «**جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان حين استخلف، فقال: إن رسول الله ﷺ كانت له «فدك»، فكان ينفق منها، ويعود منها على صغير بني هاشم، ويزوّج منها أيِّمَهم، وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى، فكانت كذلك في حياة رسول الله ﷺ**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٦٧/٣).

(٢) سنن أبي داود (٢٩٧٢/٣)، من طريق جرير هو ابن عبد الحميد، عن مغيرة هو ابن مقسم، الإمام الحافظ الفقيه الثقة الثبت. تهذيب التهذيب (٤٩٦/٥)، ومن طريق أبي داود أخرجه البيهقي في السنن (٣٠١/٦).

حتى مضى لسبيله. فلما أن ولي أبو بكر عمل فيها بما عمل النبي ﷺ في حياته حتى مضى لسبيله. فلما أن وليَ عمر عمل فيها بمثل ما عملا حتى مضى لسبيله. ثم أُقْطِعَهَا مروان[(١)]، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: فرأيتُ أمرًا منعه رسول الله ﷺ فاطمة ليس لي بحق. وأنا أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت. يعني على عهد رسول الله ﷺ».

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: «وأما عثمان بن عفان فكان يرى أنّ ذلك للقائم بأمور المسلمين، يصرفه فيما يرى من مصالح المسلمين: ولذلك أقطعه مروان وفعل عثمان هذا ومذهبه هو قول قتادة والحسن»[(٢)].

ومما تقدم نعلم أن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه يدور مع الحق حيث دار. وما غادر بفعله سنة وهدي رسول الله ﷺ في كل الأمور. ومع ذلك ما طابت نفسه ولا قرَّت عينه ولا هدأ باله وفاطمة الزهراء بضعة رسول الله ﷺ واجدةٌ في نفسها عليه. فَتَلَطَّف حتى دخل عليها يزورها في مرضها. فجعل يترضَّاها ويتقرب إليها بجميل القول والعذر حتى ذهب كل ما في نفسها ورضيت غاية الرضى رضي الله عنها وعن الصّدّيق خليفة رسول الله ﷺ.

يروي لنا ذلك التابعي الكبير عامر بن شراحيل الشعبي فيقول: **«لما مرضت فاطمة رضي الله عنها أتاها أبو بكر رضي الله عنه فاستأذن عليها. فقال لها عليٌّ: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك. فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال عليٌّ: نعم: فأذنت له. فدخل أبو بكر وجلس إليها وجعل يترضاها ويتلطف إليها وقال: والله ما تركتُ**

---

(١) أُقطِعها مروان: هكذا بالبناء للمجهول. والمعنى أن أحد الخلفاء بعد عمر أقطعه إياها وهو الخليفة عثمان بن عفان.

(٢) التمهيد (١٧١/٨).

الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. ثم ترضّاها حتى رضيت»[١].

فالحمد لله رب العالمين، وارض اللهم عن تلك القلوب الطاهرة النقية والنفوس المؤمنة الجليلة، واسلك بنا سبيلهم، واجمعنا بهم، واخز اللهم من عاداهم أو تمادى في ذمهم أو انطوى قلبه على الغلّ والحقد عليهم من حزب الروافض وأشياعهم، لا كثّرهم الله ﷻ.

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٣٠١/٦)، قال الحافظ ابن كثير: «وهذا سند جيد قوي، والظاهر أن عامرًا الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي». البداية والنهاية (٤١١/٥).

الباب الثاني

أبو بكر الصّدّيق ﷺ
في القرآن الكريم

هذا الباب هو المقصود في هذا الكتاب.

وسأذكر الآيات التي ورد لأبي بكر رضي الله عنه فيها ذكر، سـواء كان في:

- ✓ سبب النزول.
- ✓ كونه هو المقصود تحديدًا.
- ✓ كونه هو إمام ورأس المقصودين بالآية.
- ✓ تزكية القرآن الكريم له.
- ✓ تفاسيره للآيات الكريمة.
- ✓ تفسير الصحابة أو التابعين للآية بأن المقصود بها أبو بكر رضي الله عنه.

وسأذكر الآيات مرقمة بالأرقام، وسأوردها بحسب ترتيب المصحف الشريف.

وبالله التوفيق.

الباب الثاني

أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في القرآن الكريم

[١]

قوله جل جلاله: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ [البقرة: ١].

نقلتْ عددٌ من مصادر التفسير عن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه أنه قال: «لله تعالى في كل كتاب سرّ، وسرّ الله في القرآن أوائل السُّوَر»(١). وجميع المصادر ذكرته منسوبًا للصدِّيق رضي الله عنه هكذا بدون أي إسناد، ولم يُسْنِده أحد من مُسْنِدي المفسرين كالطبري وابن أبي حاتم، ولم يذكره السيوطي في الدر المنثور.

وذكر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره أن هذا القول من كون الحروف المقطعة سِرُّ الله في كتابه، وكونها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله هو قول الإمام الشعبي والإمام سفيان الثوري، ثم قال القرطبي: «ورُوِي هذا القول عن أبي بكر الصديق، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما»(٢).

---

(١) هكذا نقله الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (١٩/٣)، وكذا نقله البغوي في تفسيره معالم التنزيل (٥٨/١)، وكذا ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٢٠/١)، وتفسير الخازن (٢٦/١، ١٣٣، ١٣٤)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١٦٢/١).

(٢) تفسير القرطبي (١٠٨/١).

وهذا القول نسبه الحافظ ابن كثير إلى كلٍّ من: الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خثيم، وهو اختيار الحافظ أبي حاتم بن حبان البُستي[١].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٤١).

[٢]

قال الله ﷻ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

ثبت عن أبي بكر ﷺ أنه كان إذا قرأ الفاتحة في الركعة الثالثة الوترية من صلاة المغرب قرأ بعدها هذه الآية الكريمة.

ففي الموطأ، عن أبي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك، عن عُبادة بن نُسَيّ، عن قيس بن الحارث، عن أبي عبد الله الصُّنَابحي[1] قال: **«قدمتُ المدينة في خلافة أبي بكر الصّديق، فصلّيتُ وراءه المغرب، فقرأ في الركعتين الأوليين بأمّ القرآن وسورةٍ؛ سورةٍ من قصار المفصّل، ثم قام في الثالثة فدنوتُ منه حتى إن ثيابي لتكاد أن تَمسّ ثيابه، فسمعته قرأ بأم القرآن، وبهذه الآية: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾»**[2].

زاد عبد الرزاق في المصنف: **«قال أبو عبيد، وأخبرني عُبادة أنه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته، فقال عمر بن عبد العزيز لقيس بن الحارث: كيف أخبرتني عن أبي عبد الله - يعني الصُّنابحي-؟ فَحدَّثه، فقال عمر: ما**

---

(١) هو عبد الرحمن بن عُسَيْلَة بن عَسَل المُرادي الصُّنَابحي، تابعي فقيه كبير ثقة. رَحل إلى النبي ﷺ فوجده قد توفي قبل وصوله بخمس ليالٍ. التهذيب (٣/٣٧٥).

(٢) الموطأ (١/٧٩)، ومن طريق مالك أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٦٩٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١/٤٠٧) ولكن من طريق محمود بن الربيع عن الصُّنَابحي. قال الحافظ الدار قطني في العلل (١/٦٤): «والقول قول مالك ومن تابعه. وروى هذا الحديث: عبد الله بن عون عن رجاء بن حَيْوة عن محمود بن الربيع عن الصنابحي، عن أبي بكر. وهو صحيح عنه».

تركناها منذ سمعناها، وإن كنت قبل ذلك لعلى غير ذلك. فقال رجل: على أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك؟ قال: كنت أقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١]»(١).

قلت: وقراءة أبي بكر ﷺ هذه الآية من سورة آل عمران في الركعة الثالثة من المغرب يدل على أمرين:

أولهما: أن قراءة هذه الآية في ثالثة المغرب يُعمل به، ويُقتدى بالصّدّيق فيه وهو ما فعل ذلك إلا وله فيه علمٌ وتوقيف عن رسول الله ﷺ. هذا مع كونه رأس الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين أمرنا رسول الله بالاقتداء بهم كما في وصيته ﷺ. فعن العِرْباض بن سارية ﷺ قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وَجِلَتْ منها القلوب، وذَرَفَتْ منها العيون؛ قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مُوَدِّع فأوصنا. فقال ﷺ: «إنكم سترون بعدي فِتَنًا وأمورًا تنكرونها. فعليكم بسنتّي، وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، يمسكوا بها وعَضّوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور...**»(٢).

وها هو ذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يفرح بهذا العلم المأخوذ عن الصّدّيق ﷺ ويعمل به حتى إنه قال: «ما تركته منذ سمعته»، وهو يدل على مواظبته على ذلك.

الأمر الثَّاني: ذهب العلماء في تفسير قراءة أبي بكر ﷺ لهذه الآية إلى أنها بمنزلة الدعاء: وذلك لأنها واردة بصيغة الدعاء الذي تنوعت فيه مطالب السائل

---

(١) المصنف (١٠٩/٢، ١١٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٢٦/٤، ١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

واشتد إلحاحه في طلب المسألة، وجعلها في ثالثة المغرب وهي ركعة وترية مناسب لهذا الدعاء؛ والمغرب يُقال لها: وتر النهار.

قال الإمام عبد الرزاق: «وأخبرني محمد بن راشد قال: سمعت رجلا يحدث به مكحولا[١] عن سهل بن سعد، أنه سمع أبا بكر قرأها في الركعة الثالثة، فقال مكحول: إنه لم يكن من أبي بكر قراءة، إنما كان دعاءٌ منه»[٢]. **وقال مروان بن علي البوني في تفسير الموطأ:** «وأمَّا قراءته بهذه الآية فإنما كان على وجه الدعاء لا على وجه القراءة في الصلاة»[٣].

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: «وأمَا قول أبي بكر في الركعة الثالثة من المغرب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ فإنما هو ضرب من القنوت والدعاء؛ لِما كان فيه من أمر أهل الردة»[٤].اهـ

---

(١) هو الإمام مكحول الشامي أبو عبد الله، الإمام المحدث الفقيه، من تابعي أهل الشام. قال الترمذي: سمع مكحول من أنس بن مالك وأبي هند الداري وواثلة بن الأسقع. التهذيب (٥/٥١٠).

(٢) المصنف (٢/١١٠).

(٣) تفسير البوني للموطأ (١/١٨٦).

(٤) الاستذكار (٣/١٤٧).

[٣]

قوله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ثبت عن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال: **«الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه»**. فكان علي بن أبي طالب يقول: **«كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين**[١] **أحباء الله، وكان أبو بكر أشكرهم وأحبهم إلى الله»**[٢].

هذه شهادة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ﷺ للصّدِّيق ﷺ أنه المخصوص بهذه الآية الشريفة، وأنه ﷺ أهلها وأحق الناس وأولاهم بها، بل إنه إمام وأمير أولئك الشاكرين لله تعالى على نعمة النبوة والبعثة المحمدية الشريفة وما أجلها من نعمة.

---

(١) كذا بهذا اللفظ في بعض نُسَخ تفسير الطبري، وكذا نقلها السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٣٨). وفي بعض نُسَخ الطبري (أمير الشاكرين). وكذا نُقِلت في موسوعة التفسير بالمأثور (٥/٥٧٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره بسند فيه سيف بن عمر هو التميمي وهو متهم بالتشيع، وهذا الأثر خلاف التشيع تمامًا، فاحتمال صحته وارد جدًا، وفي سنده راوٍ اسمه: أبو رَوْق، يروي هذا الأثر عن الصحابي أبي أيوب الأنصاري عن علي ﷺ، وأبو رَوْق هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي، ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة. وقال: هو صاحب التفسير. وقال أحمد والنسائي ويعقوب بن سفيان: لا بأس به. انظر التهذيب (٤/١٣٨).

وتستمر شهادة أئمة آل بيت رسول الله ﷺ للصّدّيق ﷺ:

فهذا الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رحمه الله - يقول: «**أبو بكر الصّدّيق إمام الشاكرين، ثم قرأ: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾**»(١).

وكذا قال العلاء بن بدر: «**أبو بكر أمين الشاكرين، وتلا هذه الآية: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾**»(٢).

هذا ولأبي بكر ﷺ خصوصية علمية شرعية عظيمة بهذه الآية الكريمة، فهو الذي استحضرها وتلاها على رؤوس الأشهاد في أصعب الأوقات، وأعصب الأحوال وأشدها، وذلك يوم وقوع قاصمة الظهر، التي طاشت لهولها العقول، وذُهلت القلوب، وخارت القوى من أشدّاء الرجال، وهو يوم وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام.

وبلغ من هول الموقف أن رجلا في قوته وعزمه وهو عمر بن الخطاب ﷺ ذهل لبّه وما تحمل هول الفاجعة: فقام يتكلم في الناس ويقول: «**ما مات رسول الله وإنما ذهب إلى ميقات ربه كما ذهب موسى إلى ميقات ربه، وليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ قد مات**»(٣).

---

(١) أخرجه الدار قطني في كتاب فضائل الصحابة (أثر رقم :٥٦). وكذا ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦٠/١٩) من طريق هاشم بن البريد أبي علي الكوفي؛ قال عنه الإمام أحمد في رواية أبي طالب: لا بأس به، ووثقه يحي بن معين في رواية إسحاق الكوسج، وفيه تشيع قليل، وقال الدار قطني: مأمون، وهذا الأثر من أبعد ما يكون عن التشيع، فهو صحيح إذن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥٥/٣) من طريق جرير هو ابن عبد الحميد، عن مغيرة هو ابن مقسم، عن العلاء بن بدر وهو العلاء بن عبد الله بن بدر الغنوي أبو محمد البصري. أرسل عن علي، ولم يدركه، وثقه يحي بن معين، وأبو حاتم الرازي، وابن حبان، عِداده في التابعين، التهذيب (٤١٤/٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب: المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلا» برقم: (٣٦٦٧).

وهنا يتجلى الموقف العظيم للصديق ﷺ أخص القوم برسول الله ﷺ وأعلمهم بأحواله وأقربهم إليه مودّة ومنزلة، وكذلك يتجلى الدور العظيم والموقف الراسخ الحكيم للصديق في تثبيت الأمة على دينها، وتثبيت أمر الديانة، فخطب وتكلم، وسَكَّت عمر وغيره، وكان لهذه الآية الشريفة حضورها في علمه وكلامه ﷺ، حتى ظن الناس أنها إنما نزلت الساعة حين تكلم بها الصديق وتلاها على الناس، فيالله ذلك القلب الثابت، والنفس المطمئنة بقضاء الله، والعلم الراسخ ، فرضي الله عن صِدّيق الأمة، وعظيمها.

وقد أخرج الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه هذا الموقف الشريف الجليل من الصديق ﷺ مفصلا: ففي كتاب الفضائل رتّب البخاري فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ترتيبًا علميًا جميلا، فبدأ أولا بفضائله العامة التي يشترك فيها مع غيره من أصحاب النبي ﷺ خصوصًا المهاجرين مع التنبيه إلى خصوصيته، فقال: باب مناقب المهاجرين وفضلهم، منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قُحافة التيمي، وقول الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ [الحشر: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٤٠ الآية]، قالت عائشة، وأبو سعيد ، وابن عباس: **«وكان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار»**[(١)].

قلت: وهذا تنبيه من البخاري إلى فضل أبي بكر وتميّزه من بين جميع الصحابة ﷺ بأنه صاحب رسول الله ﷺ في الغار[(٢)]، ورأس المهاجرين والأنصار.

وفي هذا الباب أخرج حديث هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر وما جرى

---

(١) الجامع الصحيح (٣/٥).

(٢) سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله عند دراسة هذه الآية: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠].

لهما في الطريق والغار من حديث البراء بن عازب عن أبي بكر ﷺ[(١)]، وكذا من حديث أنس عن أبي بكر[(٢)].

ثم ثنّى البخاري بذكر شيء من خصائص أبي بكر التي فيها إشارة إلى استخلاف النبي ﷺ له في شأن الصلاة والإمامة، ثم الولاية بعد ذلك والخلافة. فقال البخاري: باب قول النبي ﷺ «سُدُّوا الأبواب إلا باب أبي بكر»، قاله ابن عباس عن النبي ﷺ[(٣)]، وفيه أخرج حديث أبي سعيد الخدري في ذلك[(٤)].

ثم ثلث بعد ذلك بإظهار القيمة العظيمة للصّدّيق ﷺ والموقف الشريف الثابت الراسخ بعد وفاة رسول الله ﷺ ونزول قاصمة الظهر على الصحابة رضي الله عنهم وبقية المسلمين، وفي هذا الباب ظهر عمق فهم واستحضار الصّدّيق ﷺ لكتاب الله ﷻ وخصوصيته بهذه الآية الشريفة.

فقال البخاري: باب فضل أبي بكر بعد رسول الله ﷺ.

وبعده باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلا» قاله أبو سعيد[(٥)]، وفي هاتين الترجمتين إشارة بخارية إلى مقام أبي بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ. وهذا المقام تم تفصيله في الباب الأول.

---

(١) حديث رقم (٣٦٥٢).

(٢) حديث رقم (٣٦٥٣).

(٣) الجامع الصحيح (٤/٥).

(٤) حديث رقم (٣٦٥٤).

(٥) الجامع الصحيح برقم (٣٦٦٧).

وفي هذا الباب أخرج البخاري عدة أحاديث في فضائل ومقامات الصديق منها:

حديث أم المؤمنين عائشة في استحضار أبي بكر ﷺ هذه الآية الكريمة واستشهاده بها في الوقت الذي ذهل عنها الجميع لهول الموقف وفاجعة النائبة. فعن عائشة ﷺ: «**أن رسول الله ﷺ مات، وأبو بكر بالسُّنْح فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله. قالت: قال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله فقبَّله فقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا، والله الذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رِسْلِك . فلمّا تكلّم أبو بكر جلس عمر، فحمد اللهَ أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال: فنشج الناس يبكون...**»[(١)].

ثم أعقبه البخاري برواية عبد الله بن سالم هو الحمصي المعلقة عن الزبيدي هو محمد بن الوليد عن القاسم عن عائشة قالت: «**شخص بصر النبي ﷺ، ثم قال: في الرفيق الأعلى ثلاثًا. وقص الحديث. قالت عائشة: فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خَوَّف عمر الناس. وإن فيهم لنفاقًا فردّهم الله بذلك. ثم لقد بصّر أبو بكر الناس الهُدى، وعرّفهم الحق الذي**

---

(١) البخاري حديث رقم (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

عليهم، وخرجوا يتلون ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤][١].

وفي موضع آخر: أخرج البخاري حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس، فأبى، فقال: اجلس فأبى، فتشهد أبو بكر فمال الناس إليه وتركوا عمر، فقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال ﷻ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس، فما سُمِع بشر إلا يتلوها»**[٢].

وقد تصرّف الإمام البخاري في إخراج حديثي عائشة وابن عباس رضي الله عنهم تصرفًا بديعًا أحب أن أسجله هنا؛ فأخرج حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كتاب الفضائل، من طريق هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها: **«أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح...»** وساقت الحديث في دخول أبي بكر على رسول الله بعد وفاته وتقبيله، ثم خروجه وإسكاته لعمر وخطبته العظيمة وتلاوته لهذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ثم قصة سقيفة بني ساعدة وخطبة أبي بكر فيها في شأن الخلافة، وبيعة

---

(١) حديث رقم (٣٦٦٩).

(٢) البخاري حديث رقم (١٢٤٢).

أبي بكر، وانتهى حديثها عند قول عمر عن سعد بن عبادة: «**قتله الله**»[١].

ثم عَلّق البخاري بعده رواية عبد الله بن سالم عن الزبيدي، قال عبد الرحمن بن قاسم أخبرني القاسم: أن عائشة قالت: **شخص بصر النبي ﷺ ثم قال: «في الرفيق الأعلى»** ثم ذكرت خطبة عمر ورد المنافقين وخطبة أبي بكر في تبصير الناس كما تقدم[٢].

وحديث عبد الله بن سالم هذا حديث معلق لم يصله البخاري في أي موضع آخر. وأفاد الحافظ ابن حجر أنه موصول في كتاب مسند الشاميين للحافظ الطبراني. وقال الحافظ في تغليق التعليق: «قال أبو القاسم الطبراني في مسند الشاميين: حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم بتمامه، ورواه ابن عبد البر في التمهيد»[٣]، وساقه من التمهيد[٤].

قلت: وقد وجدته في مسند الشاميين[٥]، قال الطبراني: حدثنا عمر بن إسحاق ابن إبراهيم بن العلاء، نا أبي، ثنا عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم، عن الزبيدي...ولكن لفظه عند الطبراني مخالف تمامًا ليس فيه مما ذكره البخاري شيء ولا كلمة واحدة. ولفظ الحديث عنده هكذا: «وددت أن يكون ذلك وأنا حي، فأصلي عليك وأدعو لك» ، قالت عائشة: عسى لي أن لا أراك تتمنى موتي، إني لأرى ذلك لو كان لغدوت مُعرّسًا ببعض نسائك، فقال: «لا، بل أنا وارأساه، لقد هممتُ أن أرسل إلى أبي بكر فأعهد، فإنه رُبَّ مُتمنٍّ وقائلٍ أنا، وسيدفع الله ويأبى

---

(١) البخاري برقم (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

(٢) البخاري برقم (٣٦٦٩).

(٣) تغليق التعليق (٤/٥٨، ٥٩).

(٤) هو في التمهيد (٢٢/١٢٩).

(٥) (٣/٧٢/١٨٢٥).

ذلك المؤمنون». ومثله لفظ الحديث كما رواه ابن عبد البر في التمهيد؛ وعليه: فاللفظ الذي ذكره البخاري لا يوجد عند غيره.

وفي كتاب الجنائز قال البخاري: باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أُدرج في أكفانه، ثم أخرج حديث معمر ويونس عن الزهري قال: أخبر أبو سلمة، أن عائشة قالت، وساق حديثها في دخول أبي بكر على النبي ﷺ بعد وفاته، وانتهى حديثها عند قول أبي بكر: «أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مُتّها»(١). ثم قال: **قال أبو سلمة: فأخبرني ابن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر يُكلّم الناس فقال: اجلس فأبى، فتشهد أبو بكر، فمال الناس إليه وتركوا عمر، فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس، فما يُسمع بشر إلا يتلوها»**(٢).

وفي كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته أخرج البخاري حديث الليث عن عُقَيل عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة: أن عائشة أخبرته: أن أبا بكر أقبل على فرس... وساق حديثها، إلى قول أبي بكر: «أما الموتة التي كُتبت عليك فقد متها»(٣).

---

(١) حديث رقم (١٢٤١).

(٢) حديث رقم (١٢٤٢).

(٣) حديث رقم (٤٤٥٢).

ثم قال: وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر يُكلم الناس....وساق الحديث، إلى قوله: «**فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها**». ثم قال: فأخبرني[١] سعيد بن المسيب أن عمر قال: «**والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقِرْت حتى ما تُقِلّني رجلايَ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات**»[٢].

قلت: رواية الزهري هذه عن سعيد بن المسيب عن عمر، موصولة بالسند السابق إلى الزهري وليست معلقة، وليس لها ذكر في صحيح البخاري إلا في هذا الموضع، وأفاد الحافظ في الفتح، أنها فاتت الحافظ المزي فلم يذكرها في الأطراف[٣]. وهذا يدل على أن الإمام البخاري يُصَحِّح سماع سعيد بن المسيب لعمر بن الخطاب فهو موافق للإمام أحمد في ذلك.

ثم أخرج البخاري حديث سفيان عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة وابن عباس «**أن أبا بكر قَبّل النبي ﷺ بعد موته**»[٤]. فعبيد الله جمع بين روايتي عائشة وابن عباس واختصر الحديث.

وأخرج البيهقي في الدلائل [٥] هذا الخبر من طريق عروة بن الزبير، عن عمر بن الخطاب ﷺ: «**أنه لما توفي النبي ﷺ قام فتوعد مَنْ قال: قد مات بالقتل والقطع، فجاء أبو بكر فقام إلى جنب المنبر، وقال: إن الله نعى نبيكم إلى نفسه**

---

(١) القائل: فأخبرني هو الزهري.

(٢) حديث رقم (٤٤٥٤).

(٣) فتح الباري: (٢٤/٨).

(٤) حديث رقم (٤٤٥٥، ٤٤٥٦).

(٥) (٢١٧/٧).

وهو حيٌّ بين أظهركم، ونعاكم إلى أنفسكم، فهو الموت حتى لا يبقى أحدٌ إلا الله. قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ **[آل عمران: ١٤٤] فقال عمر: هذه الآية في القرآن؟ والله ما علمت أن هذه الآية أُنزلت قبل اليوم، وقال: قال الله لمحمد:** ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾» [الزمر: ٣٠].

فظهر من هذا علم أبي بكر بمواقع كتاب الله، واستحضاره القرآن في أعظم المواقف وأشدها وأعصبها، وعلاقته بهذه الآية الشريفة من كتاب الله ﷻ، فثبّت الله ﷻ الناس كلهم بأبي بكر ﷺ في هذه الكائنة العظيمة، وأظهر ﷻ علم الصديق بكتابه.

ولم تنته بعد علاقة الصديق الوثيقة بهذه الآية الشريفة؛ حيث كان لها حضورها في عزمه على حروب الردة وإرجاع المرتدين والقيام بالدين، فأخرج ابن أبي شيبة في المصنف(١) بسنده إلى إبراهيم بن يزيد النخعي قال: **قال أبو بكر الصديق: «لو منعوني ولو عِقالا أعطوه رسول الله ﷺ: لجاهدتهم، ثم تلا:** ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ **[آل عمران: ١٤٤].**

---

(١) (٢٦٥/١٢)، وإبراهيم النخعي لم يدرك أبا بكر الصديق ولا أيامه.

[٤]

قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال ﷻ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

للصّدّيق ﷺ مع هاتين الآيتين موقف عظيم، وموقفه هذا هو سبب نزول هاتين الآيتين الكريمتين، وقد تداعت كتب التفاسير والسِّيَر على نقل وذكر خبر الواقعة العظيمة من أبي بكر ﷺ ونزول القرآن تصديقًا له، ونصرة له على اليهود أعداء الله وأعداء رسله عليهم السلام.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: **«دخل أبو بكر بيت المِدْرَاس[١]، فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يُقال له: فِنْحاص[٢]، وكان من علمائهم وأحبارهم، فقال أبو بكر: وَيْحَك يا فِنْحاص اتق الله وأسلم؛ فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، فقال فِنْحاص: والله يا أبا بكر ما بنا حاجة وفقر وإنَّ الله إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع**

---

(١) المِدْرَاس: مِفْعالٌ من الدرس، والمِدْرَاس هو حبر يهود وعالمهم، والبيت الذي يُدرس فيه الكتب. لسان العرب (٦/٨٠).

(٢) هو فِنْحاص بن عازوراء، حَبْر يهود بني قينقاع. انظر سيرة ابن هشام (٢/١٣٤).

إلينا، وإنا لأغنياء عنه، ولو كان غنيًا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم فينهاكم عن الربا ويُعطينا، ولو كان غنيًّا عنا ما أعطانا الربا؛ فغضب أبو بكر فضرب وجه فِنْحاص ضربة شديدة وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فذهب فِنْحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال أبو بكر: «يا رسول الله لقد قال قولا عظيمًا: يزعم أن الله فقير وأنَّهم عنه أغنياء؛ فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال فضربت وجهه»، فجحد فِنْحاص وقال: ما قلتُ ذلك؛ فأنزل الله ﷻ فيما قال فِنْحاص، تصديقًا لأبي بكر: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴿١٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨١ الآية]. ونزل في أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٦][1].

قال مجاهد، وعبد الله بن أبي نجيح، والسُّدِّي، ومقاتل: إن هذه الآية نزلت في خبر أبي بكر مع فِنْحاص اليهودي.

فالله - تعالى وتقدّس- ينزل القرآن العظيم ليثني على موقف الصّديق ﷺ وغضبه لله ﷻ وانتصاره لربّه جلّ وعلا من هذه المقالة الفاجرة الكافرة من عدوِّ

---

(١) أخرج هذا الأثر الإمام الطبري في تفسيره (٤٤١/٧) ، وابن أبي حاتم (٤٥٨٩/٣)، وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٥٥/١٢)، كلهم من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، أنه حدثه عن عكرمة عن ابن عباس به، وحَسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في فتح الباري (٩٢/١٧)، وله طريق أخرى عند الطبري (٤٥٥/٧)، من طريق ابن جريج عن عكرمة، عن ابن عباس به.

الله ﷻ ذلكم اليهودي المدعو فِنْحاص، وليُصَدِّق ﷻ قولَ الصّدّيق ﷺ ويفضح هؤلاء اليهود ويظهر كذبهم.

[٥]

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

أخرج أحمد في مسنده من حديث مسعر وسفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن عليّ بن ربيعة، عن أسماء بن الحكم الفزاري، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: «**كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته: فإذا حلف لي صدقته، وإنَّ أبا بكر حدثني - وصدق أبو بكر- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله إلا غفر الله له**»[١].

ورواه أحمد أيضًا من طريق ابن مهدي عن شعبة، عن عثمان بن المغيرة قال: سمعت عليّ بن ربيعة - من بني أسد- يحدّث عن أسماء أو ابن أسماء[٢] - من بني

---

(١) مسند أحمد (٧٢/١)، والترمذي (٣٠٠٦). وبيّن الترمذي الخلاف في رفعه ووقفه، قال الحافظ الدارقطني في العلل (١٥/١): «وأحسنها إسنادًا . وأصحها ما رواه الثوري، ومسعر. ومن تابعهما عن عثمان بن المغيرة».

(٢) الشك من شعبة، قاله الدار قطني في العِلَل (١٤/١).

فزارة- قال: قال عليّ بن أبي طالب، فذكره بنحوه. وزاد في آخره: وقرأ هاتين الآيتين: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠]، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقد توقف الإمام البخاري في أمر استحلاف عليّ ﷺ لمن يحدثه عن النبي ﷺ. وإنما كان عليّ ﷺ يفعل ذلك من باب الاستثبات، كما طلب أبو بكر ﷺ شاهدًا مع المغيرة بن شعبة في ميراث الجدة، وكما طلب عمر ﷺ شاهدًا مع أبي موسى ﷺ في قضية الاستئذان ثلاثًا.

قال الحافظ المزّي رحمه الله: «وما أنكره البخاري -رحمه الله- من الاستحلاف فقد كان عمر ﷺ يطلب البيِّنة من بعض الصحابة على صحة ما رواه - يعني لقصة أبي موسى معه في الاستئذان- والبيِّنة أغلظ من الاستحلاف»(١).

ومع هذا، فإن الصّدّيق أجل قدرًا وأعظم صدقًا ومقامًا عند علي بن أبي طالب ﷺ من أنْ يستحلفه، بل صَدّقه مباشرة.

(١) كذا نقله ابن كثير في مسند الصّديق (٢٢٥)، وكلام المزي في تهذيب الكمال (٢١١/١). وفيه: «والاستحلاف أيْسَرُ من سؤال البيِّنة».

[٦]

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢].

وقال ﷻ: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [النساء: ١٧٦].

للصّدّيق أبي بكر ﷺ تفسير مهم عظيم لمعنى «الكلالة» في هاتين الآيتين: فعن الإمام التابعي عامر الشعبي -رحمه الله- عن أبي بكر الصديق: **أنه سُئِل عن الكَلالة؟ فقال: أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله وإن يكن خطأً فمنّي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه، الكَلالة: «من لا وَلَد له ولا والد». فلما وَلِيَ عمر بن الخطاب قال: إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأيٍ رآه**(١).

هكذا أخرجه الطبري في تفسيره من عدة طرق:

الطريق الأول: من طريق علي بن مسهر، عن عاصم هو الأحول، عن الشعبي قال: قال أبو بكر... فذكره.

الطريق الثاني: من طريق هُشَيم، عن عاصم الأحول قال: حدثنا الشعبي، أن أبا بكر قال:... فذكره.

الطريق الثالث: من طريق سفيان هو الثوري، عن عاصم الأحول، عن الشعبي.

الطريق الرابع: من طريق سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن أبي بكر الصديق.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/٦٢٥، ٦٢٦).

وأخرج البيهقي الأثر من طريق يزيد بن هارون قال: أخبرنا عاصم الأحول، عن الشعبي به[١].

قلت: هذه أسانيد صحاح يرويها أئمة تنتهي إلى الإمام التابعي الكبير عامر بن شراحيل الشعبي عن الصديق أبي بكر. والشعبي لم يدرك أبا بكر الصديق: فقد ولد الشعبي في ولاية عمر بن الخطاب في ست خلت منها، وقيل: ولد بعد ذلك؛ فروايته هذه عن الصديق مرسلة، إلا أن الأئمة تَلَقَّوْا هذا التفسير عنه وَرَوَوْهُ، وقال الإمام أبو داود: «مرسل الشعبي أحب إليَّ من مرسل إبراهيم النخعي»[٢]، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: «لا يكاد الشعبي يرسل إلا صحيحًا»[٣].

ثم إن هذا التفسير لمعنى الكَلالة الذي قاله أبو بكر الصّدّيق كما رواه عنه الشعبي تلقاه الصحابة والتابعون والأئمة عنه وقبلوه وقالوا به في معنى الكلالة:

فقال به من الصحابة: عمر بن الخطاب[٤]، وابن عباس في رواية الحسن بن محمد ابن الحنفية أخرجها الطبري من ثلاثة طرق إلى عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد ابن الحنفية[٥]، عن ابن عباس ﷺ، وكذا من رواية سليم بن عبدٍ السلولي، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٦].

وقال به من التابعين والعلماء جماعة هم: سعيد بن جبير، وطاووس، وسليم بن عبد السلولي، وقتادة، والزهري، وأبو إسحاق السَّبيعي، والسدي، وعبد

---

(١) السنن الكبرى (٣٦٦/٦).

(٢) تهذيب التهذيب (٤٦/٣).

(٣) كتاب الثقات (١٢/٢).

(٤) الطبري (٦٢٦/٣)، وابن أبي حاتم (٨٨٧/٣)، من طريق طاووس عن ابن عباس عن عمر.

(٥) الطبري (٦٢٦/٣).

(٦) المصدر السابق.

الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم.

واختار هذا القول في معنى الكلالة الإمام مالك ونقل إجماع أهل المدينة عليه ،وعليه كان العمل عندهم.

فقال في الموطأ: «الأمر المجتمع عليه عندنا الذي لا اختلاف فيه والذي أدركتُ عليه أهل العلم ببلدنا أن الكَلالة على وجهين: فأمَّا الآية التي أُنزلت في أول سورة النساء التي قال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴿١٢﴾﴾ [النساء: ١٢]، فهذه الكلالة التي لا يرث فيها الإخوة للأم، حتى لا يكون ولدٌ ولا والد، وأما التي في آخر سورة النساء التي قال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] قال الإمام مالك: فهذه الكلالة التي تكون فيها الإخوة عصبة، إذا لم يكن ولدٌ فيورثون مع الجدّ في الكلالة لأنه أولى بالميراث منهم: وذلك أنه يرث مع ذكور ولد المتوفى السدس والإخوة لا يرثون مع ذكور المتوفى شيئًا...»[(١)].

هذا وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ مهتمًا بمعرفة معنى «الكَلالة»، وقد بلغ من اهتمامه أنه كثيرًا ما سأل عنها رسول الله ﷺ فكان يحيله إلى آخر آية في سورة النساء، كما هو ثابت في صحيح مسلم[(٢)] عن معدان بن أبي طلحة: **أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئًا أهمَّ عندي من الكَلالة: ما راجعتُ رسول الله في شيء ما راجعتُه في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه. حتى طعن بإصبعه في صدري**

---

(١) الموطأ (٢/٥١٥).

(٢) صحيح مسلم (١٦١٧) موصولا مطولا من طريق سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمر.

وقال: «يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء». وإني إن أَعِشْ أقضِ فيها بقضية. يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن».

والحديث أخرجه مالك في الموطأ(١) مرسلا ومختصرًا من طريق زيد بن أسلم.

وقد بيّن العلماء سبب سؤال عمر وتردده في معنى الكَلالة: **وذلك أن الكَلالة جاءت في القرآن الكريم في موضعين وفي كل موضع لها قسمة وإليك البيان:**

❁ **الموضع الأول:** وردت "الكلالة" في أول سورة النساء في آية الفرائض في قوله ﷻ: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١١ – ١٢] . وفيها قوله ﷻ: ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ﴾ .

وهذه الآية في معنى الكَلالة نزلت في خبر جابر بن عبد الله ﷺ عند البخاري وغيره عن محمد بن المنكدر: سمع جابر بن عبد الله يقول: **مرضت فعادني رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر، وهما ماشيان...** الحديث. وهذا الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في مواضع من ثلاثة طرق:

❁ **الطريق الأول:** من طريق شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر، وأخرجه في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: في الوضوء(٢) وفيه: **«يا رسول الله إنما يرثني كلالة. فنزلت آية الفرائض».**

---

(١) الموطأ (٢/٥١٥ح٧).

(٢) برقم (١٩٤).

والموضع الثاني: في التفسير[١] وفيه: «**لا يرثني إلا كلالة فنزلت آية الفرائض**».

والموضع الثالث: في المرضى[٢]، وفيه: «**إنما لي أخوات فنزلت آية الفرائض**».

۞ **الطريق الثاني:** من طريق سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: في التفسير[٣]، وفيه: «**كيف أصنع في مالي؟، كيف أقضي في مالي؟، فلم يجبني حتى نزلت آية الميراث**».

والموضع الثاني: في المرضى[٤] بنفس اللفظ.

والموضع الثالث: في التوحيد[٥] بنفس اللفظ.

۞ **الطريق الثالث:** من طريق هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، ولفظه: «**فقلت ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت:** ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ [النساء: ١١]، ورواية ابن جريج هذه بينت أن المراد بآية الفرائض في الروايات الأخرى إنما هي قوله ﷻ في أول سورة النساء: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

(١) برقم (٥٦٧٦).
(٢) برقم (٦٧٤٣).
(٣) برقم (٥٦٥١).
(٤) برقم (٦٧٢٣).
(٥) برقم (٧٣٠٩).

ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢].

وقد وضح الإمام البخاري هذا وبيّنه بيانًا شافيًا، فترجم على رواية ابن جريج: باب ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾، في كتاب التفسير، وأخرج الحديث من رواية ابن جريج عن ابن المنكدر وفيها التصريح بالإخبار من ابن المنكدر وفيها ذكر الآية.

وأعاد البخاري الترجمة في أول كتاب الفرائض فقال: كتاب الفرائض، وقول الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢]، وأخرج الحديث من رواية سفيان عن ابن المنكدر عن جابر، وفيه: «**فنزلت آية المواريث**»؛ فدلّ هذا على أن آية المواريث التي أخبر جابر بن عبد الله بنزولها بعد سؤاله لرسول الله ﷺ بقوله: «يا رسول الله إنما يرثني كلالة» إنما هي هذه الآية التي في أول سورة النساء: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأما قول البخاري في الترجمة: إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾، فأشار به إلى أن مراد جابر من آية الميراث قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ [النساء: ١٢].

إلا أن الحافظ ابن حجر حكم على رواية ابن جريج بالوهم فقال: «هكذا

وقع في رواية ابن جريج، وقيل إنه وَهِم في ذلك والصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر هذه الآية الأخيرة من النساء وهي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾» [النساء: ١٧٦]. **ولكنه عاد فذكر الإشكال في اختلاف الروايات في أي الآيتين نزل في قصة جابر. فقال:** «وقد أشكل ذلك قديمًا» ونقل عن ابن العربي ترجيح[١] أن آية قصة جابر هي التي في أول النساء كما رجحه البخاري، ثم استظهر الحافظ أنه ربما تكون كلا الآيتين التي في أول النساء والتي في آخرها نزلتا في قصة جابر[٢].اهـ

أما ما وقع في رواية مسلم للحديث من رواية عمرو الناقد عن سفيان بن عيينة في حديث جابر وفي آخره قال: «حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾» [النساء: ١٧٦][٣] الآية. فهذا وهم ويظهر أنه من عمرو الناقد: لأن رواية سفيان أخرجها البخاري من طريق ثلاثة من كبار أصحاب سفيان وهم: قتيبة بن سعيد، وعبد الله بن محمد الجعفي، وعلي بن المديني، وليس فيها ذكر نص الآية فيكون ذكر نص الآية التي في آخر سورة النساء في رواية عمرو الناقد وهم وقد تكون مدرجة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد تفطّن الإمام البخاري لذلك، فترجم في أول الفرائض، قوله ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١] إلى قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾، ثم ساق حديث جابر المذكور عن قتيبة عن ابن

---

(١) كلام ابن العربي في عارضة الأحوذي (٣١٨/١).

(٢) انظر فتح الباري (١٢٥/٢٥).

(٣) صحيح مسلم (١٦١٦).

عيينة وفي آخره: «حتى نزلت آية الميراث» ، ولم يذكر ما زاده الناقد فأشعر بأن الزيادة عنده مدرجة من كلام ابن عيينة».

ثم قال الحافظ أيضًا: «فمراد البخاري بقوله في الترجمة إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝١٢﴾ الإشارة إلى أن مراد جابر من آية الميراث قوله ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ ۝١٢﴾ [النساء: ١٢]، وأما الآية الأخرى وهي قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، فسيأتي في آخر تفسير هذه السورة، أنها من آخر ما نزل فكأن الكلالة لما كانت مجملة في آية المواريث استفتوا عنها فنزلت الآية الأخيرة.... **ثم قال الحافظ:** «فالحاصل أن المحفوظ عن ابن المنكدر أنه قال: آية الميراث أو آية الفرائض، والظاهر أنَّها: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، كما صرح به في رواية ابن جريج ومن تبعه»[١].اهـ

❁ **الموضع الثاني في القرآن الذي وردت فيه «الكلالة»:**

أما الموضع الثاني الذي وردت فيه الكلالة فهو آخر آية في سورة النساء وهي قوله ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦الآية]، وهي آية الصيف كما قال النبي ﷺ لعمر في مقابل آية الشتاء وهي آية المواريث في أول السورة. **وقد بوّب الإمام البخاري لهذه الآية في موضعين من الصحيح:**

❁ **الموضِع الأول:** في كتاب التفسير: قال: باب: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦ الآية]، ولم يخرج سوى حديث البراء بن عازب قال:

---

(١) فتح الباري (١٠٧/١٦).

«آخر سورة نزلت «براءة»، وآخر آية نزلت: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [النساء: ١٧٦][(١)].

۞ **الموضع الثاني:** في كتاب الفرائض قال: باب ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [النساء: ١٧٦ الآية]، وأخرج أيضًا حديث البراء السابق بلفظ: «آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [النساء: ١٧٦][(٢)].

وفي كلا الموضعين لم يخرج سوى حديث البراء بن عازب أن هذه الآية من آخر النساء هي آخر آية نزلت من القرآن الكريم.

وقد فسّر الإمام البخاري الكَلالة هنا بنفس تفسير أبي بكر الصديق؛ لأن تفسيره ﷺ للكَلالة صار هو الإمام والقاعدة والمرجع في معنى الكلالة للأمة كلها، **قال البخاري:** «والكلالة: من لم يرثه أبٌ ولا ابن»[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر معقبًا: «وهو قول أبي بكر الصديق، أخرجه ابن أبي شيبة عنه وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وروى عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن شرحبيل قال: ما رأيتهم إلا تواطئوا على ذلك، وهذا إسناد صحيح»[(٤)].اهـ

هكذا قال الحافظ، والذي وجدته في مصنف عبد الرزاق هو هذا: قال

---

(١) حديث رقم (٤٦٠٥).

(٢) حديث رقم (٦٧٤٤).

(٣) صحيح البخاري (٦/٥٠).

(٤) فتح الباري (١٧/١٣٦).

عبدالرزاق: «أخبرنا معمر عن الزهري وقتادة وأبي إسحاق عن عمرو بن شرحبيل قال: الكلالة من ليس له ولد ولا والد»[١]. ولكنه في تفسير عبد الرزاق[٢] باللفظ الذي نقله الحافظ.

وعمرو بن شرحبيل هو أبو ميسرة الكوفي الهمداني أحد كبار التابعين. وهو هنا ينقل إجماع الصحابة والتابعين وتواطئهم على ما قاله الصّدّيق ﷺ في معنى الكلالة: فصار قول أبي بكر هو الإمام والمرجع في ذلك ولا مخالف له، وظهر لنا من حديث جابر السابق ذكره أن أبا بكر الصديق ﷺ كان على علمٍ بسبب نزول هذه الآيات في المواريث سواء الآيات التي في أول سورة النساء أو التي في آخرها: فالصديق ﷺ وحده مَن صحب النبي ﷺ في عيادة جابر بن عبد الله في مرضه، وسمع سؤال جابر للنبي ﷺ بقوله: «**لا يرثني إلا كلالة، فكيف الميراث؟**» ورأى توقف النبي ﷺ وإمساكه عن الجواب حتى نزلت آية المواريث: فصار على علمٍ بهذه الآية ومنازلها وسبب نزولها ومعانيها، وبمعنى الكلالة تحديدًا فيهما، وصار قوله فيهما هو الإمام والمرجع لجميع الأمة بعد ذلك.

وحتى أمير المؤمنين عمر ﷺ كان يدور في نفسه من الكلالة شيء وأكثر من سؤال رسول الله ﷺ عنها فكان ﷺ يحيله على آية الصيف من آخر سورة النساء، على أن معناها في آخر آية هو معناها في آية المواريث أول السورة وإن اختلفت أنواع الوارثين مع الكلالة: إما في شقيق أو أخت شقيقة أو لأب أو لأم أو أخوات. وقد همَّ عمر أن يكتب بذلك كتابًا يرجع الناس إليه فامتنع من ذلك اكتفاءً بقول الصّدّيق، وحياءً من مخالفته له.

---

(١) المصنف (١٩١٩٢).

(٢) تفسير عبد الرزاق (١٧٧/١).

فعن عامر بن شراحيل الشعبي قال: «كان أبو بكر يقول: الكلالة من لا ولد له ولا والد. قال: وكان عمر يقول: الكلالة من لا ولد له. فلما طُعن عمر قال: إني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر. أرى الكلالة ما عدا الولد والوالد»[1].

وقد كتب عمر كتابًا في «من ليس له ولد» ثم أمر بمحوه والاكتفاء بتفسير الصديق ﷺ. فعن سعيد بن المسيب رحمه الله: «أن عمر بن الخطاب كتب في الجد والكلالة كتابًا فمكث يستخير الله يقول: اللهم إن علمتَ فيه خيرًا فامضه. حتى إذا طُعن دعا بالكتاب فمُحي فلم يدر أحد ما كان فيه. فقال: إني كتبت في الجدّ والكلالة كتابًا وكنت أستخير الله فيه. فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه»[2].

هذا وكلا المسألتين: مسألة توريث الجدّة. ومسألة الكلالة كان لأبي بكر الصديق فيهما قضاء وحكم، فرجع عمر وبقية الصحابة والأمة إلى قوله فيهما. فعن قبيصة بن ذُؤيب قال: «جاءت الجَدَّة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها. فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئًا: فارجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس. فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة: فأنفذه لها أبو بكر الصديق. ثم جاءت الجَدَّة الأُخرى إلى عمر بن الخطاب تسأله ميراثها. فقال لها: ما لك في كتاب الله شيء. وما كان القضاء الذي قُضي به إلا لغيرك. وما أنا بزائد في الفرائض شيئًا، ولكنّه ذلك السدس. فإن اجتمعتما فهو بينكما.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٩١٩١)، وابن أبي شيبة (١١/٤١٥، ٤١٦). والطبري (٦٢٥/٣)، والدارمي (٣٦٥/٢، ٣٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٢٤/٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٩١٨٣).

وأيتكما خلت به فهو لها»[١].

وهذا الأثر هو الصحيح المسند المتصل عن أبي بكر الصّدّيق ﷺ، وهو أصح من الأثر الآخر الذي أخرجه مالك أيضًا، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن القاسم بن محمد: أنه كان يقول: جاءت الجدّتان إلى أبي بكر الصّديق، فأراد أن يجعل السدس للّتي من قِبل الأمّ، فقال له رجل من الأنصار: «إمَّا إنك تترك التي لو ماتت وهو حيٌّ كان إيّاها يَرِث» فجعل أبو بكر السدس بينهما[٢]. ووافق مالكًا على روايته هكذا، حماد بن سلمة وعلي بن مسهر وآخرون[٣]. ورواه سفيان بن عيينة، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم: أن جدتين أتتا أبا بكر ﷺ تطلبان ميراثهما: أمّ أمّ، وأمّ أب، فأعطى الميراث أمّ الأمّ، فقال له عبد الرحمن بن سهل الأنصاري وكان ممّن شهد بدرًا: «يا خليفة رسول الله، أعطيتَ التي لو أنَّها ماتت لم يرثها»، قال: فَقَسَمه بينهما[٤].

وهذا معلول بالإنقطاع؛ فإن القاسم بن محمد بن أبي بكر، لم يدرك أباه ولا جدّه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وهو منقطع، فإن القاسم بن محمد، لم يدرك أيام جدّه».

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ واللفظ له من طريق الزهري عن عثمان بن إسحاق بن خَرشة عن قبيصة بن ذؤيب (٥١٣/٢)، وأخرجه أبو داود (٢٨٩٤)، والترمذي (٢١٠١)، وابن ماجه (٢٧٢٤)، كلهم من طريق مالك، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف أيضًا (١٩٠٨٣) عن معمر عن الزهري عن قبيصة، وصحّح الترمذي رواية مالك (٤٢٠/٤) لأنه أدخل بين الزهري وبين قبيصة، عثمان بن إسحاق بن خرشة.

(٢) الموطأ (٥١٣/٢، ٥١٤).

(٣) كذا قال الدار قطني في العلل (٨٣/١).

(٤) رواية ابن عيينة أخرجها عبد الرزاق في المصنف (١٩٠٨٤/١٠)، والدار قطني في سننه (٤٠٨٨).

قلت: وهذه الرواية فيها نكارة؛ فإن الذي جاءته الجدّتان إنما هو أمير المؤمنين عمر ﷺ وليس خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ كما مَرّ في الرواية السابقة الثابتة الصحيحة.

قال مالك: «ولا ميراث لأحد من الجدّات، إلا للجدّتين؛ لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ ورّث الجدّة، ثم سأل أبو بكر عن ذلك حتى أتاه الثبت عن رسول الله ﷺ أنه ورّث الجدّة فأنفذه لها، ثم أتت الجدّة الأخرى إلى عمر بن الخطاب، فقال لها: ما أنا بزائد في الفرائض شيئًا، فإن اجتمعتما فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها»[١].

واعلم أن أبا بكر ﷺ قضى في الجدّ بأنه يرث مع الإخوة، وأنزله أبًا، ووقع الإجماع على ما قضى به الصّدّيق ﷺ، كما هو ثابت عند البخاري من حديث أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس ﷺ قال: «**أما الذي قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذًا من هذه الأمة خليلا لاتخذته، ولكن خُلّة الإسلام أفضل، أو قال: خير»، فإنه أنزله أبًا، أو قال: قضاه أبًا»**[٢].

ونَقَل الإمام البخاري الإجماع على ما قضى به الصّدّيق ﷺ في الجدّ مع الإخوة فقال: «ولم يُذكر أنّ أحدًا خالف أبا بكر في زمانه، وأصحاب النبي ﷺ متوافرون».

وأخرج الإمام أحمد عن سعيد بن جبير قال: كنتُ جالسًا عند عبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان ابن الزبير قد جعله على القضاء، إذ جاءَه كتابٌ من ابن الزبير: «**سلامٌ عليك، أما بعد، فإنك كتبتَ تسألني عن الجدّ، وإن رسول الله ﷺ قال: «لو كنتُ متخذًا من هذه الأمة خليلا دون ربي لاتخذتُ ابن أبي قُحافَة،**

---

(١) الموطأ (٢/٥١٤).

(٢) صحيح البخاري (٦٧٣٨)، وبوّب عليه: باب ميراث الجدّ مع الأب والإخوة.

ولكنه أخي في الدين وصاحبي في الغار» جَعَل الجدَّ أبًا. فأحق ما أخذنا به قول أبي بكر الصّديق»[١].

فظهر بذلك أن قول وقضاء أبي بكر الصديق في ميراث الجدّ والجدّة، وفي معنى الكلالة صار إمامًا وحجة للأمة كلها بعد ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وهكذا قال عليٌّ وابن مسعود، وصحّ مِن غير وجه عن ابن عباس وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم، وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد»[٢].اهـ

والخلاصة أن الكلالة في كلا الآيتين كما قال الصّديق ﷺ: «من لا والد له ولا ولد». والفرق بين الآيتين في القسمة على ما يلي:

❁ **أما الآية الأولى** التي في أول النساء وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢]، فالمراد بها الإخوة من الأمّ.

قال أبو جعفر بن جرير: «وللرجل الذي يورث كلالة أخٌ أو أخت، يعني أخًا أو أختًا من أمه»[٣]. كما هي قراءة سعد بن أبي وقاص، ونُقل هذا التفسير عن أبي بكر الصديق أيضًا[٤]. وهو قول قتادة والسدي وغيرهما[١].

---

(١) مسند أحمد (٥/٥٢٩)، وأصل الحديث عند البخاري (٤٥٧٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٣١).

(٣) تفسير الطبري (٣/٦٢٨).

(٤) المصدر السابق (٣/٦٢٩).

وقال مالك: «من أجل أنَّهم كلهم إخوة المتوفى لأمّه. وإنما وَرِثُوا الأمّ: وذلك أن الله تبارك وتعالى قال في كتابه: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ ﴿١٢﴾﴾ [النساء: ١٢]: فلذلك شُرِّكوا في هذه الفريضة، لأنهم كلهم إخوة المتوفى لأمه»[٢].

❁ **وأما الآية الثانية** وهي آية الصيف من آخر سورة النساء وهي قوله ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾ [النساء: ١٧٦]، فهي كلالة ليس فيها والد ولا ولد، وفيها إخوة أشقاء أو إخوة لأب فهذه الكلالة يكون فيها الإخوة لعصبة.

==

(١) المصدر السابق.

(٢) الموطأ (٢/٥٠٩).

[٧]

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء: ٤٣].

لأبي بكر الصديق وابنته الصِّدّيقة أم المؤمنين عائشة وآل بيته ﷺ سبب واتصال بهذه الآية الشريفة من سورة النساء، وكذا قرينتها التي في سورة [المائدة: ٦]؛ وذلك أن نزول آية التيمم ومشروعيته كان بسبب أمر وقع لأم المؤمنين عائشة وذلك عندما فقدت عقدًا لها وهي مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره.

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب التيمم، وقول الله ﷻ: ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴿٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦]، ثم أخرج حديث مالك عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن أم المؤمنين عائشة ﵂ **قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنّا بالبيداء -أو بذات الجيش[1]- انقطع عقد لي: فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناسُ إلى أبي بكر فقالوا له: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبسْتِ رسول الله ﷺ والناسَ وليسوا على ماء وليس**

---

(١) البيداء هي ذي الحليفة بالقرب من المدينة على طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة، انظر فتح الباري (٢/ ٢٥٠).

معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم «فتيمَّموا»؛ فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأوَّل بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته»[١].

وأعاد البخاري الحديث من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وفيه: «فقال أسيد بن الحضير لعائشة: جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرًا»[٢].

ثم أعاده في كتاب التفسير من رواية عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة وفيه: «فقال أسيد بن الحضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم»[٣].

وقد أراد أُسيد بن الحُضير ﷺ من قوله هذا ما لأم المؤمنين عائشة ﷺ ولأبيها ﷺ ولآل بيته بركة متنامية متواصلة عادت بالخير بحمد الله على الأمة كلها: فقد وقع لعائشة ما وقع من حادثة الإفك المبين والبهتان العظيم، ونزل القرآن العظيم ببراءتها، وطهارتها صيانةً لبيت النبوة أعظم الصيانة، وقطعا لألسن اللائكين للفرية العظيمة إلى يوم القيامة، ووقع لها قضية أخرى في سفرة أخرى وفقدت عقدها، فحبست النبي ﷺ والناس لطلبه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، وشكى الناس عائشةَ إلى أبيها، فجاء مغضبًا وجعل يوسعها لومًا وعتبًا،

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٣٤).

(٢) صحيح البخاري رقم (٣٣٦).

(٣) صحيح البخاري رقم (٤٦٠٨).

وجعل يطعن في خاصرتها فيمنعها من التحرك مقام رسول الله ﷺ منها، وكان نائمًا على فخذها فأنزل الله آية التيمم، وفيها الفرج للمسلمين والسعة إلى يوم القيامة فصدق هذا الصحابي الجليل أسيد بن حضير عندما قال: «**ليست بأول بركتكم يا آل أبي بكر**». ولنعم البيت، بيت الصّدّيق ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والمراد بآل أبي بكر نفسه وأهله وأتباعه، وفيه دليل على فضل عائشة وأبيها وتكرار البركة منهما»[١].اهـ ولذلك أدخل الإمام البخاري حديث عائشة هذا في نزول آية التيمم ضمن فضائل ومناقب أبي بكر الصديق ﷺ، فبوّب في كتاب المناقب: باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ وأخرج فيه جملةً مباركة من الأحاديث، ومنها حديث عائشة هذا[٢].

ولا أدري ما يصنع أهل الرفض من بركة أبي بكر وابنته ﷺ وآل بيته، الذي كان هو سبب نزول هذه الرخصة الكريمة الشريفة العظيمة بالتيمم، والتي بلغ من شأنها يُمنها وبركتها، وفتح الله تعالى على النبي ﷺ وأمته بها، أن النبي ﷺ عَدَّها من خصائصه الكريمة، وكرامة ..له ولأمته، فقال ﷺ "**أعطيتُ خمسًا لم يعطهن** أحد قبلي، نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره"[٣]

---

(١) فتح الباري (٢/٢٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٧٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥).

[٨]

قوله ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢].

قضى أبو بكر الصدّيق ﷺ في القتيل إذا كان من أهل الذمّة والعهد والميثاق بالدّية كاملة كدية المسلم تُسَلَّم إلى أهله، وإن كان هذا القتيل كافرًا ذمِّيًا: يهوديًا كان أو نصرانيًا أو مجوسيًا، هكذا نُقِل هذا القضاء عن الصديق اعتمادًا على عموم هذه الآية الكريمة.

أخرج عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري قال: «دية اليهودي والنصراني والمجوسي وكلّ ذميّ مثل دية المسلم، قال: وكذلك كانت على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، حتى كان معاوية فجعل في بيت المال نصفها وأعطى أهل المقتول نصفًا، ثم قضى عمر بن عبد العزيز بنصف الدية فألغى الذي جعله معاوية في بيت المال. قال الزهري: وأحسب عمر -يعني ابن عبد العزيز- رأى ذلك النصف الذي جعله معاوية في بيت المال ظلمًا منه. قال الزهري: فلم يقض لي أن أذاكر ذلك عمر بن عبد العزيز فَأُخْبِره أنْ قد كانت الدية تامة لأهل الذمة. قال معمر: قلت للزهري: إنه بلغني أن ابن المسيب قال: ديته أربعة آلاف، فقال: إنَّ خير الأمور ما عُرض على كتاب الله، قال الله ﷻ: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢]: فإذا أعطيته ثلث الدية فقد سلمتها إليه»[(١)].

وعن الزهري أيضًا قال: «إن أبا بكر الصديق وعثمان بن عفان ﷺ كانا

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/٩٥، ٩٦/١٨٤٩١) والسند غاية في الصحة إلا أن رواية الزهري عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان مرسلة.

يجعلان دية اليهودي والنصراني إذا كانا معاهدين كدية المسلم»[١].

أما النبي ﷺ فكذا نَقل الزهري من قضائه أنه جعل دية الذمي المعاهد كدية المسلم سواء.

ويخالفه ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ: «دية المُعَاهَد نصف دِية الحر»[٢].

وأخرجه الإمام أحمد في المسند[٣] من طريق أبي النضر وعبد الصمد كلاهما عن محمد بن راشد عن سليمان بن موسى عن عمرو بن شعيب بلفظ: «قضى أن عقل أهل الكتابين نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى». وأخرجه النسائي[٤] في السنن من طريق محمد بن راشد بهذا الإسناد بلفظ: «قضى أن عقل أهل الذمة...». وأنكره النسائي فقال: «هذا حديث منكر، وسليمان بن موسى ليس بالقوي في الحديث ولا محمد بن راشد».

وأخرج الترمذي[٥] طرفًا منه وقال: «حديث حسن غريب».

---

(١) أخرجه الطبري (٢١٤/٤). بسند صحيح رجاله ثقات. وفيه بشر بن السَّرِيّ وهو الأفْوَه. موثق. وأخرج له البخاري في الصحيح في موضع واحد في أول كتاب الفتن.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٨٣) من طريق عيسى بن يونس، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب وفي سنده مقال من أجل محمد بن إسحاق وقد عنعن. وقال أبو داود بعده: «رواه أسامة بن زيد الليثي. وعبد الرحمن بن الحرث عن عمرو بن شعيب». وأراد أبو داود دعم رواية محمد بن إسحاق بمتابعة الليثي وابن الحرث له. ولها عند أبي داود رواية أخرى مطوّلة من طريق حسين المعلم عن عمرو بن شعيب به (٤٥٤٢).

(٣) المسند (٦٦٦٣).

(٤) النسائي الكبرى (٦٩٧٦، ٦٩٨٠، ٦٩٨١، ٦٩٨٢).

(٥) سنن الترمذي (١٣٨٧).

وصحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أعرض عنها صاحبا الصحيح فلم يخرجا منها شيئًا سوى حديث واحد معلق عند البخاري في كتاب اللباس[(١)]، واحتج به أصحاب السنن، ولم يخرج منها الإمام مالك في الموطأ إلا معلقة. والشافعي كان لا يحتج بها. وكان كما قال البيهقي: «كالمتوقف فيها إذا لم ينضم إليها ما يؤكدها»[(٢)]. وكان الشافعي يعيب على بعض فقهاء الحنفية احتجاجهم بها لأنَّها معلولة بالإرسال والانقطاع[(٣)].

والظاهر أنه لم يكن لرسول الله ﷺ قضاء في ذلك. فأعمل الخلفاء الراشدون اجتهادهم في دية الكافر المعاهد والذّمّي: فالصّدّيق كما نقل عنه الإمام الزهري جعلها كاملة كدية المسلم اعتمادًا على ظاهر وعموم القرآن.

ووافق الصّدّيقَ على هذا القضاء من الصحابة كلٌ من: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في أول ولايته ثم تغير اجتهاده فجعلها على النصف من دية المسلم، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ[(٤)]، وعبد الله بن مسعود ﷺ[(٥)]، وعبد الله بن عباس ﷺ[(٦)].

ووافقه من التابعين كل من: الزهري، وعامر الشعبي، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد[(٧)]، وسعيد بن جبير[(١)]، وسعيد بن المسيب، وعبد

---

(١) وهو حديث: «كلوا واشربوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة» انظر فتح الباري (١٠/٢١٥).

(٢) السنن الكبرى (٦/٢٢١).

(٣) المصدر السابق (٤/١٥٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق من طريق الحكم بن عتيبة به (١٠/١٨٤٩٤) وكذا (١٨٤٩٦).

(٥) تفسير الطبري (٤/٢١٤).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٣/١٠٣٥).

(٧) المصدر السابق (٤/٢١٤، ٢١٥).

الرحمن بن زيد بن أسلم[٢].

وهو اختيار الإمام الطبري: قال رحمه الله: «وذلك أنَّ دية الذميّ وأهل الإسلام سواء لإجماع جميعهم على أن ديات عبيدهم الكفار وعبيد المؤمنين من أهل الإيمان سواء، فكذلك حكم ديات أحرارهم سواء، مع أن دياتهم لو كانت على ما قال من خالفنا في ذلك فجعلها على النصف من ديات أهل الإيمان أو على الثلث لم يكن في ذلك دليل على أن المعني بقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢] من أهل الإيمان؛ لأن دية المؤمنة لا خلاف بين الجميع - إلا من لا يُعد خلافًا- أنها على النصف من دية المؤمن، وذلك غير مخرجها من أن تكون دية. فكذلك حكم ديات أهل الذّمّة لو كانت مقصّرة عن ديات أهل الإيمان لم يخرجها ذلك من أن تكون ديات، فكيف والأمر في ذلك بخلافه ودياتهم وديات المؤمنين سواء؟»[٣].اهـ

فظهر من ذلك أن الخلفاء الراشدين كلهم متابعون للصّدّيق في جعل دية المعاهد والذمّي كدية المسلم سواء، إلا ما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فإنَّه تغيّر اجتهاده فجعلها على النصف؛ ربما لأمر ظهر له.

قال الإمام الزهري: «قد بلغنا أن دية المعاهد كانت كدية المسلم، ثم نقصت بعد في آخر الزمان فجعلت مثل نصف دية المسلم، وإن الله أمر بتسليم دية المعاهد إلى أهله، وجعل معها تحرير رقبة مؤمنة»[٤].

==

(١) المصدر السابق (١٠٣٥/٣).

(٢) تفسير الطبري (٢١٠/٤).

(٣) المصدر السابق (٢١١/٤).

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (١٠٣٥/٣).

وهذا الكلام من الإمام محمد بن شهاب الزهري مهم وعظيم: **فإنه احتج لصحة قضاء أبي بكر الصديق ومن وافقه بحجتين:**

الأولى: ظاهر وعموم القرآن الكريم: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢]. **والثانية:** تحرير رقبة مؤمنة، أي سواء كما أمر الله في قتيل الخطأ المسلم سواء، ومعلوم أنه لا يمكن تحرير نصف رقبة مؤمنة، بل لابد من رقبة تامة، فكذلك الدية تكون تامة كدية المسلم سواء. بل إنه لما كان زمن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقضى بأن دية الذمّي والمعاهد على النصف من دية المسلم اعتمادًا على قضاء عمر بن الخطاب أراد الإمام الزهري أن يذاكر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بذلك ويخبره بأن قضاء الصّدّيق وعثمان وعلي: على أن دية الذمي والمعاهد كدية المسلم سواء، وهو الأشبه بظاهر القرآن، فلم يَتَسَنّ له ذلك. **قال الزهري:** «ثم قضى عمر بن عبد العزيز بنصف الدية، وألغى الذي جعله معاوية في بيت المال فلم يقض لي أن أُذاكر ذلك عمر بن عبد العزيز، فأخبره أن قد كانت الدية تامّة لأهل الذمّة»[(١)].

أما فقهاء الإسلام: فذهب الإمام أبو حنيفة قولا واحدًا عنه، وكذا سفيان الثوري، والحسن بن صالح بن حيّ إلى قضاء أبي بكر الصديق: أنَّ الديات كلها سواء المسلم واليهودي والنصراني والمجوسي متى كان معاهدًا أو ذمّيًا[(٢)].

وذهب مالك وأحمد في ظاهر مذهبه: إلى أنها على النصف من دية المسلم[(٣)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/١٨٤٩١).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٥/٢١٠)، والمغني لموفق الدين ابن قدامة (٩/٥٢٨).

(٣) انظر المغني (٩/٥٢٨)، وتفسير القرطبي (٥/٢١٠). واعتمد مالك على قضاء عمر بن عبد العزيز كما رواه بلاغًا في الموطأ (٢/٨٦٤).

وذهب **الشافعي**: إلى أنها على الثلث من دية المسلم[١].

ولكل مذهب منزعه الفقهي في تفاصيل تطلب في مظانها من كتب الفقه.

---

(١) تفسير القرطبي (٥/٢١٠).

[٩]

قوله ﷻ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣].

هذه الآية الكريمة، لأبي بكر الصديق ﷺ بها خصوصية وأي خصوصية: وذلك في نزولها واستشكاله لحكمها، والتخفيف عن الأمة ببيان حكمها في حق المؤمنين بسبب شكوى الصديق ﷺ.

۞ **أما نزولها: فعن أبي بكر ﷺ قال: «كنت عند النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣]. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ألا أُقْرِئُك آية نزلت عليَّ؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: فأقرأنيها. فلا أعلم إلا أني وجدتُ انقصامًا في ظهري حتَّى تمطَّأتُ لها. فقال رسول الله ﷺ: مالك يا أبا بكر؟ قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأينا لم يعمل السوء؟ وإنَّا لمجزيّون بكل ما عملناه؟ فقال رسول الله ﷺ: أمَّا أنت وأصحابك يا أبا بكر المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا، حتَّى تلقوا الله ليس لكم ذنوب. وأما الآخرون فيُجْمع لهم ذلك حتى يجزون به يوم القيامة»**[1].

۞ **وأما الاستشكال والسؤال والتخفيف: فعنه ﷺ قال: «كيف الصلاح**

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الترمذي (٣٠٣٩). وقال الترمذي: «حديث غريب وفي إسناده مقال. موسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحي بن سعيد وأحمد بن حنبل، ومولى ابن سَبّاع مجهول، وقد رُوِي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح». وأخرجه من كتب التفسير ابن أبي حاتم (١٠٧١/٤).

بعد هذه الآية: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣]. فكل سوء جُزينا به؟ فقال النبي ﷺ: غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ قال: قلت بلى يا رسول الله. قال: فهو ما تجزون به»[١].

وهذا الاستشكال والشعور بالشدة من حكم هذه الآية تلقاه عن أبي بكر الصديق جميع الصحابة وجوابهم هو نفس جواب رسول الله ﷺ لإمامهم أبي بكر الصديق ﷺ.

فقد ثبت هذا المعنى ورواه عن النبي ﷺ من الصحابة كلٌ من: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ[٢]، وأم المؤمنين عائشة ﷺ[٣]، وأبي هريرة ﷺ[٤]، وأبي بن كعب ﷺ[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٢٢٩، ٢٣٠)، وابن حبان (٢٩١٠)، والحاكم (٣/٧٨)، ومن المفسرين: الطبري (٤/٢٩٣)، وابن أبي حاتم (٤/١٠٧١)، وصحّحه الحاكم والذهبي، وحَسّنه الحافظ ابن حجر في كتاب الأمالي (٧٨)، وقال الحافظ ابن كثير بعد إيراده للحديث من مسند أحمد: «ورواه سعيد بن منصور - (وهو فيه برقم:٦٩٦)- عن خلف بن خليفة عن إسماعيل بن أبي خالد به، ورواه ابن حبان في صحيحه -(وهو فيه برقم:١٧٣٤)- عن أبي يعلى عن أبي خيثمة عن يحي بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد به. ورواه الحاكم من طريق سفيان الثوري عن إسماعيل به». تفسير القرآن العظيم (٣/٢٢٣)

(٢) أخرجه إسحاق بن راهوية في مسنده، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/١٩٨، ١٩٩): «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه عنها أحمد (٢٤٣٦٨)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٤) أخرجه عنه مسلم (٢٥٧٤).

(٥) الطبري (٤/٢٩١)..

وقال به من التابعين: مجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم[١].

فالآية كما هي حكمها عام: أن أي سوء يعمله الإنسان فإنه لا بد مجازًا به. إلا أن الله تعالى برحمته يتدارك المؤمنين فيطهرهم، ويزكيهم من أوزارهم وعملهم السوء بما يجازيهم به في الحياة الدنيا بالمرض والشدة حتى الشوكة يشاكها حتى يلقى الله المؤمن وما عليه خطيئة.

---

(١) الطبري (٤/٢٩٢).

[١٠]

قوله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: ٨٩].

ثبت عن أبي بكر ﷺ العمل بهذه الآية، والخروج من حرج اليمين بأداء كفارتها التي افترضها الله في هذه الآية؛ ليس هذا فحسب بل إن أبا بكر ﷺ هو أول هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ عملا بهذه الآية وقبولا لرخصة الله ﷻ بالخروج من حكم اليمين إن تبين أنه الخير بعد التكفير عن اليمين.

أخرج البخاري في كتاب التفسير من الجامع الصحيح، في تفسير سورة المائدة عند هذه الآية الكريمة حديث هشام بن عروة قال: أخبرني أبي، **عن عائشة** ﷺ: «**أن أباها كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين. قال أبو بكر: لا أرى يمينًا أرى غيرها خيرًا منها إلا قبلتُ رخصة الله، وفعلتُ الذي هو خير**»(١).

أما كتاب الأَيْمَان والنذور فقد افتتحه البخاري بهذه الآية الكريمة من سورة المائدة، وأعقبها مباشرة بهذا الحديث في عمل الصّدّيق ﷺ بهذه الآية. فأخرج الحديث السابق من طريق عبد الله بن المبارك عن هشام بن عروة. عن أبيه، **عن عائشة** ﷺ: «**أن أبا بكر الصّدّيق لم يكن يحنث في يمين قط. حتى أنزل الله**

---

(١) حديث رقم (٤٦١٤).

كفارة اليمين. وقال: لا أحلف على يمين فرأيتُ غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير. وكفّرتُ عن يميني»[١].

فهذا الحديث يدل على عمل أبي بكر بهذه الآية والخروج من حكم اليمين بأداء كفارتها كما فرضها الله ﷻ. وقبول فسحة الله ورخصته بأداء الكفارة والخروج من حرج اليمين وهو أول من عمل بها من الأمة بعد رسول الله ﷺ متبعًا لتعاليمه وهديه في ذلك.

ففي حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**والله لأَنْ يلَجَّ أحدكم بيمينه في أهله. آثَمُ له عند الله من أن يعطي كفّارته التي افترض الله عليه**»[٢].

ومعنى قوله: «يَلَجّ»، أي: يتمادى في الأمر ولو تبين له خطؤه، وأصله من اللجاج وهو الإصرار على الشيء مطلقًا[٣].

والصديق ﷺ بذلك يوافق النبي ﷺ موافقة تامة في هذا الحكم والقول أيضًا: فقد ثبت هذا المعنى بعينه عن رسول الله ﷺ.

فقد بوّب البخاري في كتاب كفارة الأَيمان فقال: باب الكفارة قبل الحنث وبعده. وأخرج حديث أبي موسى الأشعري ﷺ بطوله وفيه: **قال أبو موسى: فقلت لأصحابي: أتينا رسول الله نستحمله فحلف ألا يحملنا. ثم أرسل إلينا فحملنا. نسيَ رسول الله ﷺ يمينه. والله لئن تغفّلْنا رسول الله يمينه لا نفلح أبدًا. ارجعوا بنا إلى رسول الله فَلْنُذَكّره يمينه. فرجعنا فقلنا: يا رسول الله. أتيناك نستحملك فحلفتَ ألا تحملنا ثم حملتنا فظننا أو فعرفنا أن نسيتَ يمينك.**

---

(١) حديث رقم (٦٦٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٥).

(٣) فتح الباري (٦/٢٥).

قال رسول الله: «انطلقوا فإنما حملكم الله. وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا أتيتُ الذي هو خير وتحلَّلْتُها»[١].

هذا فعل النبي ﷺ وقوله، وذاك فعل صاحبه وصِدِّيقه أبي بكر وقوله: فوافق نبيّه تمامًا حذو القُذَّة بالقُذَّة، ووقع الحافر على الحافر، فهي إحدى موافقات الصديق لحال وفعل وقول رسول الله ﷺ وما أكثر هذه الموافقات!

ومن موافقاته للنبي ﷺ ما وقع في حديث عائشة في قصة هجرة أبي بكر وخروجه من مكة وفيه: **«فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْك الغِماد لقيه ابن الدَّغِنة - وهو سيد القارَة - فقال: أين يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدَّغِنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»**[٢].

فانظر إلى هذا الرجل - ابن الدَّغِنة – وهو على دين قومه كيف وصف أبا بكر بهذه الأوصاف الجليلة، وإنها لذات الأوصاف الشريفة الجليلة التي وصفت بها أمُّ المؤمنين خديجةُ ؓ رسولَ الله ﷺ أوّلَ ما فجأه الوحي كما في حديث أم المؤمنين عائشة ؓ في خبر بدء الوحي وفيه: **«فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زمِّلوني زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب**

---

(١) حديث رقم (٦٧٢١)، وأخرج الترمذي هذا المعنى من حديث أبي هريرة (١٥٣٠). ثم قال: «والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، أن الكفارة قبل الحنث تجزئ، وهو قول مالك بن أنس والشافعي وأحمد وإسحاق، وقال بعض أهل العلم: لا يُكَفر إلا بعد الحنث، قال سفيان الثوري: إن كفّر بعد الحنث أحبّ إليّ، وإن كفّر قبل الحنث أجزأه». سنن الترمذي (١٠٧/٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»[١].

فما أعظم هذه الموافقة وما أجلَّها! وما أعظم نعمة الله ﷻ على الصّدّيق إذ وافق نبيّه في صفاته الجليلة! وهي موافقة لا رغبة فيها ولا رهبة ولا مواطأة من ابن الدَّغِنة في وصف أبي بكر ﷺ. **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:** «وفي موافقة وصف ابن الدغنة لأبي بكر بمثل ما وصفت خديجة النبي ﷺ ما يدل على فضل أبي بكر واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال»[٢].اهـ

ومن موافقات الصديق للنبي ﷺ كذلك ما جرى يوم الحديبية إذ عقدت المصالحة مع المشركين، فغضب الصحابة ﷺ وتبرموا لما رأوه من الشروط المجحفة في حق المسلمين، وما فعله النبي ﷺ من إرجاع أبي جندل بن سهيل بن عمرو وقد جاء في أغلاله فألقى نفسه بين المسلمين فأعاده النبي ﷺ، **قال عمر بن الخطاب: فأتيت النبي ﷺ فقلت: أَلَسْتَ نبي الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدّنية في ديننا إذًا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوِّف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العامَ؟ قال: قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوِّف به. قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال أبو بكر: أيها الرجل إنه لرسول**

---

(١) أخرجه البخاري (٣).

(٢) فتح الباري (١٥/٨٦).

الله وليس يعصى ربّه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق، قال عمر: قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبركَ أنك تأتيه العامَ؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوِّف به»(١).

فانظر لهذه الموافقة بل المطابقة التامّة بين أجوبة النبي ﷺ لعمر وبين أجوبة أبي بكر له.

قال ابن حجر: «وفي جواب أبي بكر لعمر بنظير ما أجابه به النبي ﷺ سواء دلالة على أنه كان أكمل الصحابة وأعرفهم بأحوال النبي ﷺ وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى...وظهر من هذا الفصل أن الصديق لم يكن في ذلك موافقًا لهم بل كان قلبه على قلب رسول الله ﷺ سواء...فلما كانت صفاتهما متشابهة من الابتداء استمر ذلك إلى الانتهاء»(٢).اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) فتح الباري (١١/١٧٧) باختصار قليل.

[١١]

قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٩٥ ﴾ [المائدة: ٩٥].

لأبي بكر الصديق ﷺ تفسير عملي واستحضار لحكم هذه الآية، فهو أول هذه الأمة عملا بها، فكان عمله أعظم تفسيرًا لها.

فعن ميمون بن مهران(١): **«أن أعرابيًا أتى أبا بكر، قال: قتلتُ صيدًا وأنا مُحْرِم، فما ترى عليَّ من الجزاء؟ فقال أبو بكر لأُبَيّ بن كعب وهو جالس عنده: ما ترى فيها؟ فقال الأعرابي: أتيتُك وأنت خليفة رسول الله ﷺ أسألك فإذا أنت تسأل غيرك ! فقال أبو بكر: وما تُنْكِر؟ يقول الله تعالى: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، فشاورتُ صاحبي، حتى إذا اتفقنا على أمرٍ أمرناك به»**(٢).

وقد تبع أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب وبقيةُ الأمة أبا بكر في هذا الفقه والتفسير لحكم هذه الآية: حيث ثبتت عدة روايات عن عمر بن الخطاب: أنه فعل مثل فعل أبي بكر هذا تمامًا.

---

(١) التابعي الثقة الإمام الحجة: ميمون بن مهران الجزري، روايته عن أبي بكر مرسلة لكنه مرسل تابعي كبير ثقة حجة. (التهذيب: ٥/٥٧٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٠٦، ١٢٠٧)، وفي الدر المنثور (٣/١٩١) عزاه السيوطي إلى تفسير عبد بن حميد، بالإضافة لابن أبي حاتم.

فعن بكر بن عبد الله المزنيَ[١] قال: «كان رجلان من الأعراب مُحرِمان فأحاشَ أحدهما ظَبيًا فقتله الآخر. فأتيا عمر بن الخطاب وعنده عبد الرحمن بن عوف فقال له عمر: ما ترى؟ فقال ابن عوف: شاة. قال: وأنا أرى ذلك. اذهبا فأهديا شاةً. فلما مضيا. قال أحدهما لصاحبه: ما درى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه! فسمعها عمر فردّهما وأقبل على القائل ضربًا بالدّرة وقال: تقتل الصيد وأنت محرم وتَغْمِصُ الفُتْيا. إن الله يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ﴾ [المائدة: ٩٥]. ثم قال: إن الله لم يرضَ بِعُمَر وحَده. فاستعنتُ بصاحبي هذا»[٢].

وعن طارق بن شهاب [٣] قال: «أوطأ أَرْبَدُ ضَبًا. فقتله وهو محرم. فأتى عمرَ بن الخطاب ليحكم عليه. فقال عمر: احكم معي. فحكما فيه جَدْيًا قد جمع الماء والشجر. ثم قال عمر: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ ﴿٩٥﴾﴾» [المائدة: ٩٥].

---

(١) هو الإمام التابعي بكر بن عبد الله المزني، ثقةٌ مأمونٌ، حجّةٌ. التهذيب (٣٦٣/١).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٢٣/١٠)، والدر المنثور (١٩٢/٣) وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣) هو طارق بن شهاب البَجَلي الأَحْمَسي أبو عبد الله الكوفي، له رُؤية، تابعي كبير. التهذيب (٦/٣).

[١٢]

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: ٩٦].

ظهر من علم أبي بكر وفتياه وتفسيره في هذه الآية ما ظهر في سابقاتها، وخطب به الصديق على المنبر لتتلقى الأمة كلها منه هذا الحكم وهذا التفسير وهذا العلم بكتاب الله تعالى.

وقد ثبت عن أبي بكر رضي الله عنه عدة روايات في ذلك: ففسّر أبو بكر الصديق صيد البحر بما صاده الناس وأخذوه منه، وفسّر طعامه بما لفظه البحر من غير صيد.

قال عبد الله بن العباس رضي الله عنهما: **«خطب أبو بكر الصديق الناسَ، فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [المائدة: ٩٦]، قال: فصيده ما أُخِذَ منه»**(١).

وهذا الأثر من نوادر التفسير: إذ ينقله ترجمان القرآن وبحر علم التفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن خليفة رسول الله ﷺ وصِدِّيقه الأكبر أبي بكر رضي الله عنه، مما خطب به على المنبر معلمًا ناشرًا له، واعتمده ابن عباس في فهم الآية الكريمة، كما سيأتي عنه.

كان ذلك تفسير الصّدّيق لصيد البحر، ووافقه على هذا المعنى عمر بن الخطاب

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٤/٥) من طريق جرير هو بن عبد الحميد عن مغيرة هو ابن مقسم عن سماك هو بن حرب الكوفي الذهلي، والسند جيد لا بأس به لولا قول سماك: حُدِّثت عن ابن عباس. ونقله السيوطي في الدر المنثور (١٩٧/٣) وعزاه لعبد بن حميد في تفسيره. وشيخ الطبري في هذا الأثر هو ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وثقه أحمد

ﷺ. فنُقِلَ عنه قوله: «**صيده ما صيد منه**»[1]. وهو تفسير ابن عباس، وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم من الصحابة ﷺ، وبه قال: عكرمة وقتادة وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم، واختاره ابن جرير وغيره من المفسرين.

أما طعامه: فنُقل عن أبي بكر ﷺ أنه: مَا لَفَظَه وقذفه البحر من ميتة ويشمل كل ما فيه.

فعن ابن عباس ﵄ قال: «**خطب أبو بكر الناس فقال:** ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: ٩٦]. **قال: طعامه ما قَذَف به**»[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن أبي بكر الصديق قال: «**صيدُه ما حَوَيتَ عليه، طعامُهُ ما لَفَظَ إليك**»[3].

وعن عكرمة مولى ابن عباس قال: «**قال أبو بكر الصديق: صيد البحر: ما تصطاده أيدينا، وطعامه: ما لاثه البحر**»[4]. وفي لفظ عن عكرمة عن أبي بكر: «**طعامه: ميتته**»، وفي لفظ آخر عن عكرمة عن أبي بكر: «**طعامه: كلُّ ما فيه**»[5]. وهو أثر واحد، والمعنى واحد.

---

(١) تفسير الطبري (٦٤/٥) من طريق عمر بن سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن عمر به. وهو سند صحيح ثابت، وأخرجه البيهقي في سننه (١٩٠١٣/١٩) من طريق أبي عوانة عن عمر بن سلمة به، وأخرجه سعد بن منصور في سننه (٨٣٦).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (٦٦/٥) من طريق جرير عن مغيرة عن سماك بن حرب قال: حُدِّثت عن ابن عباس فذكره.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٩٧/٣)، وقال: «أخرج أبو الشيخ الأصفهاني من طريق قتادة عن أنس به».

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٢١٢/٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٩٧/٣) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٥) تفسير الطبري (٦٥/٥).

وعن عكرمة أيضًا عن أبي بكر الصديق قال: «**طعامه: ميتته، قال عمرو: سمعت أبا الشعثاء وهو جابر بن زيد يقول: ما كنتُ أحسب: طعامه: إلا مالِحَه**»(١).

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: سمعت أبا بكر يقول: «**إن الله ذبح لكم ما في البحر فكلوه كلَّه فإنه ذَكِيّ**»(٢).

وعن عمرو بن دينار قال: سمعت شيخًا يكنى أبا عبد الرحمن قال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: «**ما في البحر من شيء قد ذكّاه الله لكم**»(٣).

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة، **أن أبا بكر سُئِل عن ميتة البحر، فقال: «هو الطهور ماؤه، الحلال ميتته»**(٤).

وهذا الجواب العظيم المحكم من الصّدّيق ﷺ هو عين جواب رسول الله ﷺ عندما سُئل عن ماء البحر: فقال عليه الصلاة والسلام: «هو الطَّهور ماؤُهُ الحِلُّ ميتتُه»(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٦٧/٥) من طريق الضحاك بن مخلد هو الشيباني أبو عاصم النبيل، عن ابن جريج قال: أخبرني عمرو وهو ابن دينار عن عكرمة به، وهذا سند ثابت صحيح إلى عكرمة.

(٢) أخرجه الدار قطني (٢٧٠/٤) من طريق عباد بن يعقوب قال: حدثنا شريك، عن ابن أبي بشير، عن عكرمة، عن ابن عباس به، ومن طريق الدار قطني أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٩٩٩/١٩).

(٣) أخرجه الدار قطني في سننه (٢٩٦/٤) ، من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار به. ومن طريق الدار قطني أخرجه البيهقي في السنن (١٨٩٩٩/١٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٧٩/١) من طريق عبيد الله بن عمر العمري عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عامر بن واثلة وهو آخر الصحابة موتاً كما ذكره مسلم عن أبي بكر ﷺ به، وهذا سند صحيح متصل. وأخرجه الدار قطني في سننه (٣٥/١) من طريق عبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر به. وأخرجه البيهقي في سننه (٤/١) من طريق ابن نمير عن عبيد الله به.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢٢/١)، والشافعي (٣/١) ، وأحمد في المسند (٧٢٣٣)، والترمذي رقم
==

قال الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطني رحمه الله: «روى عبد الله بن رجاء وعبيد الله بن نمير ومحمد بن عبيد ويحيى القطان وغيرهم، عن عبيد الله، عن عمرو بن دينار، عن أبي الطفيل **عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال في البحر: «هو الطَّهور ماؤه، الحِلُّ ميتته».** **ثم قال الدارقطني:** «ورُوِي من وجوهٍ أُخَر، عن أبي بكر مرفوعًا، والموقوف أصحّ»[(١)].اهـ

ونقل الحافظ ابن كثير -رحمه الله- كلام الدارقطني السابق ثم قال: «وإسناد الموقوف صحيح كالشمس، وقد رُوِي مرفوعًا عن أبي هريرة، وجابر، وعليّ، وابن عباس، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده»[(٢)].

فانظر كيف وافق الصديق نبيّه ﷺ في لفظه ومعناه، وحكمه وفتواه.

ويدخل في ميتة البحر ما طفى عليه، وما قذفه البحر على الشاطيء:

فعن ابن عباس قال: أشهد على أبي بكر أنه قال: «السمكة الطافية حلال لمن أراد أكلها»[(٣)]. فانظر كيف أن ابن عباس ﷺ جعل قول الصّدّيق ﷺ هو الحجّة والدليل على هذا الحكم، وهو من هو في علمه وفقهه. وهذا الحكم ثابت عن الصديق ﷺ، ولثبوته أورده الإمام البخاري في صحيحه معلقًا عن أبي بكر ﷺ: قال البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب قول الله ﷻ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ

==

(٦٩) وقال: حسن صحيح، ونقل الترمذي في العلل الكبير (٣٣) عن البخاري أنه صحّح هذا الحديث، وقال الترمذي: «وهو قول أكثر الفقهاء من أصحاب النبي ﷺ منهم: أبو بكر وعمر، وابن عباس: لم يرو بأسًا بماء البحر».

(١) كتاب العِلَل (٤١/١) رقم (٢٦).

(٢) مسند أبي بكر الصّدّيق (١٨٢، ١٨٣).

(٣) أخرجه الدار قطني (٤٨٧/٥).

﴿ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٦].

وقال **عمر**: صيده ما اصطيد، وطعامه ما رمى به، وقال **أبو بكر**: الطافي حلال، وقال **ابن عباس**: طعامه: ميتته[١].

قلت: رواية ابن عباس السالفة أسندها أبو داود في سننه ولكن في رواية أبي الحسن بن العبد وليس في رواية أبي القاسم اللؤلؤي المشهورة التي طُبع عنها السنن، من طريق أحمد بن يونس حدثنا زهير، حدثنا عبد الملك بن أبي بشير **عن عكرمة قال: أشهد على ابن عباسٍ، قال: شهدت على أبي بكر الصديق قال: «كلوا الطافي من السمك»**. كذا ذكرها الحافظ المزّي في تحفة الأشراف[٢]، وقال: موقوف، رواه أبو داود في الأطعمة، وساقه، وكذا ذكره الحافظ ابن كثير في مسند الصّديق[٣] بسنده معزوًّا إلى أبي داود، وقال بعده: «هذا إسناد جيّد»، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ [المائدة:٩٦][٤].

فهذا العلم بمعاني كتاب الله، وأحكامه، وتفسيره، أظهره أبو بكر ﷺ، وأشاعه وخطب به، وتلقته الأمة كلها من عصر الصحابة ومن بعدهم إلى فقهاء الإسلام وأئمة الأمة وعملوا به.

فإن اعْتُرِض على ما حكم به الصّديق ﷺ، بما رواه أبو داود في سننه[٥] قال: حدثنا أحمد بن عبدة، ثنا يحيى بن سليم الطائفي، ثنا إسماعيل بن أمية، عن

---

(١) الجامع الصحيح (٧/٨٥).

(٢) تحفة الأشراف في معرفة الأطراف برقم (٦٦٠٢).

(٣) مسند الصديق (٣١١).

(٤) المصدر السابق (٣١٢).

(٥) في رواية اللؤلؤي المشهورة (٣/ ح: ٣٨١٥).

أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ألقَى البحر أو جَزَر عنه فكلوه، وما مات وطفى فلا تأكلوه».

فيجاب عن هذا الاعتراض بأنه حديث ضعيف. ورجحّ الأئمة أنه موقوف من كلام جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قال أبو داود بعد روايته: «روى هذا الحديث سفيان الثوري وأيوب وحمّاد، عن أبي الزبير، أوقفوه على جابر، وقد أُسند هذا الحديث من وجه ضعيف عن ابن أبي ذئب، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ».

وإسماعيل بن أمية هو الأموي ثقة إلا أن هؤلاء الأئمة الأثبات خالفوه، في رفع الحديث فأوقفوه. وهم سفيان الثوري وحماد وأيوب، ولا شك أنهم مقدَّمون عليه.

وقد تكون الآفة في رفعه ليست من إسماعيل، بل من الراوي عنه وهو يحيى بن سليم الطائفي؛ فإنه مضعّف عندهم، **قال الإمام أحمد:** «أتيته فكتبت عنه شيئًا، فرأيته يخلط في الأحاديث، فتركته وفيه شيء»، **وقال الدارقطني:** «سيء الحفظ»، ووثّقه آخرون، وأخرج له صاحبا الصحيح أحاديث قليلة من جيّد حديثه. ولم يخرج له البخاري سوى حديث واحد عن إسماعيل بن أمية، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة...**» الحديث[1]، وله عنده أصل من غير هذا الوجه. والله أعلم[2].

وعليه فهو من كلام جابر رضي الله عنه، ولا يُعارض به فقه الصّديق ومن وافقه من الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) البخاري (٢٢٧٠).

(٢) انظر مقدمة فتح الباري (٢/٢٠٥).

[١٣]

قوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

هذه الآية من مشكل القرآن: فقد يُفْهَم منها ترك قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهنا يكون للصّدّيق ﷺ حضوره وعلمه، وإنزال كتاب الله ﷻ منازله، وكشف المشكل، ودفع الفهم الخاطئ: فيكون الصّدّيق ﷺ هو مؤسس وباني هذا النوع من العلم بكتاب الله وتفسيره، وهو كشف مشكل القرآن الكريم، الذي صار بعد ذلك من علوم القرآن وتفسيره، وجُمعَت فيه المؤلفات والكتب.

وقد أظهر الصديق هذا العلم وبيّنه، وخطب به على المنبر لتتلقاه عنه الأمة كلها بعد، كما فعل في آيات سلف الحديث عنها فيما مضى.

فعن قيس بن أبي حازم(١) قال: {**قام أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ١٠٥ ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وإنكم تضعونها على غير موضعها. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيّروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»**}(٢).

---

(١) هو الإمام التابعي المخضرم الكبير، قيس بن أبي حازم البجلي الأحمسي، أبو عبد الله الكوفي، رحل إلى المدينة إلى النبي ﷺ فقُبض رسول الله وهو في الطريق فلقي أبا بكر وبقية العشرة وسمع منهم، ثقة عند الجميع. تهذيب التهذيب (٥٣٨/٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٧/١، ١٧٨)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، والطبري في ==

وعن كثير بن أبي كثير المزني[(١)] - وكان خادمًا لابن عباس - قال: حدثنا ابن عباس، وهو يومئذ ضرير في بصره، وذكر عتيقُ بن عثمان: أبا بكرٍ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**رحم الله أبا بكر قعد على منبر رسول الله ﷺ يوم سُمِّي خليفة رسول الله، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ ثم مدّ يديه فوضعهما على المجلس الذي كان نبي الله ﷺ يجلس عليه من منبره ثم قال: سمعت الحبيب وهو جالس في هذا المجلس يتلو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾** [المائدة: ١٠٥]، **ثم فسّرها، وكان من تفسيره لها أن قال: «نعم، ليس من قوم عُمِل فيهم بمنكر ويُفسَد فيهم بقبيح فلم يغيّروه**

==

تفسيره (١٤٨/١١)، وابن أبي حاتم (١٢٢٦/٤). وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح. وهكذا روى غير واحد عن إسماعيل نحو حديث يزيد ورفعه بعضهم عن إسماعيل وأوقفه بعضهم».

وأخرجه البزار (١٣٥/١) وقال: « وهذا الكلام لا نعلمه يُرْوى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا عن أبي بكر عنه، وقد أسند هذا الحديث عن أبي بكر عن النبي ﷺ جماعة وأوقفه جماعة فكان ممن أسنده: شعبة، وزائدة بن قدامة، والمعتمر بن سليمان، ويزيد بن هارون، وغيرهم» ثم ساق رواياتهم. وقال الحافظ الدار قطني في العلل (١١٩/١): «لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ من وجه أعلى من هذا الوجه، ولا أحسن إسنادًا منه من أبي بكر، رواه عنه جماعة من الثقات».اهـ وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٩٥/٣): «وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلا مرفوعًا، ومنهم من رواه عنه به موقوفًا على الصّدّيق، وقد رجّح الدار قطني رفعه».اهـ

(١) هو خادم ابن عباس وروى عنه، وعنه روى عمر بن خليفة وهشام بن حسان، لم يُذْكر في تهذيب التهذيب إلا بهذا (٥٦٣/٤)، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب (٥٦٢٩): مقبول، وقوله في الرواية: «حدثنا ابن عباس وهو يومئذ ضرير في بصره» يدل على أنه صحب ابن عباس في آخر حياته لأن ابن عباس إنما كفّ بصره في آخر سنتين من حياته ﷺ.

إلا حقّ على الله ﷻ أن يعمهم بالعقوبة جميعًا، ثم لا يستجاب لهم». ثم أدخل أبو بكر إصبعيه في أُذُنَيْه. فقال: إلا أكون سمعته من الحبيب فصُمَّتا»[1].

وقد اختار ابن جرير الطبري هذا المعنى المروي عن الصديق في هذه الآية فقال: «وأولى هذه الأقوال وأصح التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما رُوي عن أبي بكر الصّديق ﷺ فيها، وهو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥] الزموا العمل بطاعة الله وبما أمركم به، وانتهوا عمّا نهاكم الله عنه ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥]. يقول: فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله وأديتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه. والأخذ على يديه إذا رام ظلمًا لمسلم أو مُعاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تماديه في غَيّه وضلاله إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله ﷻ ذكره فيه»[2].اهـ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في المتفق والمفترق (١٧٨٧/٣)، وأبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان (١٧٢/٢، ٢٧٦)، ولم أجده في شيء من كتب التفسير المسندة.

(٢) تفسير الطبري (١٠٠/٥).

[١٤]

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

كلمة: ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ في الآية نكرة في سياق النفي فتفيد عموم الظلم كثيره وقليله: فيدخل فيها ظلم العبد لنفسه بالذنوب، وهذا أمر عظيم وخطب جسيم، فشق هذا المعنى على الصحابة ﷺ جدًا، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه، ورفعوا شكواهم وما شق عليهم إلى رسول الله ﷺ فخفّف الله عنهم وعن الأمة كلِّها. فحصر معنى الظلم في هذه الآية في الشرك كثيره وقليله.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **لما نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢]، شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأيّنا لم يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]، إنما هو الشرك»**[١].

وهذا التفسير النبوي في بيان معنى الظلم في هذه الآية قد جاء مثله عن أبي بكر الصّديق ﷺ تمامًا كما فسّرها رسول الله ﷺ حذو القذة بالقذة، وتلقاه بعد ذلك جميع الصحابة كذلك بلا خلاف بينهم.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٢، ٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤). ومن المفسرين الطبري (١١/٤٩٦)، وابن أبي حاتم (٤/١٣٣٣).

فعن الأسود بن هلال[1]: أن أبا بكر الصديق سُئِل عن هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال: ما تقولون؟ قالوا: لم يَظلموا، فقال أبو بكر: حملتم الأمر على أشَدِّه، ﴿ بِظُلْمٍ ﴾: بشرك، ألم تسمع إلى قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣][2].

وهو قول بقية الصحابة: عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن العباس، وحذيفة بن اليمان ﷺ[3].

وقال به من التابعين جماعة: عمرو بن شرحبيل، وعلقمة بن قيس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وعكرمة، وقتادة وغيرهم رحمهم الله.

قال الإمام الطبري رحمه الله: «هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله ﷺ وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال إبراهيم: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١]، فقال الله -تعالى ذكره- فاصلا بينه وبينهم: الذين صدّقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا

---

(١) الأسود بن هلال المُحَاربي أبو سلام الكوفي، أدرك الجاهلية، وعَدَّه بعضهم في الصحابة، وثّقه أحمد والنسائي وابن معين وغيرهم. تهذيب التهذيب (١/٢٧٥)

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (٥/٢٥٢)، من طريق الشيباني عن أبي بكر بن أبي موسى عن الأسود بن هلال به، وأخرجه من طريق أخرى عن يونس بن أبي إسحاق السبيعي عن أبي إسحاق هو السبيعي عن أبي بكر بن أبي موسى عن الأسود بن هلال به، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٠٨) وعزاه إلى كلٍ من الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه.

(٣) تفسير الطبري (٥/٢٥١، ٢٥٣).

عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم - يعني: بشرك - ولم يشركوا في عبادته شيئًا. ثم جعلوا عبادتهم لله خالصًا. أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته ربّه. من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام. فإنهم الخائفون من عقابه مكروهَ عبادتهم، أمّا في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم. وأمّا في الآخرة فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله»[١].اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال المحققون إنْ دخل على النكرة في سياق النفي ما يؤكد العموم ويقوّيه نحو: «مِنْ» في قوله: "ما جاءني مِنْ رجل" أفاد تنصيص العموم. وإلا فالعموم مستفاد بحسب الظاهر كما فهمه الصحابة من هذه الآية. وبيّن لهم النبي ﷺ أن ظاهرها غير مراد، بل هو من العام الذي أريد به الخاص، فالمراد بالظلم أعلى أنواعه وهو الشرك. فإن قيل: من أين يلزم أن من لبس الإيمان بظلم لا يكون آمنًا ولا مهتديًا حتى شقّ عليهم؟ والسياق إنما يقتضي أن من لم يوجد منه الظلم فهو آمن ومهتدٍ، فما الذي دلّ على نفي ذلك عمَّن وُجد منه الظلم؟ فالجواب: أن ذلك مستفاد من المفهوم وهو مفهوم الصفة، أو مستفاد من الاختصاص المستفاد من تقديم «لهم» على «الأمن» أي لهم الأمن لا لغيرهم كذا قال الزمخشري في قوله تعالى: «إياك نعبد» وقال في قوله تعالى: «كلا إنها كلمة هو قائلها» تقديم «هو» على «قائلها» يفيد الاختصاص: أي: هو قائلها لا غيره»[٢].اهـ

إلا أنَّ الزمخشري في هذه الآية خالف تفسير النبي ﷺ، وتفسير الصّدّيق وبقية الصحابة ميلا بدعيًا إلى مذهبه الاعتزالي. فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٢٥٠).

(٢) فتح الباري (١/ ١٥٦).

إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢] أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تُفَسِّقهم، وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس»[١].

وهذا تقديم للبدعة على السنة والضلال على الهدى وإعراض عن تفسير رسول الله ﷺ وأصحابه الذي هو أعلم بمواطن لسان العرب ومعانيه، وأعلم بمراد الله تعالى من هؤلاء الأعاجم المبتدعة.

وقد ردّ عليه أبو حيان الأندلسي -رحمه الله- فقال: «وهذه دفينة اعتزال، أي: أن الفاسق ليس له الأمن إذا مات مصرًّا على الكبيرة، وقوله: «وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس» هذا ردٌّ على من فسّر الظلم بالكفر والشرك، وهم الجمهور، وقد فسّره الرسول ﷺ بالشرك فوجب قبوله»[٢].اهـ

---

(١) الكشاف (٢/٣٣).

(٢) البحر المحيط (٢/٩٢).

[١٥]

قوله ﷻ: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

معنى هذه الآية وما فيها من بشارة ونذارة وخوف ورجاء وتنبيه وتحذير كان حاضرًا في قلب وعلم وعمل أبي بكر الصديق ﷺ. ولقد أوصى به الخليفة من بعده والأمة كلها وهو في آخر أيامه من الدنيا عندما أَزِفَ رحيله؛ ليكون الصديق مع كتاب الله ومعانيه والعمل به إلى آخر أيامه من الدنيا.

ففي وصيته الشهيرة للخليفة بعده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن عَهِد له بالخلافة من بعده وكتب بذلك كتابًا إلى أمراء الأجناد، في هذه الأثناء استدعى أبو بكر ﷺ عمر بن الخطاب وأوصاه بتلك الوصية الجامعة العظيمة، ووعظه وذكَّره وذكَّر الأمة كلها بمدلول هذه الآية الكريمة: فقال الصّدّيق ﷺ: **«يا عمر: إنما ثَقُلَت موازين من ثقلت موازينُه يوم القيامة باتِّباعهم الحق، وثقله عليهم، وحُقّ لميزانٍ لا يوضع فيه غير الحق أن يكون ثقيلا، يا عمر: وإنَّما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الباطل، وخِفَّته عليهم، وحُقّ لميزانٍ لا يوضع فيه غير الباطل أن يكون خفيفًا، يا عمر: إنَّما نزلت آية الرَّجاء مع آية الشَدَّة، وآية الشِدَّة مع آية الرَّجاء، ليكون المؤمن راغبًا راهبًا: فلا ترغب رغبة فتتمنى على الله فيها ما ليس لك، ولا ترهب رهبة تلقي فيها بيديك، يا عمر: إنَّما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم وردّ عليهم ما كان من حسن، فإذا ذكرتَهم قلتُ: إني أرجو أن لا أكون منهم، وإنَّما ذكر أهل الجنة بأحسن**

أعمالهم لأنَّه تجاوز لهم عمّا كان من سَيِّءٍ، فإذا ذكرتُهم قلتُ: أيُّ عمل من أعمالهم أعملُ، فإذا حفظتَ وصيتي يا عمر لا يكونن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، ولست بمعجزه»[1].

---

(١) أخرج هذه الوصية الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (١/٣٦، ٣٧)، وذكرها ابن الأثير في الكامل في التاريخ (٢/٤٢٦). وذكرها الحافظ قوّام السّنة إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني في كتاب: الخلفاء الأربعة أيامهم وسِيَرهم (١١٢). ومن المفسرين ذكرها أبو الحسين البغوي في تفسيره: معالم التنزيل (٣/٢١٥، ٢١٦) عند هذه الآية.

[١٦]

قوله ﷻ: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنفال: ٤١].

• لأبي بكر الصّدّيق ﷺ فِقْهٌ واستنباط عجيب من هذه الآية الكريمة. فقد أوصى أن يخرج من ماله خمسه صدقة لله ﷻ استنادًا واستنباطًا من هذه الآية الكريمة. وتبع أبا بكر على هذا جمع من الصحابة.

أخرج عبد الرزاق في مصنفه[١] عن معمر عن قتادة: «**أن أبا بكر أوصى بالخُمُس، وقال: أُوصي بما وصَّى الله به لنفسه. ثم تلا: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴿٤١﴾ ﴾» الأنفال: ٤١.**

وأخرجه عبد الرزاق أيضاً[٢] عن سفيان الثوري عمّن سمع الحسن البصري وأبا قلابة يقولان: «**أَوصى أبو بكر بالخمس**».

وأخرجه ابن جرير الطبري[٣] من طريق عبد الوارث هو ابن سعيد قال: حدثنا أبان عن الحسن البصري به.

وأخرج محمد بن سعد، عن جعفر بن بُرقان، عن خالد بن أبي عَزَّة: أن أبا بكر

(١) المصنف (١٦٣٦٣/٩).

(٢) المصدر السابق (١٦٣٦٤/٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٥٠/٦).

أوصى بخمس ماله. وقال: «**آخذ من مالي ما أخذ الله من فيء المسلمين**»[1].

وتبع عدد من الصحابة والتابعين أبا بكر في ذلك. فهو ثابت عن علي بن أبي طالب ﷺ.

أخرجه عبد الرزاق[2] عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليٍّ ﷺ قال: «**لأن أوصي بالخمس أحب إليَّ من أن أوصي بالربع، وأن أوصي بالربع أحب إليّ من أن أوصي بالثلث. ومن أوصى بالثلث فلم يترك شيئًا**».

وقال الإمام التابعي إبراهيم بن يزيد النخعي رحمه الله: «كان الخمس أحبَّ إليهم من الربع، والربع أحبَّ إليهم من الثلث».

وقد أعمل أبو بكر الصديق ومن تبعه في هذه الآية العموم فجعلوا كل مالٍ كسبه المسلم كالغنيمة؛ فرضوا في الوصية بما أوصى به الله في الغنيمة وهو الخُمُس.

وليس في ذلك مخالفة لما أوصى به رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص بالثلث: **فإن سعد بن أبي وقاص طلب من النَّبي ﷺ أن يوصي بماله كلّه فقال له: لا. قال سعد: فالشطر. قال: لا. قلت: الثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير»**[3].

فقد تدرج النبي ﷺ مع سعد من ماله كله الذي أراد أن يوصي به إلى الثلث فهو أكثر ما يُؤذَن للمسلم أن يوصي به صدقة. ولا يمنع أن يوصي بالأقل كالربع

---

(1) الطبقات الكبرى (٣/٤٥). ونبّه البخاري في التاريخ الكبير (٣/١٦٤) إلى أن رواية خالد بن أبي عزة عن أبي بكر مرسلة. وله طريق أخرى عند ابن سعد (٣/١٤٨) من طريق معمر بن راشد عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال أبو بكر. فذكره. وأظن أن في هذه الرواية خللا: فقد أخرجها عبد الرزاق في المصنف (٩/١٦٣٦٣) من طريق معمر لكن عن قتادة. قوله.

(2) المصنف (٩/١٦٣٦١).

(3) أخرجه البخاري (٢٧٤٢). ومسلم (١٦٢٨).

أو الخمس لاسيما وقد قال ﷺ: «**والثلث كثير**»؛ لذلك ثبت عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «لو غضّ الناس إلى الربع لأن رسول الله ﷺ قال: «**الثلث والثلث كثير**»[1].

❁ ثمَّة مسألة أخرى تحت هذه الآية للصديق فيها قول أخذ به بعده الخلفاء وجمهور الفقهاء وهو كون التصرف في سهم رسول الله ﷺ يكون للإمام الذي يلي الأمر من بعده.

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقال آخرون: إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين، كما يتصرف في مال الفيء، وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله: وهذا قول مالك وأكثر السلف، وهو أصح الأقوال. فإذا ثبت هذا وعُلم، فقد اختُلف أيضًا في الذي كان يناله ﷺ من الخُمس، ماذا يُصنَع به من بعده؟ فقال قائلون: يكون لمن يلي الأمر من بعده، رُوِيَ هذا عن أبي بكر وعليّ وقتادة وجماعة، وجاء فيه حديث مرفوع»[2].اهـ

قلت: الحديث المرفوع الذي أراده ابن كثير هو حديث **أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: أرسلتْ فاطمة إلى أبي بكر: أنت وَرِثْتَ رسول الله ﷺ أم أهلُه؟ فقال أبو بكر: لا بل أهله. قالت فاطمة: فأين سهم رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عزوجل إذا أطعم نبيًّا طُعْمَة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده» فرأيتُ أن أردّه على المسلمين». قالت: فأنتَ وما سمعته**[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٤٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٢٠٦).

(٣) حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ح١٤)، وأبو داود (٢٩٧٣) وكذا أبو يعلى في مسنده ==

واعتماد الصّدّيق ﷺ على الحديث المعروف المتواتر عن رسول الله ﷺ: « **لا نورث ما تركنا صدقه**»[١].

ولا حاجة للحديث الذي ذكره ابن كثير ففي صحيح البخاري حديث مالك بن أوس عن عمر ﷺ قال: "فتوفى الله نبيه فقال أبو بكر" أنا وليّ رسول الله ﷺ **فقبضها، فعمل فيها ما عمل** رسول الله ﷺ ".

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وليس يُظنّ بفاطمة ﷺ أنها اتّهمَتِ الصّدّيق ﷺ فيما أخبرها به؛ حاشاها وحاشاها من ذلك، كيف وقد وافقَه على رواية هذا الحديث عمرُ بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين؟!، ولو تفرد بروايته الصّدّيق ﷺ لوجب على جميع أهلِ الأرض قبول روايته، والانقياد له في ذلك»[٢].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «وأحسن ما فيه قولها ﷺ: أنتَ وما سمعته من رسول الله ﷺ، وهذا هو المظنون بها، واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها

==

(٣٧) بسند صحيح لولا الوليد بن عبد الله بن جُميع الزهري المكي الراوي عن أبي الطفيل وثقه أحمد وأبو داود ويحي بن معين والعجلي، وقال أبو حاتم الرازي: صالح الحديث، وفيه تشيع. انظر تهذيب التهذيب (٨٧/٦). واستغربه ابن كثير في تاريخه (٤١١/٥)، وقال الحافظ ابن حجر: وإنما استنكروا عليه لفظة: «قال أبو بكر: بل أهله» لمعارضتها حديث: «لا نورث»، انظر الفتح (١٧٦/١٢).

(١) البخاري (٦٧٢٧)، ومسلم (١٧٥٨) وغيرهما، وبوّب عليه البخاري: باب قول النبي ﷺ «لا نورث ما تركنا صدقة».

(٢) البداية والنهاية (٤٠٧/٥، ٤٠٨)

ودينها ﷺ. وكأنها سألته بعد هذا أن يجعل زوجها ناظرًا على هذه الصدقة فلم يجبها إلى ذلك لما قدمناه»[١]. اهـ

وكذلك صنع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في هذا السهم كما صنع الصّدّيق سواء كما قال الإمام التابعي إبراهيم بن يزيد النخعي: «كان أبو بكر وعمر يجعلان سهم النبي ﷺ في الكُراع والسلاح. قال الأعمش، فقلت لإبراهيم: ما كان عليّ بن أبي طالب يصنع فيه؟ قال: كان أشدهم فيه»[٢].

أي أكثرهم عملا به في صرفه في السلاح والكراع ومصالح المسلمين كما كان يصنع أبو بكر وعمر ﷺ.

وقال **محمد بن إسحاق**: سألت أبا جعفر محمد بن علي[٣]، فقلت: عليّ بن أبي طالب حيث ولِيَ مِنْ أمر المسلمين ما ولِي، كيف صنع في سهم ذي القربى؟ فقال: سلك به سبيل أبي بكر وعمر، فقلت: وكيف أنتم تقولون ما تقولون؟ فقال: ما كان أهله يصدرون إلا عن رأيه وكره أن يُدّعى عليه خلاف أبي بكر وعمر ﷺ». اهـ

وهذا عمل مطرد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: فإنه يتلمس سُنة وفعل الشيخين أبي بكر وعمر ﷺ خصوصًا في الأموال ومواقع الحكم والقضاء. وهذا ثابت عند البخاري في الصحيح عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «**اقضوا كما كنتم تقضون، فإنّي أكره الاختلاف، حتى يكون الناس جماعة، أو أموت على ما مات عليه أصحابي**».

---

(١) البداية والنهاية (٥/٤١١).

(٢) أخرجه الطبري (٦/٢٥٣).

(٣) محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله.

فكان ابن سيرين: «يرى أن عامة ما يُروَى عن عليّ الكذب»[(١)].

وسبب قوله هذا أنه ﷺ همَّ أن يأذن بِبَيْع أمهات الأولاد وقد كان أمير المؤمنين عمر ﷺ قد منع من ذلك أيَّام ولايته وكان عليٌّ موافقٌ له في ذلك. فلمَّا همَّ عليّ بأن يأذن ببيع أمهات الأولاد قال له قاضي الدولة في زمنه وهو التابعي الكبير المخضرم: عَبِيدَة بن عمرو الهَمْدَاني ثم السلماني رحمه الله: «رأيك مع عمر في الجماعة خير من رأيك وحدك في الفُرْقة». فرجع عليٌّ ﷺ عن ما كان همَّ به، وعاد إلى موافقة حكم وقضاء أمير المؤمنين عمر، وقال مقالته تلك: فعلي بن أبي طالب ﷺ كان موافقًا لعمل أبي بكر الصديق وعمر في سهم النبي ﷺ وسهم ذوي القربى سواء، وذلك رضًا منه برأيهما وعملهما رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٦) من طريق أيوب عن ابن سيرين عن الإمام التابعي الكبير المخضرم عَبِيدة بن عمرو السلماني عن علي به.

[١٧]

قال الله ﷻ: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ١-٥].

عندما عاد رسول الله ﷺ من غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة همّ أن يحجّ البيت الحرام، وكان المشركون ما زالوا يحضرون الموسم على عادتهم وما زالوا يطوفون بالبيت وهم عُراة على عادتهم الجاهلية كذلك: فكَرِه رسول الله ﷺ مخالطتهم وهم على هذا الحال، فَانتدب صاحبه وصِدِّيقه أبا بكر أميرًا على الموسم في هذا العام عام تسع من الهجرة، وأَمَرَه أن يقيم للناس حجّهم تلك السّنة، وأرسله بهذين البيانين العظيمين:

الأول: أن لا يَحُجّ بعد هذا العام مشرك أبدًا.

والثاني: أن لا يطوف بالبيت عُرْيان بعد اليوم أبدًا، ثم أرْدَفَهُ بعليّ بن أبي طالب بصدر سورة براءة ونبذ عهود المشركين إليهم، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل عليًا ﷺ تحت إمرة أبي بكر ﷺ، فلما حجّ رسول الله ﷺ السنة التي بعدها وهي

سنة عشر لم يحج أحد من المشركين.

وقد وضّح الأمام البخاري ما يتعلق بهذه القضية، فبوّب في كتاب التفسير من الصحيح فقال: باب قوله ﷻ: ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢ ﴾ [التوبة: ١-٥].

ثم أخرج حديث حميد بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة ﷺ قال: «**بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذّنين بعثهم يوم النحر، يؤذّنون بمِنى: «أن لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان»**. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة. **قال أبو هريرة: فأذّن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان»**[1].

وبوّب البخاري فقال: باب ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

وأخرج حديث أبي هريرة السابق من طريق صالح هو ابن كيسان عن ابن شهاب: أن حميد بن عبد الرحمن أخبره، أن أبا هريرة أخبره: «**أن أبا بكر ﷺ بعثه في الحجة التي أمّره رسول الله ﷺ عليها قبل حجة الوداع في رهط يُؤذّنون في الناس: «أن لا يحجنّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان»**. فكان حميد يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبي هريرة[2].

وفي كتاب الجهاد بوّب البخاري بابًا مهمًا فقال: باب كيف يُنبذ إلى أهل العهد، وقول الله ﷻ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) صحيح البخاري (٤٦٥٥، ٤٦٥٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٥٧).

يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وأخرج حديث حميد بن عبد الرحمن السابق أن أبا هريرة ﷺ قال: «**بعثني أبو بكر ﷺ فيمن يُؤذِّن يوم النحر بمِنى: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»، ويومُ الحجّ الأكبر يومُ النحر. وإنّما قيل الأكبر من أجل قول الناس الحج الأصغر، فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام؛ فلم يحجّ عام حجة الوداع الذي حج فيه النبي ﷺ مشرك**»[1].

ويظهر لي أن هذه الجملة من قوله "**ويومُ الحجّ الأكبر يومُ النحر**" إلى قوله "**الحج الأصغر**" مدرجة في الحديث، والأظهر أنها من كلام حميد بن عبدالرحمن الراوي عن أبي هريرة كما ذكر ذلك ابن سيرين الراوي عنه في الحديث قبل هذا.

هذه هي الحقيقة كما وضّحها الإمام البخاري -رحمه الله- بهذا الحديث الصحيح الثابت الدال على أن النبي ﷺ بعث أبا بكر الصديق أميرًا على الحج والموسم سنة تسع، فنبذ أبو بكر إلى الناس عهودهم، وأن لا يحج مشرك بعد اليوم ولا يطوف بالبيت عريان.

وإنّما أردفه بعليّ بن أبي طالب ﷺ مأمورًا تابعًا لأبي بكر ﷺ فكان عليٌّ ممن بعثهم أبو بكر يوم النحر مع أبي هريرة وغيره بنبذ العهود، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان؛ فأبو بكر هو أمير الحج سنة تسع من أولها إلى آخرها، وهو الذي تولى نبذ العهود إلى المشركين، وأن لا يطوف بالبيت عُريان، ولا يحج بعد العام مشرك، وأنما كان عليّ ﷺ رِدْفًا ورِدءًا له مع بقية الصحابة.

ومن صرائح الأدلة على ذلك: ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره من طريق معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ في قوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ

---

(١) صحيح البخاري (٣١٧٧).

مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾ [التوبة: ١]، قال: «**لما كان النبي ﷺ زمن حُنين اعتمر من الجعرانة ثم أمّر أبا بكر على تلك الحجة**»، **قال معمر: قال الزهري: وكان أبو هريرة يحدث أنَّ أبا بكر أَمَر أبا هريرة أن يؤذِّن ببراءة في حجة أبي بكر. قال أبو هريرة: ثم أتبعنا النبي ﷺ عليًا، وأَمَره أن يؤذِّن ببراءة، وأبو بكر على الموسم كما هو أو قال على هيئته**»(١).

واستغربه ابن كثير - رحمه الله - من جهة أنّ أمير الحج سنة عمرة الجعرانة إنما هو عتّاب بن أسيد.

وليس استغرابه في محله، فإن مراد وسياق الكلام أن النبي ﷺ بعد فتح مكة في رمضان سنة ثمان خرج إلى حُنين، واعتمر في ذي القعدة من نفس السنة من الجعرانة وعاد إلى المدينة، وفي سنة تسع خرج إلى تبوك ولما عاد أَمَّر أبا بكر على الحج سنة تسع، وحج هو سنة عشر حجة الوداع ﷺ.

وقد خرج مع أبي بكر تحت إمْرته في تلك الحجة جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة كما مَرّ، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن العباس ﷺ،كلهم نصّوا على أن أبا بكر كان هو الأمير في تلك الحجة كلها من أولها إلى آخرها، وإنَّما أرسل النبي ﷺ عليًا رِدْفًا له وعونًا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد وقفت ممَّن سُمِّي ممَّن كان مع أبي بكر في تلك الحَجّة على أسماء جماعة منهم: سعد بن أبي وقاص، فيما أخرجه الطبري من طريق الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «**بعث رسول الله ﷺ أبا بكر، فلمَّا انتهينا إلى ضجنان أتبعه عليًا**»، ومنهم: جابر، روى الطبري من طريق عبد الله بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر: «**أنَّ النَّبي ﷺ بعث أبا بكر على**

(١) تفسير عبد الرزاق (١٣١/٢ ح١٠٣٧، ١٠٣٨).

الحج فأقبلنا معه»[١].

وقال أيضًا: «وروى الطبري من طريق ابن عباس قال: «**بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا على الحج، وأَمَرَه أن يقيم للناس حجهم فخرج أبو بكر**»[٢].

وهذا الذي اعتمده محمد بن إسحاق إمام السِّير فقال: «بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ أميرًا على الحاجّ من سنة تسع ليقيم للناس حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين»[٣].

وكل رواية تخالف ذلك فهي ضعيفة أو ساقطة مكذوبة وسنفصل القول في تلك الروايات المخالفة بعون الله تعالى:

أولا: حديث عليّ ﷺ قال: «لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ دعا أبا بكر ليقرأها على أهل مكة، ثم دعاني فقال لي: «أدرك أبا بكر، فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه، فاقرأه على أهل مكة»، فلحقته، فأخذت منه الكتاب، ورجع أبو بكر فقال: يا رسول الله، نزل فِيّ شيء؟ قال: لا، ولكنّ جبريل جاءني فقال: لن يُؤدّي عنك إلا أنت، أو رجل منك»[٤].

---

(١) فتح الباري (١٩٦/١٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٠٢/٦)، والسيرة النبوية لابن هشام (٥٤٣/٤).

(٤) هذا حديث منكر، ضعيف الإسناد، أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٢٩٧)، وفيه علل جارحة: ففي سنده محمد بن جابر بن سيّار السحيمي اليمامي: ضعّفه ابن معين وأحمد، وقال عمرو بن علي: متروك الحديث. تهذيب التهذيب (٥٤/٥). وكذلك في سنده راوٍ اسمه حنش وهو راويه عن عليّ فهو حنش بن المعتمر الكناني الكوفي، قال البخاري: يتكلمون فيه، وقال ابن المديني: لا أعرفه، وقال ابن حبان: لا يحتجون به، وقال أيضًا: كان كثير الوهم في الأخبار ينفرد عن عليّ بأشياء لا تشبه حديث الثقات حتى صار ممن لا يحتج بحديثه، تهذيب التهذيب (٣٨/٢، ٣٩).

قال الحافظ ابن كثير: «فيه نكارة من جهة أمره بردّ الصّدِّيق، فإن الصدِّيق لم يرجع، بل كان هو أمير الحج في سنة تسع»[(١)].اهـ

ثانيًا: حديث سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة إلى أهل مكة ثم بعث عليًّا على أثَرِه، فأخذها منه، فكأن أبا بكر وَجَد في نفسه: فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر إنه لا يُؤدِّي عنّي إلا أنا، أو رجل منّي»[(٢)].

ثالثًا: حديث أنس في المعنى عند أحمد في المسند[(٣)].

رابعًا: وعن زيد بن يُثَيع عن عليّ عدة روايات.

قال الحافظ أبو إسحاق الجوزقاني: «هذه الروايات كلها مضطربة، مختلقة، ومنكرة»[(٤)].

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام الخطابي -رحمهما الله- من كتابه (شعار الدين) قوله: «لا يؤدّي عنّي إلا رجلٌ من أهل بيتي» هو شيء جاء به أهل الكوفة عن زيد بن يُثَيع، وهو متهم في الرواية منسوب إلى الرفض، وعامة من بلّغ عنه ﷺ غير أهل بيته؛ فقد بعث رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة إلى المدينة يدعو الناس إلى الإسلام ويُعلّم الأنصار القرآن ويفقههم في الدين، وبعثَ العلاء بن

---

(١) البداية والنهاية (٩٢/١١).

(٢) أخرجه النسائي في خصائص عليّ من السنن الكبرى (٨٤٠٨) من طريق أسباط بن نصر عن فِطر بن خليفة عن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن رُقيم عن سعد به، وهذا سند منكر: أسباط مضعف عندهم التهذيب (٩٧/١)، وفطر بن خليفة خشبيٌّ مفرط قاله أحمد: التهذيب (٤٨٦/٤). وعبد الله بن رقيم قال عنه البخاري: فيه نظر، وقال النسائي وهو الذي أخرج له في الخصائص: لا أعرفه. التهذيب (١٣٢/٣).

(٣) مسند أحمد (١٣٢١٤).

(٤) كتاب الأباطيل والمناكير (١٣١/١).

الحضرمي إلى البحرين في مثل ذلك، وبعثَ معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، وبعثَ عتّاب بن أسيد إلى مكة. فأين قول من زعم أنَّه لا يبلّغ عنه إلا رجلٌ من أهل بيته»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: «وكذلك قوله: «لا يؤدّي عنّي إلا عليّ» من الكذب»(٢).اهـ

فهذه هي الحقيقة بلا غبش، ومفادها أن الصّدِّيق الأكبر أبا بكر هو الأمير الذي أقام للناس حجهم سنة تسع بتأمير رسول الله ﷺ له. وهو إمام الموسم. وهو الذي بَلَّغ وأدّى عهود رسول الله ﷺ ونبذها إلى أهل الشرك قاطبة. وهو الذي أعلن حكم الله وأمره الخالد: أن لا يَحُجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوفَ بالبيت عريان، وعليّ بن أبي طالب وبقية الصحابة ﷺ ردءٌ له وأعوان، بهم أبو بكر في منازل الناس بمِنى وعرفة والحرم.

وهذا جانب من مناقب الصّدِّيق عظيم، وخصوصية هائلة، لا تَقلُّ شأنًا ولا أهميةً عن استخلاف النبي ﷺ له في الصلاة بالناس إمامًا في محرابه في مسجده أيام مرضه قبيل وفاته ﷺ بأمره الصريح: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»(٣): فأقام الصّدّيق ركن الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ إمامًا للناس بأمر رسول الله ﷺ وفي حياته عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكروا عدد الأيام التي استمر فيها مرض رسول الله ﷺ. فقيل: ثلاثة عشر يومًا، وهو قول أكثر العلماء. وقيل: بزيادة يوم؛ فيكون أربعة عشر يومًا.

---

(١) منهاج السنة (٥/٦٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٤).

وقيل: بنقص يوم؛ فيكون اثني عشر يومًا. وقيل: عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، ورواه البيهقي بإسناد صحيح(١).

والظاهر أنها ثلاثة عشر يومًا؛ لأن مرضه ﷺ ابتدأ في يوم الاثنين كما قال الخطابي وغيره، و قُبِضَ ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف فيكون ثلاثة عشر يومًا، وهذا يعني أنه قد مرّت جُمْعَتَان خلال هذه الأيام، فهل يكون الذي أقام الجُمعة وخطب على منبر رسول الله ﷺ وهو حي يسمع ويرى أبو بكر ﷺ؟.أم أن النبي ﷺ خرج إليهم هاتين الجمعتين؟ مع الأخذ في الاعتبار أن الجمعة الثانية قبيل وفاته بثلاثة أيام وقد اشتد به المرض.

هذا ولم أرَ من ذكر ذلك أو تعرض له أو نبّه عليه.

فالظاهر أن الصّدّيق أبا بكر ﷺ هو الذي أقام للناس صلاة الجمعة الثانية وإنْ لمْ يكنْ أقام التي قبلها أيضًا، وخطب بهم على منبر رسول الله ﷺ، بأمر رسول الله ﷺ وهو ما زال حيًّا في حجرته المباركة، واستمع إلى خطبته، يدل على ذلك ما يأتي:

* **الدليل الأول:** أن يوم الخميس الذي سبق هذه الجمعة هو الخميس الذي اشتدَّ فيه وَجع النبي ﷺ وأراد النبي ﷺ أن يكتب فيه كتابًا ليعهد للناس حتى لا يضلوا بعده أبدًا فكثر عنده اللغط فقال: قوموا عنِّي فإنه لا ينبغي عندي لغط كما ثبت في حديث ابن عباس ﷺ قال: **«يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ اشتدّ برسول الله ﷺ وجعُه، فقال: «ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع»**(٢).

---

(١) انظر فتح الباري (١٦/٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٤٣١).

وفي لفظ آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لما حُضِر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: هَلُمّوا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا، فقال بعضهم: إن رسول الله قد غَلَبه الوجع، وعندكم القرآن وحسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ قوموا**»[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وهذا الموضع مما زلّ فيه أقدام كثير من أهل الضلالات، وأمَّا أهل السّنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق، يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد النَّبي ﷺ أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه»[(٢)].

قلت: يريد ما جاء عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**قال رسول الله ﷺ: «لقد هممتُ أن أُرْسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد: أن يقول القائلون أو يتمنّى متمنّون، فقلت: يأبى الله، ويدفع المؤمنون**»[(٣)].

وعن ابن أبي مُليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**لما كان وجع رسول الله الذي قُبض فيه قال: «ادعوا لي أبا بكر وابنه لكي لا يطمع في أمر أبي بكر طامع، ولا يتمنَّى متَمنٍّ، ثم قال: يأبى الله ذلك والمؤمنون**»[(٤)].

وقد قدمت أن النَّبي ﷺ همَّ أن يكتب كتابًا مرتين اثنتين، وشرحت ذلك بادلته[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٢).

(٢) البداية والنهاية (٥/٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٧٢١٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/١٠٦) و (٦/٤٧).

(٥) انظر ص (٥٧).

❁ **الدليل الثاني:** في هذا اليوم ذاته وهو يوم الخميس تحامل النبي ﷺ على نفسه واغتسل وأمر أن يُصبّ عليه من سبع قِرَبٍ لم تُحْلَلَ أَوْكِيَتُهنّ، ثم خرج للناس وصلى بهم، وجلس على منبره الشريف، وخطبهم آخر خطبة له، وكان هذا المجلس آخر مجلس جلسه النبي ﷺ على منبره الشريف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد خطب ﷺ في يوم الخميس قبل أن يُقْبَض بخمسة[١] أيام خطبةً عظيمةً بيّن فيها فضل الصّديق من بين سائر الصحابة، مع ما كان قد نصّ عليه أن يَؤُمَّ الصحابة أجمعين، ولعلّ خطبته هذه كانت عِوَضًا عمّا أراد أن يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل ﷺ بين يَدَيْ هذه الخطبة الكريمة، فَصَبّوا عليه من سبع قِرب لم تُحْلَل أوكيتهنّ...والمقصود أنه ﷺ اغتسل ثم خرج فصلّى بالناس، ثم خطبهم»[٢].اهـ وهاكم الروايات:

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: «**لما ثَقُل رسولُ الله واشتد به وجعه، استأذن أزواجه أن يُمرَّض في بيتي فأذِنّ له...فكانت عائشة تُحدِّث: أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتدّ به وجعه قال: هَريقوا عليّ مِن سبع قرب لم تُحلل أوكيتهنّ لعلي أعهد إلى النَّاس، فأجلسناه في مِخْضب لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصبّ عليه من تلك القِرَب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتُنّ، ثم خرج إلى الناس فصلّى لهم وخطبهم**»[٣].

(١) هي أربعة أيام.

(٢) البداية والنهاية (٥/٣١٩، ٣٢٠).

(٣) البخاري (٤٤٤٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ خرج في مرضه الذي مات فيه عاصبًا رأسه بعصابة دسماء ملتحفًا بملحفة على منكبيه فجلس على المنبر، فذكر الخطبة في الوصاة بالأنصار، وفيه: «وكان ذلك آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ»[١].

وعن جندب بن عبد الله ﷺ أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يُتَوَفَّى بخمسٍ وهو يقول: «قد كان لي منكم إخوة وأصدقاء، وإنِّي أبرأ إلى كل خليل من خُلَّته، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا...»[٢].

فهذه الأحاديث صريحة في أن النبي ﷺ خرج للناس يوم الخميس قبل وفاته بأربع ليالٍ فقط وصلى بهم، وجلس على منبره وخطبهم، ونوّه بمنزلة الصّدّيق ﷺ ومكانته عنده، وكانت هذه الخطبة يوم الخميس آخر خطبة خَطبها رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله ﷺ حتى قُبِضَ، يعني آخر خطبة خطبها ﷺ»[٣].

وهذا صريح أن صلاة الجمعة في اليوم التالي لهذا الخميس الذي خرج فيه النَّبي ﷺ وخطب فيه، إنَّما أقامها أبو بكر ﷺ وخطب بالناس خطبة الجمعة على منبر رسول الله ﷺ بعلمه وفي حياته وبأمره وهو بحجرته الشريفة يرى ويسمع، وقد رضي بذلك غاية الرضى.

فإن كان الصّدِّيق هو الذي أقام للناس الجمعة بأمر رسول الله ﷺ وخطب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) البداية والنهاية (٥/٣٢٣).

على منبر رسول الله ﷺ ورسول الله حيٌّ يسمع ويرى فهذا من أجلّ وأعظم ما يكون من الفضائل والمناقب والخصائص لأبي بكر، وهو كالنص في استخلافه على إمامة الناس وخلافته بعده، وها هو هنا يقيم للناس حجّهم وأنساكهم وهو القائم عليهم والأمير على الموسم بأمر رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بالمدينة.

فإقامة الصلاة بمسجد رسول الله إمامًا في محراب رسول الله ﷺ وبأمره الصريح، وإقامة الجمعة للناس على منبر رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ حيٌّ يسمع ويرى ويأمره بذلك، وإقامة حج الناس وموسمهم سنة تسع وبأمر رسول الله ﷺ الصريح بذلك، هذه من أعظم وأجلّ خصائص أبي بكر الصّدِّيق ﷺ، ولم تقع قط لغيره. فهل بعد ذلك أي شكٍّ أو تردد في كونه هو خليفة رسول الله ﷺ على أُمته؟

قال **أبو محمد بن حزم رحمه الله**: «وهذا من أعظم فضائل أبي بكر، لأنَّه كان أميرًا على عليّ بن أبي طالب وغيره من أهل الموسم. لا يدفعون إلا بدفعه. ولا يقفون إلا بوقوفه، ولا يصلون إلا بصلاته، وينصتون إذا خطب، وسورة براءة وقع فيها فضل أبي بكر ﷺ، وذكره في أمر الغار وخروجه مع النبي ﷺ، وكون الله تعالى معهما، فقراءة عليّ لها أبلغ في إعلان فضل أبي بكر على عليٍّ، وعلى سواه، وحجّة أبي بكر قاطعة، وبالله تعالى التوفيق»[1].اهـ

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله- وهو يرد على الرافضي في زعمه أن النبي ﷺ أمر بردِّ أبي بكر عن إمرة تلك الحجّة سنة تسع وإنفاذ عليّ بدلا منه: «هذا كذبٌ باتفاق أهل العلم وبالتواتر العام. فإن النَّبي ﷺ استعمل أبا بكر على الحجّ سنة تسع، لم يردّه ولا رجع. بل هو الذي أقام للناس الحج ذلك العام وعليٌّ

---

(١) الفصل (٤/٢٢٢).

من جملة رعيّته يصلي خلفه ويدفع بدفعه، ويأتمر بأمره كسائر من معه، وهذا من العلم المتواتر عند أهل العلم، لم يختلف اثنان في أن أبا بكر هو الذي أقام الحجّ ذلك العام بأمر النبي ﷺ فكيف يُقال: إنه أمرَ بردِّه؟»[١].اهـ

(١) منهاج السنة (٢٩٦/٨).

[١٨]

قوله ﷻ: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢].

لأبي بكر الصَدِّيق ﷺ في هذه الآية فقه وعلم وعمل.

فعن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفير قال: كنتُ في الجيش الذين وجّهَهم أبو بكر الصّدِّيق وفي عهده إلى الناس حين وجّهَهم إلى الشام، فقال لهم الصّدِّيق وعهد إليهم: «**إنَّكم ستجدون قومًا مُحَوَّقةً رؤوسُهم فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف، فوالله لأن أقتل رجلا منهم أحبَ إليّ من قتل سبعين من غيرهم،** وذلك بأن الله يقول: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢][١].

هؤلاء المُحَوَّقة رؤوسهم هم قوم من رُؤوس وقادة النصارى ومتعصبيهم وهم أئمة الكفر الذين يصدّون الناس عن الحق ويقودونهم إلى الباطل والضلال.

ومعنى المُحَوَّقة رؤوسهم: أي أنَّهم يحلقون وسط رؤوسهم وَيَدَعُون بقيته شعارًا دينيًا اتَّخذوه يدل على تعصبهم وضلالهم.

وهذا الشعار يشبه شعار طائفة الخوارج الذين خرجوا على جماعة المسلمين أيام أمير المؤمنين عليّ ﷺ؛ فقد كانوا يحلقون رؤوسهم تمامًا حتى صار شعارًا لهم عُرِفوا به فيقال لهم: (المُحَلِّقة)، ورأسهم الأول: ذو الخويصرة التميمي كان محلوق الرأس: فهو

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦١/٦) من طريق الوليد بن مسلم، حدثنا صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير به، وهذا السند لا بأس به، وعبد الرحمن بن جبير بن نفير هو الحضرمي، أبو حميد، وثقه أبو زرعة والنسائي وابن سعد وابن حبان، تهذيب التهذيب (٣/٣٣٠).

من أسّس لهم هذا الشعار. وهم خوارج متعصِبة أصحاب سيف على المسلمين وإمامِهم وجماعتِهم، مستبيحون لدمائهم، وقد ذكرهم النبي ﷺ بهذه الصفة وهذا الشعار وأوصى بقتالهم أشد القتال وقتلهم[١]. وهؤلاء متعصبةُ النصارى وقادتهم إلى الضلال والباطل المتخذون تحويق وسط رؤوسهم شعارًا لهم كذلك، لذلك عدّهم الصّدِّيق من أئمة ورُؤوس الكفر وأمر بقتلهم.

وقد عمم أبو بكر ﷺ الحكم في الآية؛ فهي وإن كانت قد نزلت في شأن مشركي قريش والعرب كما هو قول أكثر المفسرين إلا أن حكمها يَعمّ كل أئمة الكفر ورؤوسه المحاربين لله ورَسُوله، الصّادين الناس عن سبيل الله وصراطه المستقيم. وهذا هو التفسير حقًّا كما فهمه واستدل به الصّدِّيق: فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

ولذلك قال الإمام الحافظ المفسِّر إسماعيل بن كثير رحمه الله: «والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش، فهي عامة لهم ولغيرهم»[٢].

ثم أورد بعد كلامه هذا: هذا الأثر من علم الصّدِّيق ﷺ.

وهذا تأسيسٌ حيّ، وتأصيل علمي عملي من الصّدّيق لهذه القاعدة التفسيرية والأصولية، وهي: العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

(١) انظر الأحاديث في ذلك صحيح البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٥٨/٤).

[١٩]

قوله ﷻ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

هذه الآية العظيمة الجليلة هي آية الصّدِّيق الكبرى ومنقبته العظمى وخِصّيصته الجليلة، لزِم النبي المختار، ودخل معه الغار. فخلّد الله ﷻ صحبته لرسوله المصطفى ﷺ وشهد بها، وسمّاها بصيغة الإفراد المضافة إلى رسول الله ﷺ. فصار حتمًا لازمًا وشرعًا ملزمًا على أهل الأرض أن يؤمنوا بأن الصّدِّيق هو صاحب خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ ويشهدوا بما شهد به الله وملائكته. ومن أصدق من الله قيلا ومن أصدق من الله حديثًا، وكفى بالله شاهدًا وشهيدًا وكفى بالله ناصرًا ووكيلا.

وفي هذه الآية الكريمة مسائل:

❁ المسألة الأولى:

أجمع الخلق جميعًا إنسهم وجِنّهم، عربهم وعجمهم، مسلمهم وكافرهم إلا حفنة شَقيّة مِنْ رَفَضِ الخليقة وشِيَعها: أن صاحب رسول الله ﷺ في الهجرة والغار هو صاحبه وصِدّيقه أبو بكر ﷺ.

حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكون أبي بكر مواليًا للنّبي ﷺ

أعظم من غيره أمرٌ علمه المسلمون والكفّار، والأبرار والفجّار، حتى أنّي أعرف طائفةً من الزنادقة كانوا يقولون: إن دين الإسلام اتفق عليه في الباطن النّبي ﷺ وأبو بكر وثالثهما عمر، لكن عمر لم يكن مطّلعًا على سرهما كله»[(١)].اهـ

وقد شهد الله رب العالمين وملائكته بهذه المنقبة - وكفى بالله شهيدًا - كما أخبرنا في هذه الآية الكريمة.

وشهد بها رسول الله ﷺ فهي تاج شرف ووقار ورفعة للصّدِّيق.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: **«حدّثني أبو بكر، قال: كنتُ مع النَّبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما»**[(٢)].

وقد علم ذلك في مستقر قلبه وشهد به لنفسه أبو بكر ﷺ، فعن عمرو بن الحارث عن أبيه[(٣)]: **«أن أبا بكر الصّدِّيق قال: «أيُّكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل: أنا، قال: اقرأ، فلما بلغ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠] بكى أبو بكر وقال: أنا والله صاحبُه»**[(٤)].

وشهد بذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وجعل خبر الغار خاصِّيَّةً للصّدِّيق، وجعلها المُقَوِّم الأوّل والأكبر لاستحقاقه أن يكون الخليفة بعد رسول

---

(١) منهاج السنّة: (٨/٤٣٤، ٤٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣، ٤٦٦٣)، ومسلم (١٨٥٤).

(٣) أبوه هو: الحارث بن يعقوب بن ثعلبة الأنصاري بالولاء المصري، عداده في التابعين، وثّقه ابن معين والنسائي وابن حبّان وغيرهم، تهذيب التهذيب (١/٤٨١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٠٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/٣٧٥)، من طريق عبدالله بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحارث عن أبيه به .

الله ﷺ. فمن هذا الذي يجرؤ أن يَتأمَّر على قومٍ فيهم صاحب الغار أبو بكر؟ حتى قال عمر: **«لأن أَخِرّ من السماء إلى الأرض أحب إليّ من أن أتأمّر على قومٍ فيهم أبو بكر»**[(١)].

وفي حديث السقيفة، أن عمر أخذ بيد أبي بكر ثم قال: **مَنْ له هذه الثلاث؟: «إذ يقول لصاحبه» من صاحبه؟، «إذ هما في الغار» من هما؟، «لا تحزن إنّ الله معنا» مَعَ مَنْ؟**[(٢)].

وشهد بذلك أيضًا أمير المؤمنين أبو الحسن عليّ بن أبي طالب ﷺ، فعنه قال: **«إن الله ذمّ الناس كلهم ومدح أبا بكر فقال:** ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].[(٣)]

وهذا المعنى قاله الشعبي، والحسن البصري، وسفيان بن عيينة وغيرهم.

۞ المسألة الثانية:

قوله ﷻ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠] هذا أسلوب شرط وجواب، الشرط دلّ عليه قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠] أي إن الله سينصره ويظهره[(٤)].

وقد ظهر نصره له في هذا الوقت العصيب، وقد خرج ﷺ مهاجرًا متخفيًا

---

(١) البخاري برقم (٦٨٣٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/١٨٠٠)، عن سالم بن عبيد رجل من أهل الصفة.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/٢٩١) .

(٤) انظر البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي: (١٤/٢٤٦، ٢٤٧).

وليس معه إلا صَدِيقه وصِدِّيقه أبو بكر، وقد تحقق النصر وهما في الغار إذ أحاط بهم المشركون ووصلوا فم الغار فأعماهم الله عنه وعن صاحبه وصرفهم خائبين خاسرين. وقد ساق لنا أبو بكر نفسه خبر هذا الأمر العظيم والسفر الجليل والهجرة وشأن الغار. فليس أحد من الصحابة أعلمَ به منه. فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: **«اشترى أبو بكر من عازب رحلا بثلاثة عشر درهمًا فقال لعازب: مُر البراء فليحمله إلى منزلي، فقال عازب: لا حتى تحدّثنا كيف صنعتَ حيث خرج رسول الله ﷺ وأنت معه حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم؟ فقال أبو بكر: ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة. فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوي إليه؟ .....** فَساق الحديث إلى قوله: **«وأتبعنا سراقة بن مالك. فقلت: أُتِينا يا رسول الله. فقال: لا تحزن إنّ الله معنا......»**[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: **«حدّثني أبو بكر قال: كنتُ مع النَّبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين فقلت: يا رسول الله لو أنَّ أحدهم رفع قدميه لرآنا. قال: «ما ظنّك باثنين الله ثالثهما»**[2].

وهذان الحديثان أخرجهما البخاري وبوّب علهما بنفس الآية فقال: باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ومنهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي ﷺ وقول الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠ الآية].

وبوّب البخاري أيضًا فقال: باب قوله ﷻ: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠]. معنا: ناصرنا.

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٥، ٣٦٥٢)

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)

ثم أخرج حديث أنس عن أبي بكر الصِّدِّيق السابق.

وأخرج أيضًا حديث ابن عباس أنه قال يصف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: «**أبوه الزبير وأمه أسماء، وخالته عائشة وجدّه صاحب الغار أبو بكر، وجدّته صفية**»(١).

❁ المسألة الثالثة:

أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه هو الوحيد الذي وُصِف في القرآن الكريم ووَصَفه اللهُ رب العالمين بأخصِّ صفاته وخصائصه التي بها شَرُفَ ونَبُلَ وظَهَر، ألا وهو كونه صاحب رسول الله ﷺ: فله من الصحبة النبوية غايتها ونهايتها وخاصتها، وهذه الشهادة القرآنية الكريمة للصِّدِّيق بأنَّه الصاحب الخاص والصديق الصَّدوق لرسول الله ﷺ شهادة صادقة خالدة ظاهرة. وشهد المؤمنون بذلك إتِّباعًا لشهادة الله تعالى ربِّ العالمين، ومن أصدق من الله حديثًا.

ومن هذه الشهادة الإلهية الكريمة: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠] أخذ أئمة المسلمين حكمًا شرعيًا قرآنيًا عظيمًا وهو: أنَّ من أنكر أن يكون أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي هو صاحب رسول الله الخِصِّيصُ به، وصاحبه في هجرته، وصاحبه في الغار، وهو المعني بالآية الكريمة، والمقصود بالشهادة الإلهية الكريمة، من أنكر شيئا من ذلك فهو كافرٌ بالله تعالى مكذِّبٌ لكلامه الجليل رادٌّ لشهادته الكريمة. وكفى بذلك كفرًا وإلحادًا في آيات الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كان هذا الكلام يستلزم إيمانه،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٥، ٤٦٦٤)

فمعلوم أنَّ الرسول لا يختار لمصاحبته في سفر هجرته الذي هو أعظم الأسفار خوفًا، وهو السفر الذي جُعِل مبدأ التاريخ[١] لجلالة قدره في النفوس، ولظهور أمره، فإنَّ التاريخ لا يكون إلا بأمرٍ ظاهر معلوم لعامَّة النَّاس- لا يستصحب الرَّسول فيه من يختص بصحبته إلا وهو من أعظم النَّاس طمأنينةً إليه ووثوقًا به، ويكفي هذا في فضائل الصّدِّيق وتمييزه على غيره، وهذا من فضائل الصّدِّيق الَّتي لم يشركه فيها غيره، ومما يدل على أنَّه أفضل أصحاب رسول الله ﷺ عنده»[٢].اهـ

۞ المسألة الرابعة:

رأى عدد من علماء التَّفسير من الصَّحابة ومَن بعدهم: أنَّ أبا بكر ﷺ هو المراد بقوله ﷻ: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ وأنَّه لما حزن وخاف على رسول الله ﷺ أنزل الله سكينته عليه ليطمئنّ قلبه.

قال عبد الله بن عباس ﷺ: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ [التوبة: ٤٠] قال: على أبي بكر، لأنَّ النَّبي ﷺ لم تزل السكينة معه[٣].

وهو قول حبيب بن أبي ثابت أيضًا[٤].

و لكن جمهور المفسرين على أن الضَّمير في قوله: «عليه» يعود على رسول الله ﷺ ولكن مع ذلك فصاحبه مشاركٌ له في ذلك بلا شك.

---

(١) يعني التاريخ الإسلامي الذي يُعرف بالتاريخ الهجري، وقد نبَّه لهذا الإمام البخاري فقال في أول كتاب الهجرة والمناقب، باب التاريخ، ومن أين أرخوا التاريخ.

(٢) منهاج السنّة (٨/ ٤٥٠)

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٨٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

(٤) أخرج قوله الخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٤٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الناس قد تنازعوا في عود الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠]، فمنهم من قال إنَّه عائد إلى النَّبي ﷺ، ومنهم من قال إنَّه عائد إلى أبي بكر لأنَّه أقرب المذكورين ولأنَّه كان محتاجًا إلى إنزال السكينة؛ فأنزل السكينة عليه كما أنزلها على المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة[١]، والنَّبي ﷺ كان مستغنيًا عنها في هذه الحال لكمال طمأنينته بخلاف إنزالها يوم حنين فإنه كان محتاجًا إليها لانهزام جمهور أصحابه وإقبال العدو نحوه وسوقه ببغلته إلى العدو، وعلى القول الأوَّل يكون الضمير عائدًا إلى النَّبي ﷺ كما عاد الضمير إليه في قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠]، ولأنَّ سياق الكلام كان في ذكره، وإنَّما ذُكِر صاحبه ضمنًا وتبعًا، ولكن يُقال: على هذا لما قال لصاحبه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠] والنَّبي ﷺ هو المتبوع المطاع وأبو بكر تابعٌ مطيع وهو صاحبه والله معهما، فإذا حصل للمتبوع في هذه الحال سكينة وتأييد كان ذلك للتابع أيضًا بحكم الحال؛ فإنَّه صاحبٌ تابعٌ لازم، ولم يحتج أن يذكر هنا أبو بكر لكمال الملازمة والمصاحبة التي توجب مشاركة النبي ﷺ في التأييد»[٢].اهـ

وقال أيضًا: «وأبو بكر لما وصفه بالصحبة المطلقة الكاملة، ووصفهما في أحق الأحوال أن يفارق الصاحب فيها صاحبه - وهو حال شدّة الخوف- كان هذا دليلا بطريق الفحوى على أنَّه صاحبه وقت النصر والتأييد، فإنَّ من كان صاحبه في حال الخوف الشديد فلأن يكون صاحبه في حال حصول النصر والتأييد أولى

---

(١) يعني قوله ﷻ في سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ۝٤﴾ [الفتح: ٤].

(٢) منهاج السنّة (٨/٤٨٩، ٤٩٠).

وأحرى: فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال لدلالة الكلام والحال عليهما. وإذا عُلم أنه صاحبه في هذه الحال عُلِم أنَّ ما حصل للرسول من إنزال السكينة والتأييد بإنزال الجنود التي لم يرها الناس لصاحبه المذكور فيها أعظم مما لسائر الناس، وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه»[1].اهـ

وقال أيضًا: «وكذلك وَحَّد الضمير في قوله: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠]: لأنَّ نزول ذلك على أحدهما يستلزم مشاركة الآخر له، إذ محال أن ينزل ذلك على الصاحب دون المصحوب أو على المصحوب دون الصاحب الملازم، فلما كان لا يحصل ذلك إلا مع الآخر وَحَّد الضمير وأعاده إلى الرسول: فإنه هو المقصود والصاحب تابعٌ له»[2].اهـ

(١) المصدر السابق (٨/٤٩١).

(٢) المصدر السابق (٨/٤٩١، ٤٩٢).

[٢٠]

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠].

جعل الله ﷻ من مصارف الزكاة «المؤلفة قلوبهم»، وهم قوم يُعطَون من الزكاة وغيرها تأليفًا لهم ليثبتوا على الإسلام.

قال ابن عباس ﵄: «هم قومٌ كانوا يأتون رسول الله ﷺ قد أسلموا، وكان يَرْضَخ لهم من الصدقات، فإذا أعطاهم من الصدقة فأصابوا منها خيرًا قالوا: هذا دين صالح، وإن كان غير ذلك عابوه وتركوه»[(١)].

وقال الإمام الطبري رحمه الله: «المؤلفة قلوبهم، فإنهم قوم كانوا يُتألَّفون على الإسلام ممن لم تصحّ نصرته، استصلاحًا به نفسه وعشيرته»[(٢)].اهـ

ثم نظروا في هؤلاء المؤلفة قلوبهم، هل ما زالوا موجودين بعد عصر النبوة وثبوت الإسلام وتمام الأمر، أم لم يُعد هناك مبرر لإعطائهم من صدقات المسلمين؟

قال الإمام الطبري رحمه الله: «ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها، وهل يُعطى أحد على التألّف على الإسلام صدقة؟ فقال بعضهم: قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم، ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجةٍ

---

(١) تفسير الطبري (٦/٣٩٩).

(٢) المصدر السابق (٦/٣٩٨).

إليها، وفي سبيل الله، أو العامل عليها»[١].

قلت: وعزى الطبري هذا القول إلى: الحسن البصري، والشعبي[٢]. وهو قول شقيق بن سلمة، والثوري، وعكرمة، وبه قال الإمام مالك، وهو المشهور من مذهب الحنفية رحمة الله على الجميع.

وقال أبو الحسين البغوي رحمه الله: «أعزّ الله الإسلام اليوم: فله الحمد، وأغناه أن يُتألّف عليه رجال، فلا يُعطى مشرك تألفًا بحال، وقد قال بهذا كثير من أهل العلم أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط، رُوي ذلك عن عكرمة، وهو قول الشعبي، وبه قال مالك، والثوري، وأصحاب الرأي، وإسحاق بن راهوية»[٣].اهـ

وقال أبو بكر ابن العربي المالكي رحمه الله: «فمنهم من قال: هم زائلون، قاله جماعة، وأخذ به مالك»[٤].اهـ

وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله: «وهذا المشهور من مذهب مالك وأصحاب الرأي. قال بعض علماء الحنفية: لما أعزّ الله الإسلام وأهله وقطع دابر الكافرين اجتمعت الصحابة في خلافة أبي بكر ﷺ على سقوط سهمهم»[٥] اهـ

واعلم أن هذا القول وهذا العمل في إيقاف سهم المؤلفة قلوبهم إنَّما أخذه الناس من جهة أبي بكر الصّدِّيق ﷺ وتبعه عليه عمر، ولا يُعلَم من الصحابة لهم مخالف: فمنشأ القول بوقف سهم المؤلفة قلوبهم بعد ظهور الإسلام وعزّه

---

(١) المصدر السابق (٦/٣٩٩، ٤٠٠).

(٢) المصدر السابق (٦/٤٠٠).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٤/٦٤).

(٤) أحكام القرآن (٢/٩٦٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/١١٥).

واستغنائه هو اجتهاد الصّدِّيق ﷺ، ثم تبعه على ذلك أمير المؤمنين عمر ﷺ. **قال الإمام التابعي عامر الشعبي رحمه الله:** «ليست اليوم المؤلفة قلوبهم، إنما كان رجال يتألّفهم النَّبي ﷺ على الإسلام، فلمّا أن كان أبو بكر الصّدِّيق قطع الرِّشا في الإسلام»(١).

وهو قول وعمل أمير المؤمنين عمر ﷺ تبعًا للصّدِّيق.

فعن حبّان بن أبي جبلة قال: «**إن عمر بن الخطاب، أتاه عيينة بن حصن الفزاري فتلى عمر هذه الآية:** ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩] **أي: ليس اليوم مؤلّفة**»(٢).

واعلم أن قول الصّديق والفاروق ﷺ ليس إسقاط سهم المؤلفة قلوبهم بالكلية على الدوام ولا يُظن بهما ذلك؛ لأن الله ﷻ ذكره ضمن مصارف الزكاة وفعله النبي ﷺ.

وإنَّما حقيقة هذا القول أنَّ الله ﷻ ذكر في الآية كل مصارف الزكاة على كل الأحوال وينظر وَلِيُّ أمر المسلمين القائم عليهم الحاجة والمصلحة في ذلك؛ فسهم المؤلفة قلوبهم لما كان له حاجة في عهد النبي ﷺ أخرجه لهم، فلما كان زمن الصديق والفاروق ظهر الإسلام وعزّ وساد، وكثر المسلمين وأعز الله المسلمين فما

---

(١) أخرجه عن الشعبي: ابن أبي شيبة في مصنّفه (٢٢٣/٣)، وكذا الطبري في تفسيره (٤٠٠/٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٢/٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٠/٦). وحِبَّان بن أبي جبلة هو القرشي مولاهم المصري، قال ابن يونس في تاريخ مصر: أرسله عمر مع جماعة إلى أهل مصر ليفقهوا أهلها. توفي بأفريقية سنة (١٢٢)، كذا التهذيب (٤٨٦/١). ويظهر لي أن عمر هنا هو: عمر بن عبد العزيز وليس عمر بن الخطاب، فيبعد أن يكون حبان هذا أدرك زمان عمر بن الخطاب.

عاد بهم حاجة أن يتألفوا فلانًا وفلانًا. هذا وجه فعلهما وقولهما. فإن عادت له الحاجة في زمان أو مكان عُمِل به. ويقدِّر ذلك وليّ أمر المسلمين، ويُعتبر بحال صنف «العاملين عليها». فإنهم مِنْ مَنْ يُعطَون من الزكاة. ولكن إن عَيّن وليّ أمر المسلمين من يقوم على أمر الزكاة ويعمل عليها بأرزاق ثابتة ورواتب من بيت مال المسلمين فما عاد بهم حاجة أن يُعْطَوا من الزكاة.

قال أبو بكر ابن العربي رحمه الله: «والذي عندي أنَّه إن قَوِيَ الإسلام زالوا. وإن احتيج إليهم أعطوا سهمهم. كما كان يعطيه رسول الله ﷺ فإن في الصحيح: **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»**»[1].

وقال أبو جعفر النحاس رحمه الله: «فعلى هذا الحكم فيهم ثابت. فإن كان أحد يحتاج إلى تألفه، ويخاف أن تلحق المسلمين منه آفة. أو يُرجى أن يحسن إسلامه بعد دُفع إليه»[2].

وقال ابن عطية رحمه الله: «وقول عمر عندي إنَّما هو لِمُعيَّنين. فإنَّه قال لأبي سفيان حين أراد أخذ عطائه القديم: "**إنَّما تأخذ كرجل من المسلمين: فإن الله قد أغنى عنك وعن أضرابك**" يريد: في الاستئلاف، وأمَّا أن ينكر عمر الاستئلاف جملةً وفي ثغور الإسلام فبعيد»[3].

---

(١) أحكام القرآن (٩٦٦/٢).

(٢) نقله عنه القرطبي في الجامع في أحكام القرآن (١١٥/٨).

(٣) المحرر الوجيز (٣٤٤/٤، ٣٤٥).

[٢١]

قال الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦].

هذه الآية الكريمة من الآيات القرآنية الدالة عند أهل السنة والجماعة على أن المؤمنين يَرَوْن ربَّهم عيانًا يوم القيامة.

فالحُسْنى هي: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله تعالى وتقدس،

هكذا فسّرها رسول الله ﷺ تفسيرًا ظاهرًا لا يقبل التحريف ولا التأويل، فعن صهيب بن سنان ﷺ قال: **تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقال: «إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّار النَّار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إنَّ لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ أَلَمْ يُثقِّل موازيننا ويُبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟، قال: فيُكشف الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحبّ إليهم من النظر إليه، ولا أقرّ لأعينهم»**[١].

ولأبي بكر الصديق ﷺ تفسير لهذه الآية هو عينه تفسير رسول الله ﷺ: أن

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (ح١٨١) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب به. وأخرجه من طريق يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة به، وزاد في آخره: «ثم تلا هذه الآية: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة». وأخرجه أحمد في المسند (١٨٩٣٥). وفي الباب عن أبي موسى الأشعري وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك ﷺ.

الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى وتقدس.

فعنه ﷺ **قال في قوله تعالى:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾، «**الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله** ﷻ»[١].

وقد تبع أبا بكر على هذا المعنى جماعات المفسرين والأئمة من الصحابة ومن بعدهم.

فثبت القول به عن كل من: عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس من طريق عكرمة.

ومن التابعين والمفسرين: عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، وأبي إسحاق السبيعي، والسُّدّي، والرواية عنهم في كتب التفاسير والعقائد المسندة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصّديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسّدي، ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف»[٢].

واختار هذا القول: ابن عطية في تفسيره[٣]، وابن القيم في كتابه: «حادي

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد برقم (٢٦٤)، والطبري في تفسيره (٥٤٩/٦). وابن منده في كتاب الرد على الجهمية برقم (٨٤). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٧٨٤)، والآجري في الشريعة (٥٨٩. ٥٩١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٦٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٩٥/٤).

(٣) المحرر الوجيز (٤٧٣/٤).

الأرواح إلى بلاد الأفراح»[١]، وغيرهم كثير من الأئمة.

واعلم أن ما جاء من أقوال أخرى في الآية كما رُوِي عن ابن عباس أن الزيادة: مضاعفة الحسنات[٢] لا تخالف ما تقدم.

لذلك قال الإمام الطبري رحمه الله: «وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى، أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة، وأن تبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم غرفًا من اللآلئ، وأن يزيدهم غفرانًا ورضوانًا، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى، وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم»[٣].

---

(١) انظر (ص:١٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (٦/٥٥٢).

(٣) تفسير الطبري (٦/٥٥٣).

[٢٢]

قال الله ﷻ: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء: ١].

في هذه الآية يمجد الله ﷻ نفسه ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه سواه، ومن ذلك ما مَنَّ به على خاتم أنبيائه محمد ﷺ من هذه المعجزة العظيمة الهائلة التي خصه بها دون غيره من أنبيائه ﷻ وهي معجزة الإسراء به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم العروج به إلى السموات العلى حتى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، ورأى وسمع ووعى من آيات ربه الكبرى، ما زاغ بصره وما طغى، وما كذب فؤاده وما غوى ﷺ.

ثم عاد من ليلته إلى داره بمكة، وأصبح بين قومه، وطفق ﷺ يحدث قومه بما رآه وما حدث له من هذه الآيات الكريمة العظيمة، فبادروه بالتكذيب والاستهزاء والسخرية.

ففي حديث ابن عباس في ذكر الإسراء مرفوعًا: **«فمَرَّ بي عدوّ الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: «إنَّه أُسْرِي بي الليلة»، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس؟ قال: ثم أصبحت بيننا؟! قال: نعم، قال: فلم يُرِيَه أنه يُكَذِّبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا له قومه، قال: إن دعوتُ لك قومك أتحدِّثهم هذا الذي حدثتني؟ فقال: نعم، قال أبو جهل: يا معشر كعب بن لؤي هَلمَّ: فتنفضت المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، قال أبو جهل: حدّث قومك ما حدثتني، فقال رسول الله ﷺ: «إني أُسرِيَ بي الليلة»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قالوا: ثم**

أصبحت بين أظهرنا؟! قال: «نعم»، قال: فَمِنْ بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه مستعجبًا للكذب زعم، قال: وفي القوم من سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، قال: قالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ فقال رسول الله ﷺ: «فذهبت أنعتُ لهم، فما زلتُ أنعتُ حتى الْتَبَسَ عليَّ بعض النعت، قال: فجيء بالمسجد حتى وُضع دون دار عِقال أو عَقيل، قال: فنعتُّ المسجد وأنا أنظر إليه»، قال القوم: أما النَّعتُ فوالله لقد أصاب»[١].

وهنا يتجلى الموقف العظيم للصّدّيق أبي بكر؛ فإنَّه لما سمع بهذه الآية بادر كعادته إلى تصديقها، وزادته إيمانًا مع إيمانه وتسليمًا مع تسليمه، ومن ذلك اليوم صار اسمه «الصّدّيق» ﷺ، وكان في موقفه الشريف العظيم أحسن التثبيت لصاحبه ونبيّه ﷺ في مواجهة كفر وتكذيب وسخرية المشركين.

۞ وقد جاءت عدة روايات تذكر هذا الموقف العظيم من الصّدّيق ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج هذه:

الرواية الأولى: حديث أنس بن مالك ﷺ في ذكر الإسراء والعروج إلى السماء فساق الحديث بطوله وفيه: «فلما سمع المشركون قول النبي ﷺ أَتَوْا أبا بكر فقالوا له: يا أبا بكر هل لك في صاحبك؟ يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع من ليلته، فقال أبو بكر ﷺ: إن كان قال فقد صدق، وإنّا لنصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك، إنّا لنصدِّقه على خبر السماء»[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٨١٩)، وابن أبي شيبة (٣١٢/٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٨٥)، من حديث عوف ابن أبي جميلة، عن زرارة بن أوفى، عن ابن عباس به، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما ذكر الحافظ ابن كثير (١٣/٥، ١٤) من طريق هشام بن عمار، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن أنس بن مالك به.

الرواية الثانية: حديث شدّاد بن أوس ﷺ مرفوعًا فساق حديث الإسراء بطوله وفيه: «**ثم أصبحت بين قومي قبل الصبح، فأتاني أبو بكر فقال: يا رسول الله أين كنت الليلة؟ فقال: أعلمتَ أنِّي أتيت بيت المقدس الليلة؟، فقال أبو بكر: يا رسول الله إنه مسيرة شهر، قال: فَفُتحَ لي صراط أنظر إليه، فطفقت أصفه لا يسألني عن شيء إلا أخبرته به، فقال أبو بكر: أشهد أنك لرسول الله**»[1].

الرواية الثالثة: عن ابن شهاب الزهريّ قال: سمعت سعيد بن المسيب فذكر خبر الإسراء ثم قال ابن شهاب: وسمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول: «**فتجهّز -أو كلمة نحوها- ناسٌ من قريش إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال أبو بكر: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: فتصدِّقه بأن يأتي الشامَ في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟ قال أبو بكر: نعم أنا أصدّقه بأبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء، قال أبو سلمة: فيها سُمِّيَ أبو بكر الصّدّيق**»[2].

۞ ومن مجموع الروايات يظهر الآتي:

أولا: أول من لقي رسول الله ﷺ لما أصبح من ليلة الإسراء بمكة هو عدوّ الله أبو جهل، واستدعى له بطون قريش من المشركين ليسمعوا خبره فكذبوه وسخروا منه كما تقدم.

---

(١) أخرجه البيهقي في كتاب دلائل النبوة (٢/٣٥٥، ٣٥٧) وقال: سنده صحيح. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٧٨، ٧٩) وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير وفيه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء: وثّقه يحيى بن معين، وضعّفه النسائي. وقال قوّام السّنّة إسماعيل الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة (١٤٤): «هذا حديث شاميُّ الطريق، واضح الإسناد».

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٥٩، ٣٦٠). وهو مرسل صحيح.

ثانيًا: انطلق منهم ملأ إلى صاحبه الصّدّيق أبي بكر ﷺ ليخبروه الخبر، لعلهم يفتُّون في عضده ويشّككون في إيمانه وثقته المطلقة بصدق رسول الله ﷺ، فردّ أبو بكر الصّديق كيدهم في نحورهم، وأبطل بأمر الله مكرهم، وردّ سهمهم عليهم فقال كلمته الخالدة: «إن كان قال فقد صدق».

وجواب الصّدّيق هذا من أبلغ الجواب وأَسَدِّه وأقطعه للمعاند المخاصم، فإذا كنّا آمنّا حقًا وصدقًا من قلوبنا بأنَّه رسول الله أوحى الله ﷻ إليه واختاره لنبوّته وتبليغ رسالته إلى النَّاس كافة، وهذا الوحي الكريم يأتيه من عند الله علام الغيوب القادر على كل شيء في لحظة واحدة، فكل ما تفرّع عن هذا فهو فرعٌ بالنسبة للأصل ويسير بالنسبة للعظيم الجليل، فمن صدّقه بكليّته وكل يقينه بأنَّه رسول الله حقًا وصدقًا يأتيه الخبر العظيم والوحي الكريم من عند الله في لحظة واحدة فلأن يصدِّقه بأنه أُسري به إلى بيت المقدس وعاد في ليلة واحدة أيسر وأهون.

ثالثًا: بعد أن أخبر المشركون أبا بكر وجاهدهم هذا الجهاد العظيم ذهب بنفسه إلى رسول الله ﷺ ليسمع منه مباشرة نبأ هذه الآية الجليلة الكريمة أعني: الإسراء إلى بيت المقدس ثم العروج إلى السماوات العلى، فلما سمع منه زاده ذلك إيمانًا ويقينًا، واطمأن قلبه من باب قوله تعالى في خبر إبراهيم ﷺ: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وبناءً عليه فلا معنى لما أنكره الحافظ ابن كثير[١] لسؤال الصّدّيق رسولَ الله ﷺ عن نبأ الإسراء هذا.

---

(١) انظر تفسيره (٥/٢٦).

[٢٣]

قال الله ﷻ عن نبيّيه زكريا ويحيى ﷺ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

خطب الصّدّيق في خلافته الناس خطبة بليغة جامعة مؤثِّرة، وجعل هذه الآية الكريمة محور خطبته؛ لما فيها من الجمع بين الخوف والرجاء والرغبة والرهبة، وهما للمؤمن كالجناحين للطائر.

فعن عبد الله بن عُكَيْم[١] ﷺ قال: خطبنا أبو بكر فقال: «**أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾، ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يُطفأ نوره فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنّما خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين**

---

(١) هو عبد الله بن عُكَيم - بالعين المضمومة والكاف المفتوحة - الجهني، أبو معبد الكوفي - عِداده في الصحابة، قال البخاري: «أدرك زمان النبي ﷺ، ولا يُعرف له سماع صحيح»، أي من النبي ﷺ، وصح سماعه من أبي بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة. طبقات ابن سعد (١١٣/٦)، وتهذيب التهذيب (١٩٨/٣).

يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله؛ فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقوامًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم فالوحاء الوحاءَ، والنجاءَ النجاءَ، فإن وراءكم طالبًا حثيثًا مرةً سريع»[١].

(١) أخرج هذه الخطبة أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٧/٩١) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن عُكيم به. وعبد الرحمن بن إسحاق هو الواسطي الأنصاري أبو شيبة ضعّفوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما قال ابن كثير (٥/٣٧٠). وأخرجه الحاكم (٢/٣٨٣) من طريق ابن أبي شيبة.

[٢٤]

قال الله ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

للصّدّيق ﷺ سبب في نزول هذه الآية الكريمة، بل إنها نزلت تصديقًا لقول أبي بكر ﷺ، وظنّه الحق وثقته في انتصار الله لرسوله والمؤمنين.

فعن ابن عباس ﷺ قال: «**لما أُخرِج رسول الله ﷺ من مكة، قال أبو بكر الصّديق ﷺ: «أخرجوا نبيّهم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لَيَهْلَكنّ»؛ فنزلت:** ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾،

قال أبو بكر: «فعلمتُ أنه سيكون قتال».

قال ابن عباس: «وهي أول آية نزلت في القتال»[1].

وهذا القول وافق الصّدّيقَ فيه ابنُ عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وعروة بن الزبير، والزهري، والثوري، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٣٥٨)، والنسائي (٣٠٨٥)، والترمذي (٣١٧١) وقال: «حديث حسن وقد رواه عبد الرحمن بن مهدي، وغيره عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جبير مرسلا ليس فيه ابن عباس». وأخرجه الحاكم (٢/٦٢٦) وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين».

[٢٥]

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النور: ١١ – ١٨].

هذه قضية الإفك المبين والبهتان العظيم الذي رُمِيت به أم المؤمنين الطاهرة المطهرة من ربِّ العالمين الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها.

ورُمِيَ به بيت الصّدّيق أبي بكر، ودخله رضي الله عنه بذلك الهمُّ العظيم: فالَّتي رُميت بهذا الإفك المبين هي ابنته، وزوجُها نبيه وخليله رسول الله ﷺ.

وقد عَبّر أبو بكر عن هذا الألم الَّذي أصابه وأهل بيته بقوله: «**هذا أمر ما رُمينا به في الجاهلية، أَفَنُرْمى به في الإسلام؟!**»[1].

فها هو أبو بكر الصّدّيق - في وقاره وحساسيته، وطيب نفسه - يعتصره الألم

(١) معجم الطبراني الكبير (٢٣/١٢٥، ١٢٨).

وهو يُرْمى في عرضه، في ابنته زوج رسول الله محمد ﷺ وصاحبه الذي يحبه ويطمئن إليه، ونبيّه الذي يؤمن به ويصدّقه تصديق القلب المتصل لا يطلب دليلا من خارجه، فإذا الألم يفيض على لسانه وهو الصابر المحتسب فيقول: «**والله ما رُمينا بهذا في الجاهلية، أَفَنُرْمى به في الإسلام؟!**». وهي كما ترى كلمة تحمل من المرارة ما الله به عليم، حتى إذا قالت له ابنته المريضة المهمومة: أجبْ رسول الله ﷺ، قال في مرارة وحيرة: «**والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ**».

وفي إحدى روايات حديث الإفك، قالت عائشة: «**وقلت لأمي: وقد علم به أبي؟ فقالت لها أمها: نعم، قلت: ورسول الله، قالت: نعم، فاستعبرتُ وبكيتُ، فسمع صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل، فقال لأُمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذُكر من شأنها، ففاضت عيناه، فقال أقسمت عليكِ أي بُنَيّة إلا رجعت إلى بيتك؛ فرجعتُ**»[١].

فنزل القرآن العزيز ليفصل في هذه القضية العظيمة، ويكشف هذه المكيدة الدنيئة، ويتولى المعركة التي كاد بها المنافقون للإسلام وأهله، ويدافع عن الصّدّيقة الطاهرة عائشة ﷺ، وعن أبيها الصّدّيق أبي بكر ﷺ وأهل بيته، وعن الإسلام كله وأهله.

وتولّى الله تعالى الردّ والذبّ عن أم المؤمنين عائشة، وأنزل فيها قرآنًا يُتْلى إلى يوم القيامة؛ ليرفع بهذه القضية أقوامًا هم المؤمنون أهل السنة، ويضع آخرين هم المنافقون ومن شاكلهم من أهل البدع والضلال والرفض.

وليبقى ذلك قائمًا دائمًا ناميًا مستمرًا إلى يوم القيامة فالحمد لله رب العالمين. وكذلك لتتم العبودية الحقة لله ﷻ ويكتمل التعلّق به مِن الصّدّيقة عائشة ومن

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٧).

أبيها الصّدّيق أبي بكر وأهل بيته، وتتمّ نعمة الله عليهم. ولتشتد الرغبة منهم والفاقة إلى الله ﷻ، ويتم الافتقار إليه وحسن الظن به ﷻ وتمام الرجاء فيه ﷻ. فنزل القرآن ببراءتها بعد أن احتبس شهرًا كاملا، فوَرَد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسُرُّوا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء[١].

---

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم (٣/٢٦١، ٢٦٢).

[٢٦]

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢].

هذه الآية الكريمة لأبي بكر الصديق بها أعظم الانتساب وأقرب الخصوصية وهو أولى الناس أن يكون مقصودًا بها، تكاد تكون خاصة به مرسلة إليه وإن دخل غيره فيها بعد فهو بحكم التبع له والاقتداء به.

فقد نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﷺ وقصة إيقافه النفقه التي كان يعطيها لمسطح بن أثاثة لقوله في عائشة ما قال.

بوّب الإمام البخاري في كتاب التفسير من الجامع الصحيح فقال: «باب قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ثم أخرج حديث هشام بن عروة عن أبيه عروة عن عائشة ﷺ في حديث الإفك وفيه قالت عائشة: «**فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا؛ فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾: يعني أبا بكر ﴿ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ﴾، يعني مِسطحًا. إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. حتى قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا إنَّا نحب أن تغفر لنا. وعاد له بما كان يصنع**»[(١)].

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٥٧).

وأخرج الحديث بلفظ آخر وفيه: « **فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر وكان ينفق على مِسْطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مِسْطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ قال أبو بكر: بلى والله إنّي أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا**»[1].

ففي هذين الحديثين الشريفين تتجلّى خصوصية أبي بكر الصديق ﷺ بهذه الآية الكريمة من سورة النور في سبب نزولها، وفي توجيه الخطاب الإلهي له، وفي سرعة استجابته لأمر ربه، ومحبته لنيل مغفرة الله الغفور الرحيم.

وفي الآية والحديثين من الفضائل الهائلة لأبي بكر شيء عظيم، وهاك بيانه:

أولا: وصف الله تعالى بكلامه المنزل الذي ينزل به أمين الوحي جبريل على قلب رسول الله ﷺ أبا بكر بأنّه من أولي الفضل والخير. وهذه ولا ريب تزكية إلهية كريمة للصّدّيق ﷺ.

ثانيًا: جواب أبي بكر لربّه ﷻ لما دعاه إلى مغفرة منه وفضل، فأجاب الصّدّيق: «بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا»، وهذا سرعة استجابة لأوامر الله ﷻ.

ثالثًا: إنّ طلب رضوان الله ﷻ ومغفرته والدخول في عباده ورحمته هو غاية أبي بكر الصديق ﷺ، وهو طلبته الدائمة، وهو الذي يقيمه ويقعده، وهو الذي

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

دفعه إلى أن يسارع إلى الإيمان بالله ﷻ ورسوله، كما دفعه للانقياد التام والاتباع التام لرسول الله ﷺ، وهو الذي جعله يصلي ويصوم ويهاجر ويجاهد، وهو الذي جعله ينفق ماله كله في سبيل الله ﷻ ولمنفعة رسول الله ﷺ حتى قال رسول الله ﷺ في آخر خطبة خطبها على منبره قبيل وفاته ﷺ: «**إن أَمَنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر**»[1].

وقال ﷺ: «**ما نفعني مال كما نفعني مال أبي بكر**»[2]؛ حتى بكى أبو بكر وقال: «**وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله**».

وقد أجمعوا أن المراد بهذه الآية والمراد بوصف الله ﷻ أنهم أولوا الفضل والسعة والمدعوّون لمغفرة الله ورحمته في هذه الآية هو أبو بكر رضي الله عنه أو هو رأسهم وإمامهم في ذلك.

قاله ابن عباس، وعائشة، وابن عمر، وسعيد بن جبير، ومحمد بن سيرين، وقتادة، وسفيان الثوري، ومجاهد، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والضحاك، ومقاتل[3] وغيرهم كثير.

ومِسْطَح هو ابن أُثاثة بن عبّاد بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه.

وقرابته من أبي بكر من جهة أُمّه؛ فأمّه اسمها: سلمى بنت أبي رُهْم، واسمه: أُنَيْس بن المطلب بن عبد مناف، وأمّها اسمها: ريطة بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وهي خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قالت عائشة رضي الله عنها: «**وأم مِسْطَح هي ابنة أبي رُهْم بن عبد مناف، وأمّها بنت**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/٣٦)، وأحمد في المسند (١٣/١٨٣).

(٣) انظر تفسير الطبري (٩/٢٨٩، ٢٩٠).

صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق»[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وهذه الآية نزلت في الصّدّيق ﷺ حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أُقيم عليه شرع تبارك وتعالى -وله الفضل والمنّة- يُعَطِّف الصّدّيق ﷺ على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصّدّيق وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر ﷺ، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد وَلَقَ وَلْقَةً[٢] تاب الله عليه منها وضُرب الحدّ عليها، وكان الصّدّيق ﷺ معروفًا بالمعروف له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب.

فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصّدّيق: **«بلى، والله إنّا نحب يا ربّنا أن تغفر لنا»** ثمَّ أرجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: **«والله لا أنزعها منه أبدًا»** في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا، فلهذا كان الصّدّيق هو الصّدّيق ﷺ وعن بنته»[٣].اهـ

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(٢) وَلَقَ: بمعنى استمر في الكذب، لسان العرب (١٠/٣٨٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/٥١٢).

[٢٧]

قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور: ٣٢].

للصّدّيق ﷺ توجيه بهذه الآية الكريمة وما فيها من الوعد الإلهي الكريم بأنَّ الله سيغني من فضله الفقراء من الراغبين في النكاح استعفافًا من الأيامى والصالحين من عباده، وهو وعد إلهيٌّ صادق وحق لا ريب فيه؛ حيث قال ﷺ: **«أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح يُنْجِز لكم ما وعدكم من الغنى. قال الله** ﷻ: ﴿ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ »[(١)].

وقد تبع المفسّرون من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم أبا بكر الصّديق ﷺ في تفسيره وتوجيه، حيث تضافرت أقوالهم حاملة معنى كلام الصديق ونصحه لشباب الأمة ورجالها بالوثوق التام بوعد الله الحق بأنه سيغني من فضله من يريد النكاح استعفافًا.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «التمسوا الغنى في الباءة، فقد وعد الله فيها ما وعد»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٨٢/٨) من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي أبي محمد الدمشقي: إمام شامي ثقة، هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة كما قال الحاكم أبو عبد الله، أدرك أنس بن مالك، وروايته عن أبي بكر الصديق مرسلة. التهذيب (٣٢٥/٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٣٩٣، ١٠٣٨٥) عن عمر مرسلا من طريق الحسن البصري وقتادة.

وقال ابن مسعود ﷺ: «التمسوا الغنى في النكاح، فإن الله يقول: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ ﴾»[١].

وقال ابن عباس ﷺ: «أمر الله سبحانه بالنكاح، ورغَّبهم فيه، وأمرهم أن يزوّجوا أحرارهم وعبيدهم، ووعدهم في ذلك الغنى، فقال ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾»[٢].اهـ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١١/٩).

(٢) المصدر السابق.

[٢٨]

قال الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ١- ٥].

نُقِلت عِدّة روايات من طُرُق مختلفة في بيان موقف عظيم للصّديق ﷺ مع هذه الآيات العظيمة من فاتحة هذه السورة الكريمة سورة الروم.

ولما كان في هذه الآيات العظيمة إخبار الله ﷻ بأنَّ الروم غُلِبوا في حربٍ لهم مع الفرس، وأنَّ ذلك ساء المسلمين لكون الروم نصارى أهل الكتاب؛ فهم أقرب للمسلمين من الفرس الوثنيين المجوس عبّاد النَّار. وأخبر ﷻ أيضًا أنَّ الروم بعد هزيمتهم هذه سيستعيدون الكَرَّة، ويظهرون على الفرس ظهورًا بيّنًا، وأنَّ ذلك حاصل في بضع سنين.

وقد دعى ذلك أبا بكر الصّديق ﷺ -تصديقًا لله ﷻ ولرسوله ﷺ ومكايدة للمشركين- إلى موقف عظيم وهو مراهنة المشركين على أنَّ الروم ستعود وتغلب الفرس وتظهر عليهم، وأنَّ ذلك كائن في بضعه سنين، وقد استقر عندهم أنَّ البضع من الثلاث إلى التسع، وقد جاء في هذا عدة روايات، نذكرها فيما يلي.

۞ الرواية الأولى:

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنَّهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنَّهم أهل كتاب، فَذُكِرَ ذلك لأبي بكر ﷺ فذكره أبو بكر**

لرسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «أمَا إنَّهم سيَغلِبون». فذكره أبو بكر للمشركين. فقالوا له: اجعل بيننا وبينك أجلا. فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا. وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا. فجعل أجلا خمس سنين. فلم يظهروا. فذكر أبو بكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلتها إلى دون (أُرَاه قال: العشر)».

قال سعيد بن جبير: البِضْع دون العشر، ثم ظهرت الروم بعد. قال: فذلك قوله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ ﴾ [١-٥][1].

الرواية الثانية:

عن عروة بن الزبير، عن نِيَار بن مكرم الأسلمي[2] قال: **لما نزلت:** ﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾. **فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم: لأنَّهم وإيَّاهم أهل كتاب. وفي ذلك قول الله:**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٩٦، ٢٩٧) من طريق معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. ومن طريق معاوية بن عمرو أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٣٨٩)، وكذا الترمذي في سننه (٣١٩٣). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة»، وأخرجه الحاكم (٢/٤٤٥)، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) ذكروه في الصحابة. وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من كبار التابعين. من أهل المدينة. توفي سنة (٤١هـ). الطبقات الكبرى (٥/٣٨١). والتاريخ الكبير للبخاري (٩/١٦٢٨).

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾ ، وكانت قريش تحب ظهور فارس: لأنَّهم وإيَّاهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث. فلمَّا أنزل الله هذه الآية، خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة: ﴿الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾، فقال ناسٌ من قريش لأبي بكر: فذاك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الرُّوم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك يا أبا بكر على ذلك؟ قال أبو بكر: بلى. وذلك قبل تحريم الرِّهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل؟ البِضْع: ثلاث سنوات إلى تسع سنوات، فسمِّ بيننا وبينك وسطًا ننتهي إليه. قال: فسمّوا بينهم ست سنين، قال: فمضت ست سنين قبل أن يظهروا: فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلمَّا دخلت السَّنة السَّابعة ظهرت الرُّوم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين، قال: لأنَّ الله قال: في بضع سنين، قال: فأسلم عند ذلك ناس كثير»[1].

۞ الرواية الثالثة وعن عامر الشعبي، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «كان فارس ظاهرًا على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الرُّوم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنَّهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت: ﴿الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ ، قالوا: يا أبا بكر: إنَّ صاحبك يقول

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٩٤)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد»، وأخرج هذه الرواية سُنَيْد في تفسيره، وهو الحسين بن داود المِصّيصي (ت:٢٢٦هـ) حسبما ذكره الحافظ ابن كثير في: (مسند الصديق:٥٦١)، وقال ابن كثير: «فالحديث محفوظ».

إن الرُّوم تظهر على فارس في بضع سنين، قال أبو بكر: صدق، قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين، فمضت السَّبع ولم يكن شيء؛ ففرح المشركون بذلك، وشق على المسلمين، فذكر أبو بكر ذلك للنبي ﷺ فقال له: «ما بضع سنين عندك؟» قال: دون العشر، قال: «اذهب فزايدهم، وازدد سنتين في الأجل، قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الرُّكبان بظهور الروم على فارس؛ ففرح المؤمنون بذلك، وأنزل الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الروم ١-٦][1].

وهذا المعنى في رِهان الصّدّيق ﷺ للمشركين، على أنَّ الرُّوم ستظهر على فارس في مدة بضع سنين، فوقع ذلك وكسب أبو بكر الرِّهان، وأَرْغم الله المشركين، ونزل القرآن بذلك، هذا المعنى معلوم مشهور ثابت.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد رُوِي نحو هذا مرسلا عن جماعة من التابعين مثل: عكرمة، والشعبي، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي، والزهري، وغيرهم»[2].

وقال ابن كثير أيضًا: «ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين، وهي التسع، فإنَّ البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التِّسع. وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي[3]، وابن جرير، وغيرهما من حديث عبد الله بن عبد الرحمن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/١٦٥، ١٦٦)، من طريق سفيان بن وكيع، قال: حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي عن ابن مسعود به.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٧٩).

(٣) سنن الترمذي (٣١٩٢)، من طريق عبد الله بن عبد الله الجمحي حدثنا ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس، وقال: «حديث غريب من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس».

الجمحي، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس: أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مَنَاحِبة: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾، الآيات: ألا احتطت يا أبا بكر، فإن البِضْع ما بين ثلاثٍ إلى تسع»[1].اهـ

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٨٣).

[٢٩]

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يس: ٦٩].

في هذه الآية الكريمة يُنَزِّه الله ﷻ نبيّه محمدًا ﷺ عن قول الشّعر وتعلمه. وأخبر ﷻ أنَّ الشِّعر لا ينبغي لنبيّه ﷺ وأنَّ ما أنزله الله ﷻ عليه إنَّما هو القرآن المبين الكريم والذِّكر الحكيم. وكان رسول الله ﷺ إذا استشهد أو ذكر بيتًا من الشعر إنما يأتي ببعضه أو لا يكاد يستتمّه على أوزان الشعر وضروبه. أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**أصدق كلمةٍ قالها الشَّاعر كلمة لبيد: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل**»[١].

ولا يُشكل على هذا ما قاله النَّبي ﷺ من كلام موزون كهيئة الشِّعر، كقوله: «**هل أنتِ إلا إصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيتِ**»[٢].

وقوله ﷺ: «**أنا النَّبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[٣].

وفي الإجابة على هذا المشكل قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد أجيب عن مقالته ﷺ هذا الرَّجَز بأجوبة...... فذكرها ثم قال: ورابعها: أنَّه خرج موزونًا ولم يقصد به الشِّعر، وهذا أعدل الأجوبة»[٤].اهـ

---

(١) صحيح البخاري (٦١٤٧).

(٢) البخاري (٦١٤٦).

(٣) البخاري (٤٣١٥).

(٤) فتح الباري (١٦/١٤٣).

وحَدُّ الشِّعر كما قال الحافظ أيضًا: «هو الكلام المُقَفَّى الموزون قصدًا، وأن القصد إليه هو حَدُّ الشِّعر»[١].اهـ

وقد استشهد صاحبه وصِدِّيقه أبو بكر ﷺ بهذه الآية الكريمة، في وصفه وتنزيهه ﷺ عن الشعر وقوله وروايته.

فعن قتادة قال: قيل لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ، يتمثل بشيء من الشِّعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنَّه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، يجعل أوَّلَه آخرَه وآخرَه أوَّلَه، ويقول: «ويأتيك من لم تزود بالأخبار»؛ فقال له أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي»[٢].

وعن الحسن البصري: أنَّ النَّبي ﷺ كان يتمثَّل بهذا البيت: «كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيًا»؛ فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنما قال الشاعر: كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيًا، فأعاده كالأول، فقال أبو بكر: أشهد أنَّك رسول الله، ما علَّمَك الشعر وما ينبغي لك، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۝٦٩﴾ [يس: ٦٩][٣].

وهذا الذي أنشده أبو بكر عجز بيت هو مطلع قصيدة لِسُحَيْم عبد بني

---

(١) المصدر السابق (٢٢/٣٤١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٣/٢٤٩٦)، وكذا الثعلبي (٢٢/٣٠٥) من طريق معمر بن راشد عن قتادة، وأخرجه الطبري (١٠/٤٦١) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به، وعزاه ابن كثير في تفسيره (٦/٣٥٤) إلى تفسير ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٣٨٢، ٣٨٣)، والثعلبي في تفسيره (٢٢/٣٠٣) من طريق حماد بن سلمة عن عليّ بن زيد عن الحسن به. وهو مرسل من مراسيل الحسن البصري.

الحسحاس وتمامه:

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إن تجهّزتَ غاديا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا(١).

وقد ذكر الأصبهاني: أن سُحيم عبد بني الحسحاس أدرك زمان النبي ﷺ وأنَّه عليه الصلاة والسلام تمثّل بكلام غير موزون لسُحيم(٢).

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد، أن النبي ﷺ قال للعباس بن مرداس السُّلَمي: «أرأيت قولك: أصبح نهبي ونهب العُبَيْد(٣) بين الأقرع وعيينة»: **فقال أبو بكر ﷺ: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، ما أنت بشاعر ولا راوية ولا ينبغي لك، إنَّما قال: بين عُيَيْنَة والأقرع»(٤).**

وعن الحكم بن عُتَيْبة الكندي قال: **كان رسول الله يتمثّل بقول العبَّاس بن مرداس: أتجعل نهبي ونهب العُبَيْد ... بين الأقرع وعُيَيْنَة**

قالوا: يا رسول الله، إنما قال: بين عيينة والأقرع، فأعادها فقال: «بين الأقرع وعيينة»، فقام أبو بكر فقبّل رأسه وقال: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يس: ٦٩](٥).

---

(١) ديوان سحيم (١٦).

(٢) الأغاني (٩٠٤٢/٢٦)، وانظر طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (١٨٧/١).

(٣) العُبَيْد: اسم فرس العباس بن مرداس. انظر النهاية في غريب الحديث (٨٠٨/٢).

(٤) أخرجه ابن سعد (٢٧٣/٤، ٢٧٤) وهو مرسل.

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣٠١/٢٢، ٣٠٢). وهو أيضًا مرسل. وذكره ابن هشام في السيرة (٩٢/٤). والسهيلي في الروض الأنف (٢٨٦/٧)، وله رواية في دلائل النبوة للبيهقي (١٧٨/٥، ١٨٨). وذكر السهيلي: مناسبة لطيفة في تقديم النبي ﷺ ذكر الأقرع على ذكر عيينة على عكس رواية البيت أن الأقرع لم يرتد زمن الصدّيق بينما وقع عيينة في الردة. ونقله ابن كثير في تفسيره (٣٥٣/٦) وقال: «مناسبة أغرب فيها».

وأصل خبر العباس بن مرداس السلمي في صحيح مسلم في « قسمة غنائم حُنين »[(١)].

ويظهر استحضار الصديق في العامة لهذه الآية الكريمة في وصف النبي ﷺ واستشهاده بين يدي رسول الله ﷺ وإقراره على ذلك .

(١) صحيح مسلم (١٠٦٠)

[٣٠]

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣ - ٣٥].

نُقِل عن بعض أهل التفسير من الصحابة والتابعين: أن الذي جاء بالصّدق هو رسول الله ﷺ، والصدّق الذي جاء به هو القرآن الكريم والحق الذي بُعث به، كما نُقِل عن بعضهم: أن الذي صَدَّق برسول الله ﷺ وبما جاء به من الصدق هو الصّدّيق أبو بكر ﷺ، ولا شك أن غيره من المؤمنين داخلون في حكم الآية، إلا أن أبا بكر ﷺ هو رأس هؤلاء الصادقين المُصَدِّقين برسول الله ﷺ، وبما جاء به.

وأول وأفضل من نصّ على هذا المعنى وبيّنه وأظهره حقًا وصدقًا حِسْبةً لله ﷻ، هو أمير المؤمنين أبو الحسن عليُّ بن أبي طالب ﷺ.

فعن أُسَيْد بن صفوان[(١)] قال: «**قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾: هو محمد ﷺ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ هو أبو بكر**»[(٢)]. ونسب أبو

---

(١) هو أُسَيْد بن صفوان، ذكره أبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة. ووقع في سند الحديث هذا عند البزار: وكان صحابياً، وفي تهذيب التهذيب (٢٧٧/١): «روى عن عليّ بن أبي طالب في الثناء على أبي بكر حين مات».

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٣٨/٣، ١٤٠) (٩٢٨) مطولا في خطبة عليٍ في الثناء على أبي بكر حين مات، بسند ضعيف. فيه رجل اسمه: عمر بن إبراهيم الكردي الهاشمي كذّبه الأئمة. إلا أن البزار لم يُعلّق عليه بشيء، ومن طريق عمر هذا أخرجه الطبري (٥/١١). ونسبه إلى عليٍّ كل من النحاس في معاني القرآن (١٧٥/٦). والماوردي في النكت والعيون (١٢٦/٥). وذكره ==

إسحاق الثعلبي في تفسيره هذا القول إلى التابعي أبي العالية الرياحي، وكذا إلى محمد بن السائب الكلبي[(١)].

وذهب بقية أهل التفسير إلى القول بالعموم، وأن المراد بمن صَدّق به: هم المؤمنون الذين آمنوا بالله وبرسوله وبما جاء به، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، **وهو اختيار أبي جعفر الطبري -رحمه الله-** قال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رُسُلِه والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسل الله، وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدّق به: المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائنًا من كان من نبي الله وأتباعه»[(٢)].

وهذا حق وصواب، ولكنّ أبا بكر ﷺ هو رأس هؤلاء المُصَدِّقين برسول الله ﷺ وبما جاء به من القرآن والهدي المستقيم والحق المبين ولا شك.

والقول بأن المراد بالآية العموم هو الثابت عن الإمام التابعي مجاهد رحمه الله، قال: «والذي جاء بالصدق: القرآن، وصَدّق به: المؤمن يجيء يوم القيامة يقول: هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه»[(٣)].

==

الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٦٩/١٨) فقال: «ومن طريق أسيد بن صفوان عن عليّ: الذي جاء بالصدق هو محمد، والذي صَدّق به أبو بكر».

(١) تفسير الثعلبي الكشف والبيان (٦٢/٢٣). وكذا البغوي (١٢٠/٧). وفي فتح الباري (١٦٩/١٨): «وعن أبي العالية: الذي جاء بالصدق محمد، وصَدّق به أبو بكر».

(٢) تفسير الطبري (٥/١١).

(٣) أخرجه عنه عبد الرزاق (١٧٣/٢)، وابن أبي شيبة (٤٩٧/١٠)، والطبري (٥/١١)، وذكره الإمام البخاري معزوًا إلى مجاهد في كتاب التفسير من الجامع الصحيح.

هذا هو الثابت عن الإمام مجاهد رحمه الله، إلا أنه قد نُقِل عنه قول آخر: وهو ما رواه ليث بن أبي سليم عنه أنه قال: قوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ هو رسول الله ﷺ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ هو: علي بن أبي طالب[1].

وهذا باطل وكذب على مجاهد لم يقله قط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ردًا على الرافضي الذي نسب هذا القول لمجاهد رحمه الله: «والجواب من وجوه: **أحدها**: أن هذا ليس منقولا عن النبي ﷺ، وقول مجاهد وحده ليس بحجة يجب اتباعها على كل مسلم لو كان هذا النقل صحيحًا عنه فكيف إذا لم يكن ثابتا عنه فإنه قد عرف بكثرة الكذب[2] والثابت عن مجاهد خلاف هذا، وهو أن الصدق هو القرآن، والذي صدّق به هو المؤمن الذي عمل به؛ فجعلها عامة. رواه الطبري وغيره عن مجاهد قال: هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة فيقولون: هذا الذي أعطيتنا قد اتبعناه وما فيه.

الوجه الثاني: أن هذا معارض بما هو أشهر منه عند أهل التفسير، وهو أن الذي جاء بالصدق: محمد، والذي صدّق به: أبو بكر، فإن هذا يقوله طائفة، وذكره الطبري بإسناده إلى عليّ قال: جاء به محمد وصدّق به أبو بكر...

الوجه الثالث: أن يقال: لفظ الآية عام مطلق لا يختص بأبي بكر ولا بعلي، بل كل من دخل في عمومها دخل في حكمها، ولا ريب أن أبا بكر وعمر وعثمان

---

(١) هكذا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٩/٤٢)، ولم تذكره كتب التفاسير. وليث بن أبي سليم الراوي عن مجاهد ضعيف وسيء الحفظ، مختلط، لا تقوم به حجّة، التهذيب (٥٨٥/٤).

(٢) قوله: «فإنه معروف بكثرة الكذب» يعني به الرافضي الذي نسب هذا القول لمجاهد رحمه الله.

وعليّ أحقُّ الأمة بالدخول فيها، لكنها لا تختص بهم، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٢ - ٣٣] الآية، فقد ذمّ الله تعالى الكاذب على الله والمكذّب بالصدق، وهذا ذمّ عام، والرافضة من أعظم أهل البدع دخولا في هذا الوصف المذموم، فإنهم أعظم الطوائف افتراءً للكذب على الله، وأعظمهم تكذيبًا بالصدق لمّا جاءهم، وأبعد الطوائف عن المجيء بالصدق والتصديق به، وأهل السنة المحضة أولى الطوائف بهذا، فإنهم يصدقُون بالحق في كل ما جاء به، ليس لهم هوى إلا مع الحق»[١].

❊❊❊

(١) منهاج السنة النبوية (٧/١٨٨، ١٩٠).

[٣١]

قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر: ٢٨].

ذكر الله ﷻ عن مؤمن آل فرعون في حواره العظيم مع قومه والرد على فرعون في قوله البائس، كما أخبر الله ﷻ عنه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر: ٢٦]، وكان مما رد به هذا المؤمن: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر: ٢٨].

ولما بعث الله ﷻ خاتم أنبيائه ورسله محمدًا ﷺ واجه عليه الصلاة والسلام العنت الشديد والأذى الكبير والصدّ من قومه، فآذوه - فداه أبي وأمي- بكل أنواع الأذى. وتآمروا على حياته الشريفة ليقتلوه كما أخبر ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وكان لِصِدّيقه الأكبر أبي بكر ﷺ المواقف المشهودة في الذبّ عن رسول الله ﷺ في أشد الأيام والأحوال صعوبة وشِدّة وقت القلة الكبيرة للمؤمنين والكثرة الكاثرة للكافرين. وكان الصّدّيق ﷺ يستحضر هذه الآية الكريمة في ذبّ مؤمن آل فرعون عن نبي الله موسى ﷺ.

فهذا موقفه المبارك، وهذا استحضاره الكريم لهذه الآية الكريمة:

بوّب الإمام البخاري -رحمه الله- في كتاب المبعث النبوي فقال: باب: ما لَقِيَ النبي ﷺ وأصحابه من المشركين من الأذى.

ثم أخرج حديث محمد بن إبراهيم التيمي، قال: حدثني عروة بن الزبير، قال: **سألت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلتُ: أخبرني بأشدّ شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ قال: بينا النبي ﷺ يصلّي في حِجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيْط فوضع ثوبه في عُنُق النبي ﷺ فخنقه خنقًا شديدًا؛ فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه فدفعه عن النبي ﷺ وقال: «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم»**[(١)].

وفي كتاب التفسير، بوّب البخاري فقال: باب: سورة المؤمن «غافر»، وأخرج الحديث السابق[(٢)].

فهذا الحديث الثابت يدل على عظيم جهاد أبي بكر ﷺ وعظيم دفعه بنفسه عن رسول الله ﷺ وعظيم استحضاره لكتاب الله ﷻ وآياته الكريمة في وقتها المناسب، كما صنع مع استحضاره هذه الآية الكريمة من قصة مؤمن آل فرعون في ذبّه عدوان فرعون وهَمّهِ بقتل نبي الله ورسوله موسى ﷺ، فاقتدى أبو بكر ﷺ بهذا المؤمن المبارك المجاهد الباذل نفسه لله ﷻ، مع تميّز أبي بكر ﷺ: لأنه يدافع ويذبّ عن خاتم رسل الله وأعظمهم مقامًا ورسالة محمدٍ ﷺ.

ولأبي بكر علاقة أخرى بهذه الآية الكريمة:

أخرج أبو بكر البزار -رحمه الله- في مسنده، عن محمد بن عقيل: قال: **خطبنا**

---

(١) صحيح البخاري (٣٨٥٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٨١٥).

علي بن أبي طالب ﷺ فقال: أيها الناس، أخبروني بأشجع الناس...فذكر حديثًا، وفيه: «أشجع الناس أبو بكر،...ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يَجَأُهُ، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا. قال عليٌّ: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، فجعل يضرب هذا ويَجَأُ هذا وهو يقول: «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله»، ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون؛ ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه»(١).

---

(١) أخرجه البزار (٣/٧٦١). وقال البزار: «هذا الحديث لا نعلمه يُروى عن عليّ إلا من هذا الوجه، بهذا الإسناد»، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦٩) وقال: «وفيه من لم أعرفه».

ومحمد بن عقيل بن أبي طالب، لم يخرج له إلا ابن ماجه حديثًا عن أبيه، وقال الحافظ ابن حجر: مقبول، التقريب (٢/٤٥١).

ووقع في فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٥/١٢): «أخرجه البزار من رواية محمد بن عليّ، عن أبيه، أنه خطب»، وهو وهم، لأنه من رواية محمد بن عقيل عن عليّ.

[٣٢]

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

في معنى الاستقامة في هذه الآية قولان أثريّان عن الصحابة ومن بعدهم: **القول الأول:** المراد بها الاستقامة على التوحيد: فالمعنى على ذلك: قالوا ربنا الله وحده لا شريك له، ثم استقاموا على توحيده فلم يشركوا به شيئًا. **والقول الثاني:** المراد بها الاستقامة على طاعة الله بدون مَيْل، **نُقِلَ هذا القول عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم.**

والقول الأول هو القول الأشهر والأظهر، وقد نُقِل عن رسول الله ﷺ.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: **قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، **قال: «قد قالها ناسٌ من الناس ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها»**[١].

وهذا القول هو قول أبي بكر الصديق ﷺ، كان يظهره ويذيعه وتبعه عليه جِلَّة المفسرين، فعن سعيد بن نِمْران[٢] قال: **قرأت على أبي بكر الصّديق هذه**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٢)، والطبري في تفسيره (١٠٦/١١)، وقال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، انفرد به سهيل بن أبي حازم، وهو مضعّف، وليس له متابع. انظر التهذيب (٤٤٥/٢).

(٢) هو سعيد بن نمران، قال الإمام البخاري في التاريخ الكبير (٤٥٧٦/٤): «سمع أبا بكر قوله، روى عنه عامر بن سعد البجلي، في الكوفيين» فأثبت البخاري سماعه من أبي بكر، وفي بعض روايات الطبري قال سعيد بن نمران: قرأت على أبي بكر الصديق هذه الآية، فهو من جلة التابعين بهذا.

الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾. فقال: «هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا»[١].

وعن الأسود بن هلال[٢] قال: قال أبو بكر الصّديق: «ما تقولون في هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾» فقالوا: ربنا الله ثم استقاموا من ذنب، فقال أبو بكر: «لقد حملتم على غير مَحْمَل، قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره»[٣].

وعن الأسود بن هلال قال: قال أبو بكر لأصحابه: «ما تقولون في هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾» قالوا: الذين قالوا ربنا الله ثم عملوا بها واستقاموا على أمره فلم يذنبوا، فقال: لقد حملتموها على أمر شديد، (الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان»[٤].

كان هذا تفسير الصّدِّيق ﷺ لهذه الآية الكريمة وهو الصحيح، وقد تبعه جِلّة المفسرين.

فَنُقِل هذا المعنى عن عبد الله بن العباس من رواية عكرمة مولاه[٥]، وهو قول أصحابه: مجاهد، وعكرمة، والأسود بن هلال.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٦/١١)، وعبد الرزاق في تفسيره (١٨٧/٢).

(٢) هو الأسود بن هلال المحاربي أبو إسلام الكوفي، له إدراك، قال عنه الإمام أحمد: ما علمتُ إلا خيرًا، ووثقه ابن معين والنسائي وغيرهما. التهذيب (٢٧٥/١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٧/١١).

(٤) أخرجه الطبري (١٠٧/١١) بلفظ: «لم يعدلوها بشرك ولا غيره». وأخرجه الحاكم (٤٤٠/٢). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٢/٧) إلى عبد بن حميد وابن مردويه.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٥٢٥/٦)، وهو في الأسماء والصفات للبيهقي (٢٠٥).

وقال به أيضًا: قتادة، وإبراهيم النخعي، ومقاتل، وغيرهم، وهو اختيار الإمام الطبري، قال رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى، وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾»[1].

---

(١) تفسير الطبري (١١/١٠٦).

[٣٣]

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجرات: ٢].

ذُكر أن هذه الآية الكريمة نزلت في شأن ارتفاع صوت أبي بكر الصديق ﷺ وعمر بن الخطاب ﷺ، عند رسول الله ﷺ في شأن وفد تميم.

وقد شرح الإمام البخاري هذه القضية:

ففي كتاب التفسير بوّب بنص هذه الآية الكريمة،

ثم أخرج من طريق نافع بن عمر، عن ابن أبي مُلَيْكة قال: «**كاد الخَيّران أن يهلكا: أبو بكر وعمر** ﷺ**: رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مُجاشع، وأشار الآخر برجل آخر- قال نافع: لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أَرَدْت إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك؛ فأنزل الله :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ **الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسْمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر**»(١).

وهذا الحديث صورته مرسل؛ لأن ابن أبي مليكة تابعي، لكن البخاري أعاده في الباب التالي موصولا بذكر عبد الله بن الزبير ﷺ، من طريق ابن جريج قال: أخبرني ابن أبي مليكة، **أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: أنه قدم ركب من بني تميم**

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٤٥).

على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أَمِّر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافكَ. فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الآية[1].

هذه الواقعة حصلت سنة تسع من الهجرة حين قدوم الوفود إلى رسول الله ﷺ. وفي رواية ابن جريج الموصولة بذكر ابن الزبير جعل الآية النازلة في خبر أبي بكر وعمر هي الآية الأولى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۝١ ﴾ [الحجرات: ١] الآية، بينما في رواية نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة المرسلة، جعل الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الآية.

والذي يظهر من السياق أن الآيات كلها نزلت في تلك الواقعة وما جرى فيها، أعني من أول السورة وحتى الآية الخامسة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾ [الحجرات: ١ - ٥].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الذي يتعلق بقصة الشيخين في تخالفهما في التَّأْمِير هو أوّل السورة «لا تقدموا»، ولكن لما اتصل بها قوله: «لا ترفعوا»، تمسك عمر منها بخفض صوته، وجفاة الأعراب الذين نزلت فيهم هم من بني

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٤٧).

تميم، والذي يختص بهم قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الحجرات: ٤][1]. اهـ

وقول التابعي عبيد الله بن أبي مليكة إنما قاله استنباطًا، ولا يسع الجميع بعد نزول الآية وثبوت أمر الله بما فيها من خفض الصوت غير التزامها والعمل بها، وكل ما وقع مخالفا لحكم الآية قبل نزولها وثبوت حكم الله فيها لا مؤاخذة فيه، إنما المؤاخذة فيما وقع بعد نزولها، كما لا يدخل فيها من كان طبيعته أنه جهوري الصوت ثقيل السمع يرفع صوته طبيعة، كثابت بن قيس بن الشمّاس رضي الله عنه، وهو الذي كان يخطب بين يدي رسول الله ﷺ ويجيب عنه بما يستدعي ظهور صوت ورفعه.

ولهذا أخرج البخاري خبر ثابت بن قيس بعد قول ابن أبي مليكة: كاد الخيران أن يهلكا في باب قوله ﷻ: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢]، وهو حديث أنس بن مالك رضي الله عنه **أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم علمه، فأتاه فوجده في بيته مُنَكِّسًا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»**[2].

والمقصود من الآية المنع من التنازع ورفع الأصوات عند رسول الله ﷺ

---

(١) فتح الباري (١٨/٢١٩، ٢٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٣٦١٣، ٤٨٤٦)، وقوله فيه: «فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة...، وصورته مرسل في الموضعين، لكن أخرجه مسلم في الصحيح (٢١٦٦)، موصولا.

خصوصًا إذا تضمن ذلك رفعها فوق صوت النبي ﷺ على سبيل الاعتراض على قوله وحكمه؛ ولهذا أيضًا أخرج البخاري رواية ابن أبي مليكة في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة[١]، وبوّب عليها: باب ما يُكره من التَعَمُّق والتنازع، والغلوّ في الدين والبدع.

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٠٢).

[٣٤]

قال الله ﷻ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ ﴾ [ق: ١٩].

استحضر الصّدّيق ﷺ هذه الآية الكريمة وتلاها، واستشهد بها وهو في السّياق في أصعب أحوال الإنسان وأشدها، وهي لحظات الاحتضار والاستعداد لخروج الروح ووقوع الموت والارتحال إلى الدار الآخرة، وهو في ذلك يقتدي بنبيّه ورسوله ﷺ.

فقد ثبت في الصحيح من حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: **إن من نِعَمِ الله عليّ أنَّ رسول الله ﷺ توفيّ في بيتي وفي يومي وبين سَحْرِي ونَحْرِي وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، ودخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السّواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته نظر إليه فعرفتُ أنه يحب السّواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، فقلت: أُلَيِّنُه لك؟ فأشار برأسه نعم، فليّنته فَأَمَرَّه، وبين يديه ركوة أو عُلبة - يشك عمر -[١] فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قُبض ومالت يده**[٢].

وبوّب البخاري على الحديث في كتاب الرقاق فقال: باب سكرات الموت، وذكر حديث عائشة السابق[٣].

---

(١) هو ابن سعيد راوي الحديث.

(٢) صحيح البخاري (٤٤٤٩).

(٣) صحيح البخاري (٦٥١٠).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقع في رواية القاسم عن عائشة عند أصحاب السنن سوى أبي داود بسند حسن بلفظ: «**ثم يقول: اللهم أعنّي على سكرات الموت**»[1]. اهـ

ولما حضرت الصّدّيق ﷺ الوفاةُ حَرِص أن يقتدي بنبيّه ﷺ مع كونه في هذا المقام العصيب، وقد نُقِلَتْ عنه عدة روايات في ذلك:

منها حديث عائشة ﷺ قالت: «**لما حضرت أبا بكر الوفاة قلت: هذا كما قال الشاعر: إذا حَشْرَجتْ يومًا وضاق بها الصدرُ: فقال أبو بكر ﷺ: لا تقولوا ذلك. ولكن كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِ بِالْمَوْتِ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾**[2].

وقع هكذا في هذه الرواية أن الصّديق تلا الآية مقدِمًا كلمة الحق على كلمة الموت. **وقد فسر ذلك الطبري فقال:** «وقد ذُكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود، ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان، أحدهما: وجاءت سكرة الله بالموت، فيكون الحق هو الله تعالى ذكره. والثاني: أن تكون السكرة هي الموت، أُضيفت إلى نفسها كما قيل: «إن هذا لهو حق اليقين». ويكون تأويل الكلام: وجاءت سكرة الحق بالموت»[3]. اهـ

وعن عبد الله البهيّ مولى الزبير بن العوام قال: **لما حُضِرَ أبو بكر تمثّلت عائشة بهذا البيت:**

أعاذلُ ما يغني الحذار عن الفتى ... إذا حَشرجت يومًا وضاق بها الصدرُ

---

(١) فتح الباري (٢٤/١٦٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٤١٧) من طريق محمد بن جعفر قال: ثنا شعبة عن واصل عن أبي وائل قال به، وهذا سند صحيح متصل.

(٣) تفسير الطبري (١١/٤١٧، ٤١٨).

فقال أبو بكر: ليس كذلك يابُنية، ولكن قولي: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[١].

وهذا أعظم ما يكون من الموافقة والاقتداء من الصّدّيق ﷺ لرسول الله ﷺ حتى في حال السياق وحضور أمر الله ﷻ بالموت ومفارقة الدنيا.

وقد بلغ بالصّدّيق ﷺ أنه كان من هَمِّه الأعظم في هذه الحالة العصيبة أن يوافق نفس اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ وهو يوم الاثنين. فكان يرجو أن تقع هذه الموافقة فصار يستعجل الموت لَمَّا عَلِمَ أنه ﷺ توفي يوم الاثنين. وهذا غاية ما يكون من هذا الرجل المبارك موافقة ومصاحبة ومتابعة في كل شيء لرسول الله ﷺ.

بوّب البخاري في الجنائز فقال: باب موت يوم الاثنين، وأخرج حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: **«دخلتُ على أبي بكر فقال: في كم كفّنْتم النبي ﷺ؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيضٍ سَحُوليّة، ليس فيها قميصٌ ولا عمامة، وقال لها: في أيّ يومٍ توفي النبي ﷺ؟ قالت: يوم الاثنين، قال أبو بكر: فأيُّ يومٍ هذا؟ قالت: يوم الاثنين، قال أبو بكر: أرجو فيما بيني وبين الليل، فنظر إلى ثوبٍ عليه كان يُمرّض فيه به رَدْعٌ من زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيها، قلت: إن هذا خَلِقٌ، قال: إن الحيّ أحقُّ بالجديد من الميت، إنما هو للمهلة فلم يتوفَّ حتى أمسى من ليلة الثلاثاء، ودفن قبل أن يصبح»**[٢].

وأخرج الإمام أحمد من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها

---

(١) أخرج الحديث الإمام أحمد في كتاب الزهد برقم (٥٦٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٩٩/٧) إلى الطبري وليست هذه الرواية في تفسير الطبري.

(٢) صحيح البخاري (١٣٨٧).

قالت: «إنّ أبا بكر لما حضرته الوفاة قال: أيُّ يومٍ هذا؟ قالوا: «يوم الاثنين»، قال: فإن مِتُّ من ليلتي فلا تنتظروا بيَ الصباح، فإنّ أحبَّ الأيام والليالي إليّ أقربها من رسول الله ﷺ»[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «هذا حديث جيّد، ومحمد بن ميسرة تكلّم فيه بعض الأئمة، ولكن للحديث أصل من رواية عائشة ﵂»[2].اهـ يعني حديث عائشة المتقدم قبل هذا.

فانظروا عباد الله كيف طلب أن يكفّن في مثل كفَنِ رسول الله ﷺ، ثم انظروا كيف قال لمّا أُخبِر أن اليوم الذي هو فيه يوم الاثنين فقال: «إني أرجو فيما بيني وبين الليل» فإن حُبه لموافقة رسول الله ﷺ في يوم وفاته تحديدًا غلب عليه فأنساه شدّة الموت وكربه فجعل يتعجل الموت ويرجوه لتحصل له تمام الموافقة في كل شيء، وقد حصل له ما أراد كرامة من الله ﷻ له وخصوصية له، فتوفي يومَ الاثنين بعدما أمسى من ليلة الثلاثاء ودُفِن قبل أن يطلع فجر يوم الثلاثاء.

وتمّت على الصِدّيق نعمة الله ﷻ فأجمع أصحاب النبي ﷺ وآل بيته بدون أمْرٍ منه ولا وصية أو طلب فدفنوه في حجرة عائشة إلى جوار قبر رسول الله ﷺ: فيالله ما أعطى الله هذا الرجل المبارك من الفضائل الهائلة العظيمة.

والحمد لله رب العالمين على فضله، وأَقرَّ الله ﷻ عيون أهل السّنة إلى قيام الساعة بهذه المِنَح الكريمة، والهبات الجليلة من الله ﷻ لعبده المؤمن الصالح أبي بكر الصّديق ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٨٨/١).

(٢) مسند الصّديق (٢٥٤).

[٣٥]

قال الله ﷻ: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [عبس: ٣١].

امتن الله ﷻ على عباده بما أنزل من السماء من ماء فأخرج لهم به النبات بكل أشكاله والثمار بكل ألوانها، فقال تعالى: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٥-٣٢]، والفاكهة معروفة وهي الثمار الرطبة التي يأكلها الناس، وأما الأبّ فاختُلف فيه فقيل: ما تأكله الأنعام من العشب والكلأ، وهو الأشهر(١).

وقد جاء عن أبي بكر الصدّيق وكذا عن عمر بن الخطّاب ما يوحي بالتوقف في معنى الأبّ.

فعن إبراهيم التيمي قال: سُئِلَ أبو بكر الصدّيق، عن الأبّ ما هو؟ فقال: «أيّ سماءٍ تُظلّني، وأيّ أرضٍ تُقلّني إذا قلتُ في كتاب الله مالا أعلم»(٢). وجاء عن عمر بن الخطاب ﷺ مثله، فعن أنس ﷺ: **أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على**

---

(١) انظر تفسير الطبري (٤٥١/١٢، ٤٥٢).

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائله (٢٢٧) قال: حدّثنا محمد بن يزيد حدّثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي به، وهذا مرسل، وله سند آخر إلى الحسن عن أبي بكر عند الطبري (٧٨)، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٥٢/٢)، وسند آخر إلى ابن أبي مليكة عن أبي بكر عند البيهقي في المدخل (٧٩٢)، وسند آخر إلى الشعبي عن أبي بكر عند ابن أبي شيبة (٥١٢/١٠، ٥١٣)، وأخرجه الطبري في مقدمة تفسيره (٧٩) عن أبي معمر، وسنده صحيح.

المنبر: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ فقال: «هذه الفاكهة قد عرفناها. فما الأبّ؟، ثم رجع إلى نفسه. وقال: إن هذا لهو التكلّف يا عمر»[١].

قال الحافظ بن كثير رحمه الله: «وهذا محمولٌ على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض»[٢].اهـ

وفي مسائل نافع بن الأزرق الخارجي لابن عباس رضي الله عنهما أنه قال له: قوله تعالى: ﴿ وَأَبًّا ﴾ ما الأبّ؟، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأبّ: ما يَعتَلِف منه الدّواب، قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: نعم أما سمعت قول الشاعر:

تَرَى الأبَّ واليقطيـنَ مختلطًا على الشريعةِ يجري تحتها الغَرَبُ[٣].

وفي مسائل الطّستي: قال ابن عباس: أما سمعت قول الشاعر يمدح النبي ﷺ:

له دعوةٌ ميمونةٌ ريحُهـا الصّبا بها يُخْرِج الله الحصيدةَ والأَبَّـا[٤]

وهذا البيت من جملة أبيات قالها: حَرْب بن ريطة بن عمرو بن مازن من بني سامة بن لؤي يقول فيها:

أَلا أَبلغا عنّي النبـيَّ محمدًا رسالة مَنْ أَمْسَى بصحبته صَبـاً

حلفتُ بربّ الراقصات عشيّةً خوارجَ من بطحاء تحسبها سِرْبـا

---

(١) أخرجه أبو عبيد (٥٨/١)، وابن أبي شيبة (٥١٢/١٠-٥١٣)، والحاكم (٥١٤/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٨٤/٥). من طريق يزيد بن هارون عن حميد عن أنس عن عمر به. وهو سند صحيح متصل. وله طريق آخر عند ابن سعد في الطبقات (٣٢٧/٣) من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن ثابت البناني عن أنس به. وهو سند صحيح متصل.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٨٥/٨).

(٣) كذا في الإتقان للسيوطي (١٠٠/٢) وعزاه للطّستي في مسائله.

(٤) مسائل الطستي (١٢١/٢).

لقد بعث اللهُ النبيّ محمـــدًا بحقٍ وبرهان الهدى يكشف الكربا

له دعوةٌ ميمونةٌ ريحها الصَبَا بها يُنْبِتُ الله الحصيـدة والأَبَّـا

أُأَمِّل أن ألقى النبـيَّ مهاجرًا على بيعة الرحمن أو أعتنقْ كعبا(١)

وسامةُ بن لُؤيّ بن غالب، هو أخو كعب وعمرو ابني لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك خرج من أهله وتركهم لأمر جرى بينه وبين أخيه عمرو، وذهب إلى عُمان واستقر بها وتزوج وله بها ذُرّية ومات بها لديغًا، ووفد بعض ذُرّيته على النبي ﷺ، فانتسبوا له فعرفهم. فلما ذكروا سامة بن لؤي قال لهم: الشاعر؟ فقال العباس بن عبد المطلب: لعلك تعني قوله:

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقتَ يا ابن لُؤيٍّ حَذَرَ الموت لمْ تكنْ مِهْرَاقة(٢).

---

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر (٤٣/٢)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣٣٢/١١)، ووقع عند الصفدي: أنه سُلَمِي، وهو خطأ.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٩٨/١).

[٣٦]

قال الله ﷻ: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [البروج: ١٦].

يخبر الله ﷻ بأنه جلّ وعلا مهما أراد فعل، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يؤوده ولا يكرثه تبارك وتعالى.

ولأبي بكر الصّدّيق ﷺ استحضار واستشهاد بهذه الآية الكريمة وذلك في مرضه الذي توفي فيه ﷺ، كما عند ابن أبي شيبة في مصنّفه عن مالك عن أبي السَّفَر[(١)] قال: **دخل على أبي بكر ناسٌ من إخوانه يعودونه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ فقال أبو بكر: «قد نظر إليَّ»، قالوا: فماذا قال لك؟ قال أبو بكر: قال: «إني فعّالٌ لما أريد»**[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «كما روينا عن أبي بكر الصّدّيق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال: «قال لي: إني فعّال لما أريد»[(٣)].اهـ

---

(١) أبو السَّفر هو: سعيد بن يَحْمد الثوري الكوفي، تابعي ثقة، قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة فيما يروي ويحمل. التهذيب (٣٤٦/٢) . ومالك في السند هو: مالك بن مِغْوَل وليس مالك بن أنس: لأن ابن أنس لا رواية له عن أبي السفر.

(٢) المصنف (٩٣/٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٣٤/٧).

[٣٧]

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

لأبي بكر ﷺ بشارة نبوية بمقتضى هذه الآية الكريمة.

فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ في قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾، قال: **«نزلت، وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ، فقال أبو بكر: ما أحسن هذا يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «أما إنه سيُقال لك هذا»**(١).

وعن سعيد بن جبير قال: **«قُرِئت عند النبي ﷺ**: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾، **فقال أبو بكر: إن هذا لَحَسَنٌ، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنَّ الملك سيقولها لك عند الموت»**(٢).

ولا شك أن كل نفس مؤمنة تموت مطمئنة يُقال لها ذلك برحمة الله ﷻ، إلا أن أبا بكر ﷺ هو رأس ومُقَدَّم هذه النفوس المؤمنة المطمئنة.

---

(١) أخرجه عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، الحافظ ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ح١٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥١٣/٨) إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، ونقله الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٦٥/٧) من تفسير ابن أبي حاتم بسنده ولفظه.

(٢) هذه رواية مرسلة: أخرجها الطبري في تفسيره (٥٨١/١٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٥/٣٢)، ونقلها ابن كثير (٥٦٥/٧) بسندها من تفسير ابن أبي حاتم، قال: «وهذا مرسل حسن».

[٣٨]

قال الله ﷻ: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٧ -٢١].

هذه آياتٌ جليلة من خاتمة سورة الليل، يخبر الله ﷻ فيها: أن لظى وهي ناره التي توعّد بها أعداءه الأشقياء الذين كذبوا وتولوا كما قال ﷻ: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[الليل: ١٤-١٦]، ويخبر ﷻ أن هذه النار التي تلظّى، سيجنبها الله عبده الأتقى الذي يتزكى والذي يبتغي بعمله وجه ربه الأعلى.

ولقد أجمعوا في تفاسيرهم بلا خلاف أن المقصود بهذه الآيات الشريفة الموصوف من ربه ﷻ بأنه أنقى وأتقى اتباع نبيّه ﷺ إنمّا هو الصّدّيق أبو بكر ﷺ. فيا لها من تزكية رحمانية لظاهر وباطن الصّدّيق، ما أجلّها! وما أعظمها! وكفى بشهادة الله تعالى لهذا الإمام المبارك بزكاة باطنه وحسن نيّته وابتغاء وجه ربه الأعلى بعمله: فمن لم يقبل تزكية الله ﷻ العالم بذات الصدور فلا أفلح ولا اهتدى وكذّبَ ربه الأعلى فهو إذًا جدير بنار تلظّى.

قال الحافظ بن كثير رحمه الله: «وقد ذكر غير واحدٍ من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصّدّيق ﷺ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شكّ أنه داخلٌ فيها وأَوْلَى الأمة بعمومها فإن لفظها العموم. ولكنّه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة. فإنه كان صِدّيقًا تقيًا كريمًا جوادًا بذّالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ. فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده

منّة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: «أما والله لولا يدٌ لك عندي لم أجزك بها لأجبتك» وكان الصِّدِّيق قد أغلظ له في المقالة. فإن كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟! ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١][(١)].اهـ

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: **«من أنفق زوجين في سبيل الله دُعِيَ من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دُعِي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعِي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعِي من باب الريّان، فقال أبو بكر: ما على من دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟. قال: نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»**[(٢)].

وأخرجه ابن حبّان[(٣)] بلفظ: **«أما إني أرجو أن تدعوك الحَجَبة كلُّها»**.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل الجنة رجلٌ فلا يبقى أهل دارٍ ولا أهل غرفة إلا قالوا: مرحبًا مرحبًا، إلينا إلينا، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما تَوَى على هذا الرجل في ذلك اليوم. قال: «أجل، وأنت هو يا أبا بكر»**[(٤)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٨٨/٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٦، ٣٦٦٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) (٤٦٤١/١٠).

(٤) أخرجه ابن حبّان (٦٨٦٧/١٥)، في سنده رباح بن أبي معروف: من رجال مسلم، وأحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي: وثقه الهيثمي، وباقي رجاله ثقات.

ومعنى لا تَوَى على هذا الرجل: أي لا خسارة ولا ضياع له كما في النهاية[١].

ومما يؤكد تمامًا أن أبا بكر هو المقصود بهذه الآيات من سورة الليل أو أنه إمام ورأس المقصودين بها ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «**لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين**... فذكرت الحديث في خروج أبي بكر إلى الحبشة: «**وخرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْك الغِمَاد لقيه ابن الدَّغِنَة -وهو سيد القارة- فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي، فقال ابن الدَّغِنة: إنَّ مثلك لا يَخْرُج ولا يُخْرَج، إنَّك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَّلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق**»[٢].

فانظر كيف وصفه هذا الرجل من العرب وهو على دين قومه وشركِهم بعين ما وصفت به الصّدِّيقة الكبرى أمُّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ لمّا رجع إليها يرجف فؤاده مما رأى في الغار وقال ﷺ لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيتُ على نفسي**»، فقالت خديجة رضي الله عنها : «**كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَّلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق**»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقد وصفه ابن الدَّغِنة بحضرة أشراف قريش بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ لمّا نزل عليه الوحي، وقال لها: لقد خشيتُ على نفسي، فقالت له: كلا والله لن يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل

---

(١) (٢٠١/١).

(٢) صحيح البخاري (٣٩٠٥) ، ومسلم (١٦٠).

(٣) صحيح البخاري (٣).

الرحم، وتحمل الكَلّ، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»، فهذه صفة النبي ﷺ أفضل النبيين، وصِدِّيقِه أفضل الصِّدِّيقين»[(١)].اهـ وقال **الحافظ بن حجر رحمه الله**: «وفي موافقة وصف ابن الدَّغِنة لأبي بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبي بكر واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال»[(٢)].اهـ

❁ وهاك الروايات الواردة في كون الصِّدِّيق هو المقصود بهذه الآيات من سورة الليل:

❁ **الرواية الأولى**: عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: **«كان أبو بكر يبتاع الضَّعَفَة فيُعتقهم، فقال له أبوه أبو قُحافة: يا بني، لو كنتَ تبتاع من يمنع ظهرك؟ فقال أبو بكر: منعُ ظهري أريد، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾»** [الليل: ١٧-٢١][(٣)].

❁ **الرواية الثانية**: عن سالم بن عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير رضي الله عنهما: **أن أبا بكر ﷺ أعتق سبعة كلهم يُعذَّب في الله ﷻ: بلال، وعامر بن فُهَيْرة، والنهدِيّة وابنتها، وزِنِّيرة، وأم عُمَيْس، وأمَةُ بني المؤمَّل. فأما زِنِّيرة فكانت رومية،**

---

(١) منهاج السنّة (٥٤٩/٨).

(٢) فتح الباري (٨٦/١٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢٠/١٢) مختصرًا. وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٩) من طريق سفيان بن عيينة أنه سمع ابن الزبير على المنبر يقول: فذكره، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٧٢/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي. وذكره البغوي في تفسيره (٤٤٨/٨).

وكانت لبني عبد الدار فلما أسلمت عَمِيَتْ. فقالوا: أعمتها اللات والعُزّى، فقالت: هي تكفر باللات والعُزّى. فردّ الله عليها بصرها، ومَرَّ بها أبو بكر وهي تَطْحَن وسيدتها تقول: والله لا أعتقك حتى يعتقَك صُبَاتُك. فقال أبو بكر ﷺ: فَحِلا إذًا يا أم فلان، فبكم هي؟ قالت: بكذا وكذا أوقية. قال: قد أخذتها، قومي. قالت: حتى أفرغ من طحني. وأما بلال فاشتراه وهو مدفون بالحجارة، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناك. فقال أبو بكر: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته. وفيه نزلت - يعني أبا بكر - : قال الله ﷻ: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ إلى آخر السورة. وكان له أربعون ألفًا فأنفقها كلها.(١)

۞ **الرواية الثالثة:** عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال أبو قُحافة لأبي بكر: «يا بُني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلتَ ما فعلتَ، أعتقتَ رجالا جُلدًا يمنعونك ويقومون دونك. فقال أبو بكر: يا أبتِ، إني أريد وجه الله، فنزلت هذه الآيات: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٧-٢١](٢).

وقال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وقتادة، ومقاتل وغيرهم: نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصدّيق ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإنفاق أبي بكر في طاعة الله ورسوله هو من المتواتر، الذي تعرفه العامّة والخاصّة، وكان له مالٌ قبل الإسلام،

---

(١) أخرجه الثعلبي بطوله (٢٩/٤٥٤، ٤٥٥)، وأخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/٢١١) بسندٍ صحيح إلى عروة بن الزبير. وأخرجه الحاكم موصولا بذكر عائشة رضي الله عنها (٣/٣٢١) فقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٥٢٥، ٥٢٦) وصحّحه.

وكان معظَّمًا في قريش محبَّبًا مؤلَّفًا خبيرًا بأنساب العرب وأيامهم. وكانوا يأتونه لمقاصد التجارة ولعلمه وإحسانه. ولهذا لمّا خرج من مكة قال له ابن الدَّغِنة: «مثلك لا يَخرُج ولا يُخرَج». ولم يُعْلم أحد من قريش وغيرهم عاب أبا بكر بعيب ولا نقَصَه ولا استرذله كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين. ولم يكن له عندهم عيب إلا إيمانه بالله ورسوله. كما أن رسول الله ﷺ لم يكن قطّ به عيب عند قريش ولا نقص ولا يذمّونه بشيءٍ قطّ. بل كان معظّمًا عندهم بيتًا ونسبًا معروفًا بمكارم الأخلاق والصدق والأمانة. وكذلك صِدّيقه الأكبر لم يكن له عيب عندهم من العيوب»[1].اهـ

---

(١) منهاج السنّة (٨/٥٤٦، ٥٤٧).

[٣٩]

قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ [المسد: ١-٥].

هذه السورة الكريمة من قِصار المفصل، نزلت في أبي لهب وزوجه الحولاء أم جميل وما توعدهما الله ﷻ به من العذاب والنكال الشديد لشدة تكذيبهما وعداوتهما لرسول الله ﷺ؛ فما أشقاهما!

ولأبي بكر ﷺ حضوره وموقفه العظيم مع هذين العدوين لرسول الله ﷺ، فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ قال: «**لما نزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ جاءت امرأة أبي لهب إلى رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، إنها امرأة بذيئة وأخاف أن تؤذيك؛ فلو قمتَ. قال: «إنها لن تراني». فجاءت فقالت: يا أبا بكر، صاحبُك هجاني. قال أبو بكر: ما يقول الشعر. قالت: إنك عندي مصدَّق. وانصرفت. قال أبو بكر: يا رسول الله، لم ترك. قال: «لم يزل مَلكٌ يَسترني منها بجناحيه»**[١].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١/ح٢٥)، وكذا ابن حبان (٦٥١١)، والبزار (١/ح١٥)، وقال البزار: «وهذا الحديث حسن الإسناد، يدخل في مسند أبي بكر ﷺ، إذ حكى عن النبي ﷺ، إذ قال: وربّ هذه البنية ما ينطق بالشعر، وما يتفوه به. وكان هذا من حكاية أبي بكر عن النبي ﷺ»، وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت أبي بكر، أخرجه الحميدي في مسنده (٣٢٨) وقال الحافظ ابن كثير في مسند الصّدّيق (٥٨٩): «إسناده حسن».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وجدير أن يذكر هذا الحديث عند قوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥] [(١)].

❁ **وفي هذا الخبر من مشاهد ومناقب الصّدّيق أنواع:**

الأوَّل: شدة مصاحبة أبي بكر ﷺ ومخالطته للنبي ﷺ في سِرّه وعلانيته، وليله ونهاره، ومدخله ومخرجه، خصوصًا في السنوات الأولى لبعثته ﷺ.

الثَّاني: حِيَاطة أبي بكر ﷺ للنبي ﷺ، وخوفه عليه، ورعايته لجنابه وقيامه دونه ضد كل أذىً أو كريهة يتعرض ﷺ لها.

الثَّالث: شهود أبي بكر ﷺ لهذه الآية العظيمة والمعجزة الكريمة عندما سترت الملائكة لرسول الله ﷺ دون هذه الكافرة البذيئة؛ فلم تَرَه البتة.

الرَّابع: احتواء أبي بكر ﷺ لغضب هذه الكافرة البذيئة وحكمته في رده عليها دون أن يكذب أو يتفوه بحرف ينافي الحقيقة، وهذا يدل على فقهه ﷺ الذي أفاده وتعلمه من صاحبه وحبيبه فهكذا كان يعرّض ﷺ في مثل هذه المواقف فلا يعطي المخاطب إلا ما يريد هو أن يعطيه وفي نفس الوقت لا يغضبه ولا يقول كذبا: فلما قالت له هذه الحولاء: إن صاحبك قد هجاني؟ أجابها بقوله: ما يقول الشعر. وهو جواب حق وصدق، ومحكم غاية الإحكام. لأنه استقر عندهم أن الهجاء لا يكون إلا بالشعر، وهم يتهمون القرآن الكريم بأنه شعر، وأنه عليه الصلاة والسلام شاعر، وليس القرآن بشعر، ولا هو ﷺ بشاعر: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ

(١) مسند الصّديق (٥٨٩).

قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٤١ - ٤٢]، فقال أبو بكر: إن صاحبي لا يقول الشعر ولا ينبغي له، فرد عليها وصدّها وما قال إلا حقًّا.

الخامس: استقر عند أعداءه ﷺ من المشركين كما استقر عند المؤمنين خصوصية أبي بكر ﷺ بصحبة النبي ﷺ، فتأمل قول هذه الكافرة: إن صاحبك قد هجاني. وهذا يشبه ما وقع يوم أحد عندما نادى أبو سفيان وهو إذ ذاك رأس المشركين: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات. كل ذلك والنبي ﷺ يقول لأصحابه: «**لا تجيبوه**». فقال أبو سفيان: أمَّا هؤلاء فقد قتلوا.لم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة فَصَدّر بالنبي ﷺ ثم ثنَّى بأبي بكر فعمر: لعلمه وعلمهم أن هؤلاء الثلاثة هم رؤوس أهل الإيمان.

السَّادس: شمائل أبي بكر ﷺ من جنس شمائل رسول الله ﷺ فهو بحق خير صاحب لخير نبي ﷺ، وقد تقدم ذكر موافقة الأوصاف التي أثنى بها ابن الدّغنة على أبي بكر للأوصاف التي أثنت بها أم المؤمنين خديجة على النبي ﷺ، وكذلك الحال هنا: حيث وافق قول هذه الحولاء الكافرة البذيئة لأبي بكر: قول قريش للنبي ﷺ، فالحولاء قالت لأبي بكر: إنك عندي مُصَدّق. وقريش قالوا للنبي ﷺ: ما جربنا عليكَ كذبًا.

فرضي الله عن أبي بكر، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالحُجَج البيّنات، والباقيات الصالحات، محمد النبي الأُمّي الذي يؤمن بالله وكلماته التامات.

وبعد...

فإن الله ﷻ، وله الخلق والأمر، وربك يخلق ما يشاء ويختار، اختار محمدًا ﷺ لرسالته الخاتمة العظيمة، وجعله حُجّتَه على العالمين إلى قيام الساعة، واختار له أصحابه وأنصاره وأتباعه إلى يوم الدين، به اهتدوا إلى صراط الله المستقيم، وأحاطوا به وبِسُنّته المباركة، فإليها يَرِدون، وعنها يصدرون، واختار تعالى الصِّدّيق الأكبر والصاحب الأشهر أبا بكر عبد الله بن أبي قُحافة ليكون صاحب رسوله الأكبر وناصره الأعظم وتابعه الأكمل وخليفته من بعده في ديانته وأمته، فَقَرَّتْ بذلك عيون المؤمنين أهل السُّنّة، وأُرْغِمَتْ أنوف أهل الضلالة والرفض والبدعة، فمن لم يرض بما رضي الله به لرسوله واختاره له من صحابته وخاصته فلا أرضاه الله ولا رضي عنه، بل لعنه وغضب عليه.

«أبو بكر، وما أبو بكر، والله ما تُغطُوه الأَيادي، ذاك طَوْدٌ مُنيف، وفرعٌ مديد، هيهات كَذَبت الظنون، أَنْجَح والله إذْ أَكْدَيتُم، وسَبَقَ إذْ وَنَيْتُم، سَبْقَ الجواد إذا استولى على الأَمَدِ، فتى قريشٍ ناشِئًا، وكَهْفُها كَهْلا، يَفُكّ عانيها، ويَرِيشُ مُمْلِقَها، وَيَرْأَبُ شَعْثَها، حتى حَلِيَتْهُ قلوبُها، ثم اسْتَبْشَر في دينه، فما بَرِحَتْ شَكِيمَتُه في ذات الله حتى اتّخَذ بفنائه مسجدًا يُحْيِيَ فيه ما أمات المبطلون، وكان والله غزير

الدمعة، وَقِيذَ الجوارح، شَجِيّ النَّشِيج، فَتَقَصَّفَتْ إليه نسوان مكة وولدانها، منه يعجبون، وبه يستهزئون ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥]. وأكْبَرتْ ذلك رجالاتُ قريش، فَحَنَّتْ له قُسِيَّها، وَفَوَّقَتْ له سهامها، وامْتَثَلُوه غَرَضًا، فما فَلُّوا له صفاة، ولا قَصَفُوا له قناة، وَمَرَّ على سِيسَائِه، حتى إذا ضرب الدّينُ بجِرَانِه، وألْقى بَرْكَهُ، وأرْسى أوْتَادَه، ودخل الناس فيه أفواجًا، ومن كل فرقة أشتاتًا وأرسالا، اختار الله عز وجل لِنَبِيّه ﷺ ما عنده، فلمّا قبض الله نبيّه ﷺ نصَبَ الشيطانُ رُوَاقَه، وَمَدَّ طُنُبَه، وألْقَى حَبَائِلَهُ، وأجْلَبَ بخيله وَرَجِلِه، فَظَنَّتْ رجالٌ أنْ قَدْ تَحَقَّقَتْ أَطْمَاعُها، وَلاتَ حِيْنَ يَرْجُون، وَأَنَّى والصِّدّيقُ بين أَظْهُرِهم، فقام حاسراً مُشَمِّرًا، فجَمَعَ حاشِيَتَه، فَرَدَّ نَشرَ الإسلام على غَرِّهِ، وَلَمَّ شَعَثَه بِطَبِّه، وَأَقَام أَوَدَه بِثِقَافِه، فَأَمْذَقَ النِّفَاقَ بِوَطْأَتِه، وانْتَاشَ الدّينَ بِنَعْشِه، فلمّا أَرَاحَ الحقَّ على أهْلِه، وَقَرَّر الرؤوسَ على كَوَاهِلِها، وحَقَنَ الدّماء في أُهُبِها، أَتَتْهُ مَنِيَّتُه، فَسُدَّ ثَلْمُهُ بِنَظِيرِه في المرحمة، وشَقِيقِه في السيرة، نَسِيجَ وَحْدِه، الذي أعدَّ للأمور أقْرَانَها، ذاك ابن الخطاب، لله أُمٌّ حَمَلَتْ به وَدَرَّتْ عليه، لقد أُوْجِدَتْ به، ففتح الكفرة وذَبَحَها، وَشَرَّد الشرك شَذَر مَذَر، بَعَج الأرض وبَخَعها، فَقَاءَتْ أُكُلَها، وَلَفَظَتْ خَبِيئَها، فَيَصُدُّ عنها، وتَصَدّى له فَيَصْدِفُ عنها ثم وَزَّعَ فيها فَيْئَها، ثم وَدَّعها كما صَحِبَها، فَأَرُوني ما تَرْتَأُون، وأيَّ يَوْمَيّ أبي بكر تَنْقِمون، أيَوْمَ إقَامَتِهِ إذ عَدَل فيكم؟ أم يومَ ظَعْنِهِ فقد نَظَر لكم»[١].

---

(١) هذه الخطبة العظيمة هي من جواهر دُرَرِ فصيح وبلاغة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف أبيها الصّدّيق أبي بكر رضي الله عنه وصاحبه عمر رضي الله عنه.

أخرجها بطولها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/٣٩٠)، وكذا الخطيب في تاريخ بغداد (٥٨٩/١٦)، والطبراني في الكبير (٢٣/ح ٣٠٠)

ولقد دَفَعني لجمع هذا الكتاب وإعداده بتوفيق الله وتيسيره ﷻ، دوافع وأسباب:

- منها: بعض الأداء لبعض الحق العظيم لِصدِّيقنا وخليفة نبينا ﷺ أبي بكر، فإنه والله رجل الأمة، وحقه والله جِدُّ عظيم.
- ومنها: كنت جمعتُ فيما مضى وأصدرتُ بفضل الله ﷻ كتابًا في مقام بل مقامات أفضل نساء الأُمّة على الإطلاق، سيدة نساء العالمين، فاطمة بنت رسول الله ﷺ و ﵂، وصدر عام «١٤٣٤هـ»، تحت عنوان: «إتحافُ المُحبين بخصائص سيدة نساء العالمين»، تقربًا إلى الله ﷻ، وَتَوَدّدًا لرسول الله ﷺ بذكر شيء من مقام أحبِّ بناته إليه ﷺ وهي ابنته فاطمة ﵂، فأردت في هذا الكتاب كذلك ذكر شيء مقامات ومنازل خير رجال هذه الأمة، بل خير رجال العالمين بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام: وهو الصّدّيق أبو بكر ﵁، تقربًا إلى الله ﷻ، وتَوَدّدًا لرسول الله ﷺ بذكر شيء من مقام أحب أصحابه إليه مطلقًا.
- ومنها: إظهار السُنّة ورفع أعلامها، وإرْغام أنوف أهل الضلالة والشقاق والنفاق من الرافضة الأشقياء، فإن ذكر فضائل ومقامات الصّدّيق والفاروق وبقية الصحابة الكرام ﵃ من أجلّ الأعمال وأبركها، خصوصًا عندما ينجم التشيع والرفض ويُظهِر غيظه وحقده وينشر باطلَه وشرَّه: فوجب جهادهم، وإرغامهم بإظهار فضائل الصحابة ونشرها وإذاعتها وإشاعتها في العالمين، خصوصًا هذين الشيخين المباركين الجليلين صِدّيق الأمة أبا بكر وفاروقها عمر ﵄.

وإني أدعو أهل العلم والفضل من أهل السُّنّة وأنصارها إلى العمل في ذلك بإظهار وإبراز جهات الفضل الجليلة وجوانب الشرف العظيمة لأصحاب رسول الله ﷺ. خصوصًا الخلفاء الراشدين الأربعة، وبقيّة العشرة المبشرين، وأمهات المؤمنين، وآل بيت نبيّنا الطاهرين، والسابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم أجمعين.

والحمد لله الذي وفّق وسدّد وأعان، حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، وأسأله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ويجعله ذُخرًا وخيرًا وأجرًا لجامعه وقارئه وناشِره.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

د/ عبد العزيزبن أحمد بن محسن الحميدي

مكة المعظمة

الفهارس العامة

وتحتوي الفهارس على ما يلي:

- ✓ فهرس الآيات القرآنية.
- ✓ فهرس الأحاديث والآثار.
- ✓ قائمة المصادر والمراجع.
- ✓ فهرس الموضوعات.

١- فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ الٓمٓ ① ﴾	١	البقرة	١٠٧
﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ⑮ ﴾	١٥	البقرة	٢٧٠
﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	البقرة	٣٨
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ..... ﴾	٣٠-٣٦	البقرة	٣٦
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ .... ﴾	٢٤٦-٢٤٧	البقرة	٤٠
﴿ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٤٦	البقرة	٤٢
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ..... ﴾	٢٤٧	البقرة	٤٢-٤٣
﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾	٢٦٠	البقرة	٢١٥

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾	٨	آل عمران	١٠٩، ١١١
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴾	١١٠	آل عمران	(٤٥-٤٦). ٦٣
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾	١٣٥	آل عمران	١٢٥، ١٢٦
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾	١٤٤	آل عمران	٦٢، ٦٣. ١١٢، ١١٣. ١١٦، ١١٧. ١١٩، ١٢١
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾	١٥٩	آل عمران	٥١، ٥٢
﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾	١٥٩	آل عمران	٥٢
﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾	١٨١	آل عمران	١٢٢، ١٢٣

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾	١٨٦	آل عمران	١٢٢، ١٢٣
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ .... ﴾	١١	النساء	١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤
﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ .... ﴾	١٢	النساء	١٢٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٤٠، ١٤١
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ .... ﴾	١١-١٢	النساء	١٣٠
﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	النساء	١٤٢
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴿٥٤﴾ ﴾	٥٤	النساء	٣١

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾	٥٤-٥٥	النساء	٤٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾	٥٨	النساء	٤٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾	٥٩	النساء	٤٥، ٤٦، ٨٤
﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴿٩٢﴾ ﴾	٩٢	النساء	١٤٥، ١٤٨، ١٤٩
﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾	١١٠	النساء	١٢٥، ١٢٦
﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾	١٢٣	النساء	١٥١، ١٥٢
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾	١٧٦	النساء	١٢٧، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴿٦﴾ ﴾	٦	المائدة	١٤٢
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	٢٠	المائدة	٤١
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿٦٧﴾ ﴾	٦٧	المائدة	٢٦٧
﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾	٨٩	المائدة	١٥٤
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ	٩٥	المائدة	١٥٩، ١٦٠

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾			
﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	٩٦	المائدة	١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾	١٠٥	المائدة	١٦٧، ١٦٨، ١٦٩
﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾	٨١	الأنعام	١٧١
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	الأنعام	١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣
﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٨-٩	الأعراف	١٧٤

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	الأنفال	٢٤١
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾	٤١	الأنفال	١٤٦
﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	الأنفال	١٨٣-١٨٤
﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾	١	التوبة	١٨٤-١٨٥
﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾	٢	التوبة	١٨٣
﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	٤	التوبة	١٨٣
﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ .... ﴾	١-٥	التوبة	١٨٢

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ فَقَاتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾	١٢	التوبة	١٩٥
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ .... ﴾	٤٠	التوبة	٩، ١١٤، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾	٦٠	التوبة	٢٠٥
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾	١٢٨	التوبة	٧٨
﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤ ﴾	١٤	يونس	٣٧
﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ ﴾	٢٦	يونس	٢٠٩، ٢١٠

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	الحجر	٨٠، ٨١
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾	١	الإسراء	٢١٢
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾	٤٥	الإسراء	٢٦٧
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٩	الكهف	٢٠٧
﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	الكهف	٣١
﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾	٩٠	الأنبياء	٢١٦
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	الحج	٢١٨
﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ	٧٨	الحج	٤٥

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾			
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) ﴾	٦٠	المؤمنون	٢٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ .... ﴾	١١-١٨	النور	٢١٩
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) ﴾	٢٢	النور	٢٢٢، ٢٢٣،٢٢٥
﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) ﴾	٣٢	النور	٢٢٦، ٢٢٧
﴿ الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ	١-٥	الروم	٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١،

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٥) ﴾			١٣٢
﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾	١٣	لقمان	١٧٠، ١٧١
﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ (٦٩) ﴾	٦٩	يس	٢٣٣، ٢٣٤، ٢٥٣
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ﴾	٣٠	الزمر	٦٣، ٣٠، ١٢١، ١١٦
﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾	٣٣	الزمر	٢٣٨، ٢٣٩
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ (٣٢) وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (٣٣) ﴾	٣٢-٣٥	الزمر	٢٤٠
﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٣٥) ﴾	٣٣-٣٥	الزمر	٢٣٧

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	غافر	٢٤١
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	غافر	٢٤١،
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	فصلت	٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾	٣٨	الشورى	٥٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾	١	الحجرات	٢٤٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ..... ﴾	١-٥	الحجرات	٢٤٨

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾	٢	الحجرات	٢٤٧، ٢٤٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾	٤	الحجرات	٢٤٩
قراءة ابن الجمهور ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	ق	٢٥١،٢٥٣
قراءة ابن مسعود ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِ بِالْمَوْتِ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾	١٩	ق	٢٥١
﴿ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	الطور	١٧
﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾	١٤	الرحمن	٣٨
﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ ﴾	٦	الحشر	٩٤
﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾	٨	الحشر	١١٤
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا	١٠	الحشر	٣٤

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾			
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ (١٩) ﴾	١٩	الحديد	٢٩
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) ﴾	٤١-٤٢	الحاقة	٢٦٧-٢٦٨
﴿ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا (٢٥) ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا (٢٦) فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا (٢٧) وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا (٢٨) وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا (٣٠) وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا (٣١) مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٢) ﴾	٢٥-٣٢	عبس	٢٥٥
﴿ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا (٣١) ﴾	٣١	عبس	٢٥٥، ٢٥٦
﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) ﴾	١٦	البروج	٢٥٨
﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾	٢٧-٣٠	الفجر	٢٥٧
﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى (١٥) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) ﴾	١٤-١٦	الليل	٢٦٠

الآية	رقم الآية	السورة	صفحة
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	الليل	٢٦٤
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾	١٧-٢١	الليل	٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾	٤	التين	٣٨
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾	١-٦	المسد	٢٦٦
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾	١	المسد	٢٦٦
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾	١	الإخلاص	١١٠

٢- فهرس الأحاديث والآثار

الحديث والأثر	الصفحة
أبو بكر الصدّيق إمام الشاكرين، ثم قرأ: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	١١٣
أبو بكر أمين الشاكرين، وتلا هذه الآية: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	١١٣
أبوه الزبير وأمه أسماء وخالته عائشة وجدّه صاحب الغار أبو بكر، وجدّته صفية	٢٠١
أتت امرأةٌ النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيت إن جئتُ ولم أجدكَ؟ كأنها تعني الموت، قال النبي ﷺ: «إن لم تجديني فأتِ أبا بكر	٨٢
أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم	(٢٤٢-٢٤٣)
أُتِيَ النبي ﷺ بمال من البحرين، فقال: «انثروه في المسجد	(٨٤-٨٥)
أخبروني بأشجع الناس	(٢٤٢، ٢٤٣)
آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾	١٣٥
آخر سورة نزلت «براءة»، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾	١٣٥

الحديث والأثر	الصفحة
أصدق كلمةٍ قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل	٢٣٣
أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح يُنْجِز لكم ما وعدكم من الغنى	٢٢٦
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.	١٤٤
أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أوّل من جمع القرآن بين اللوحين	٨٠
افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم علمه	٢٤٩
أقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد	(٦١-٦٢)
اقضوا كما كنتم تقضون، فإنِّي أكره الاختلاف، حتى يكون الناس جماعة، أو أموت على ما مات عليه أصحابي. فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يُروَى عن عليّ الكذب	١٨١
اللهم أعنّي على سكرات الموت	٢٥٢
اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق	٣٠
ألا مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت	٦٣
التمسوا الغنى في الباءة، فقد وعد الله فيها ما وعد	٢٢٦
التمسوا الغنى في النكاح، فإن الله يقول: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾	٢٢٧

الحديث والأثر	الصفحة
رسول الله ﷺ قال: لا نُورث ما تركنا صدقةٌ	
انطلقوا فإنما حملكم الله، وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا أتيتُ الذي هو خير وتحلَّلْتُها	(١٥٥-١٥٦)
إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة	٢٤٩
إنكم ستجدون قومًا مُحَوَّقةً رؤوسُهم فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف	١٩٥
إنما لي أخوات فنزلت آية الفرائض	١٣١
أنه ﷺ تمثّل بكلام غير موزون لسُحيم	٢٣٥
إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، إنما هو الشرك	١٧٠
أنه سُئِل عن الكَلالة؟ فقال: أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله وإن يكن خطأً فمنّي ومن الشيطان	١٢٧
أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أَمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافكَ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	(٢٤٧-٢٤٨)
أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم	٧٠
أنه كان يحلف بالله أن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء الصّدّيق	٢٨
أنه لما توفي النبي ﷺ قام فتوعد مَنْ قال: قد مات بالقتل والقطع، فجاء أبو بكر فقام إلى جنب المنبر	(١٢٠-١٢١)

الحديث والأثر	الصفحة
ثم قضى عمر بن عبد العزيز بنصف الدية، وألغى الذي جعله معاوية في بيت المال فلم يقض لي أن أُذاكر ذلك عمر بن عبد العزيز، فأخبره أن قد كانت الدية تامّة لأهل الذمّة	١٤٥، ١٤٩
جاءت الجَدَّة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئًا	١٣٧
جاءت الجدّتان إلى أبي بكر الصّديق، فأراد أن يجعل السدس للتي من قِبل الأمّ، فقال له رجل من الأنصار: «أمَا إنك تترك التي لو ماتت وهو حيٌّ كان إيّاها يَرِث	١٣٨
جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما ارتفعت الشمس وحلقت في السماء، وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب	(٢١-٢٢)
جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرًا	١٤٣
جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان حين استخلف، فقال: إن رسول الله ﷺ كانت له «فدك»	(١٠٢-١٠٣)
الحُسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى	٢١٠
خذوا عني مناسككم	٥١
خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس فقال: اجلس، فأبى، فقال: اجلس، فأبى، فتشهد أبو بكر فمال الناس إليه وتركوا عمر، فقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت	١١٧

الحديث والأثر	الصفحة
خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنّا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لي	(١٤٢-١٤٣)
خطب أبو بكر الصديق الناسَ، فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾، قال: فصيده ما أُخِذَ منه	١٦١
خطب أبو بكر الناس فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ﴾، قال: طعامه ما قَذَف به	١٦٢
خطبنا أبو بكر فقال:« أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله. وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة	٢١٦
دخل أبو بكر على امرأة من أَحْمَس يُقال لها: زينب بنت المهاجر، فرآها لا تَكَلَّم، فقال: ما لها لا تكلم؟ قالوا: حجّت مُصْمِتَة	(٧٤-٧٥)
دخل أبو بكر بيت المِدْرَاس، فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يُقال له: فِنْحاص	(١٢٢-١٢٣)
دخل على أبي بكر ناسٌ من إخوانه يعودونه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟	٢٥٨
دخلتُ على أبي بكر فقال: في كم كفَنْتم النبي ﷺ؟	٢٥٣
دفع النبي ﷺ الراية يوم بدر إلى عليّ وهو ابن عشرين سنة.	(١٥-١٦)
ديته أربعة آلاف. فقال: إن خير الأمور ما عُرض على كتاب الله. قال الله تعالى: ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾. فإذا أعطيته ثلث الدية فقد سلمتها إليه	١٤٥
دية المُعَاهَد نصف دِية الحر	١٤٦

الحديث والأثر	الصفحة
عن عائشة: «أن أباها كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين، قال أبو بكر: لا أرى يمينًا أرى غيرها خيرًا منها إلا قبلتُ رخصة الله، وفعلتُ الذي هو خير».	١٥٤
غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟	(١٥١-١٥٢)
فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصُحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك	٧٩
فتجهّز -أو كلمة نحوها- ناسٌ من قريش إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال أبو بكر: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: فتصدِّقه بأن يأتي الشامَ في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟ قال أبو بكر: نعم أنا أصدّقه بأبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء، قال أبو سلمة: فبها سُمِّيَ أبو بكر الصّدّيق».	٢١٤
فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا، فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾	٢٢٢
فقلت ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾	١٣١
فكانت هذه الصدقة بيد عليٍّ، منعها عليٌّ عباسًا، فغلبه عليها، ثم كان بيد حسن بن عليّ، ثم بيد حسين بن عليّ، ثم بيد عليّ بن	٩٦

الحديث والأثر	الصفحة
حسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها، ثم بيد زيد بن حسن، وهي صدقة رسول الله ﷺ حقًا.	
فعلمتُ أنه سيكون قتال	٢١٨
فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْك الغِماد لقيه ابن الدَّغِنة وهو سيد القارَة، فقال: أين يا أبا بكر؟	١٥٦
فلما سمع المشركون قول النبي ﷺ أَتَوْا أبا بكر فقالوا له: يا أبا بكر هل لك في صاحبك؟	٢١٣
فمَرَّ بي عدوّ الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟	(٢١٢-٢١٣)
قال أبو قُحافة لأبي بكر: «يا بُني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلتَ ما فعلتَ، أعتقتَ رجالا جُلدًا يمنعوك	٢٦٤
قالت الأنصار: يا رسول الله	٢٠
قال الراوي: فسكت عن الثالثة أو نسيها	٥٩
قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾: هو محمد ﷺ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ هو أبو بكر	٢٣٧
قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقام عمر وقال: أَسَيْفان في غمد	(١٣-١٤)
قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أما أنا فلو كنتُ مكان أبي بكر ﷺ لحكمت بما حكم به أبو بكر في فَدَك».	١٠٠

الحديث والأثر	الصفحة
قال عبد الله بن عباس ﷺ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ قال: على أبي بكر. لأنَّ النَّبي ﷺ لم تزل السكينة معه.	٢٠٢
قال مالك: «ولا ميراث لأحد من الجدّات، إلا للجدّتين: لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ ورّث الجدّة. ثم سأل أبو بكر عن ذلك حتى أتاه الثبت عن رسول الله ﷺ أنه ورّث الجدّة فأنفذه لها. ثم أتت الجدّة الأخرى إلى عمر بن الخطاب، فقال لها: ما أنا بزائد في الفرائض شيئًا. فإن اجتمعتما فهو بينكما. وأيتكما خلت به فهو لها».	١٣٩
قام أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾وإنكم تضعونها على غير موضعها	١٦٧
قبض ورأسه في حجر علي	٣٢
قتل علي ﷺ وهو ابن ثمانٍ وخمسين	١٥
قد بلغنا أن دية المعاهد كانت كدية المسلم، ثم نقصت بعد في آخر الزمان، فجعلت مثل نصف دية المسلم. وإن الله أمر بتسليم دية المعاهد إلى أهله. وجعل معها تحرير رقبة مؤمنة	١٤٨
قد كان لي منكم إخوة وأصدقاء. وإني أبرأ إلى كل خليل من خُلّته	١٩٢
قدمتُ المدينة في خلافة أبي بكر الصّديق، فصلّيتُ وراءه المغرب. فقرأ في الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورةٍ سورة من قصار المفصّل، ثم قام في الثالثة. فدنوتُ منه حتى إن ثيابي لتكاد أن تَمسّ ثيابه	١٠٩

الحديث والأثر	الصفحة
قالت: كان أبغض الحديث إليه	
كاد الخَيِّران أن يهلكا: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما	٢٤٧
كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين أحباء الله، وكان أبو بكر أشكرهم وأحبهم إلى الله	١١٢
كان أبو بكر يقول: الكلالة من لا ولد له ولا والد، قال: وكان عمر يقول: الكلالة من لا ولد له	١٣٧
كان أبو بكر وعمر يجعلان سهم النبي ﷺ في الكُراع والسلاح	١٨٠
كان أبو بكر يبتاع الضَّعَفَة فيُعتقهم، فقال له أبوه أبو قُحافة: يا بني، لو كنتَ تبتاع من يمنع ظهرك؟	٢٦٣
كان بين أبي بكر وعمر محاورة وفيه قول النبي ﷺ : «إن الله ابتعثني إليكم فقلتم جميعًا كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله: فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟! فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟»	١٦
كان الخمس أحبَ إليهم من الربع، والربع أحبَّ إليهم من الثلث	١٧٧
كان رجلان من الأعراب مُحرِمان فأحاشَ أحدهما ظَبيًا، فقتله الآخر، فأتيا عمر بن الخطاب، وعنده عبد الرحمن بن عوف فقال له عمر: ما ترى؟	١٦٠
كان رسول الله يتمثَّل بقول العبَّاس بن مرداس: أتجعل نهبي ونهب العُبَيْد ... بين الأقرع وعُيَيْنَة، قالوا: يا رسول الله إنما قال: بين عيينة والأقرع، فأعادها فقال: «بين الأقرع وعيينة»، فقام أبو بكر فقبَّل رأسه وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾	٢٣٥

الحديث والأثر	الصفحة
كان فارس ظاهرًا على الروم. وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم	(٢٣٠-٢٣١)
كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أصحاب أوثان	(٢٢٨-٢٢٩)
كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما مات نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي	٤١.٤٧
كنتُ في الجيش الذين وجّهَهم أبو بكر الصّدِّيق، وفي عهده إلى الناس حين وجّهَهم إلى الشام	١٩٨
كنتُ مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين	٢٠٠
الكَلالة: من لا وَلَد له ولا والد	١٣٧
الكلالة من ليس له ولد ولا والد	١٣٦
كلوا الطافي من السمك	١٦٥
كلوا واشربوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة	١٤٧
كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته	١٢٥
إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته	٥٠
كنت عند النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر ألا أُقْرِؤُك آية نزلت عليَّ؟	١٥١
كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني حتى نزلت آية الميراث	١٣١

الحديث والأثر	الصفحة
لو شاء الله لجعل الأمر كله إلى الأنبياء. لكنه جعله إلى الأمراء والأنبياء معهم	٤٨
لو كنت متخذًا خليلًا	١١٥
لو كنت متخذًا خليلًا غير ربي	١٠
لو كنت متخذًا من هذه الأمة خليلًا لاتخذته، ولكن خُلّة الإسلام أفضل، أو قال: خير	١٣٩
لو لم يفعل عثمان ذلك لفعلته أنا	٨٠
لو منعوني ولو عِقالًا أعطوه رسول الله ﷺ: لجاهدتهم	١٢١
ليست اليوم المؤلفة قلوبهم. إنما كان رجال يتألّفهم النبي ﷺ	٢٠٧
ما أعرف أحدًا من هذه الأمة عَبَد الله بعد نبيها ﷺ غيري، عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين	٢٣
ما ألقَى البحر أو جَزَر عنه فكلوه، وما مات وطفى فلا تأكلوه	١٦٦
ما الأبّ؟، قال ابن عباس: الأبّ: ما يَعتَلِف منه الدّواب، قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال ابن عباس: نعم أما سمعت قول الشاعر: تَرَى الأبَّ واليقطينَ مختلطًا على الشريعةِ يجري تحتها الغَرَبُ	٢٥٦
مات رسول الله ﷺ ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي	٣٠
مات ورأسه في حجر عليّ	(٣٢-٣٣)
ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله	٤٤

الحديث والأثر	الصفحة
واراساه. فقال رسول الله ﷺ: بل أنا واراساه	٥٦
واراساه. فقال رسول الله ﷺ: ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك	(٥٧، ٥٨)
والله لا أنزعها منه أبدًا	٢٢٣، ٢٢٥
والله لَأَنْ يلجّ أحدكم بيمينه في أهله آثَمُ له عند الله من أن يعطي كفّارته التي افترض الله عليه	١٥٥
والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ	٢٢٠
وأم مِسْطَح هي ابنة أبي رُهْم بن عبد مناف، وأمّها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق	(٢٢٤-٢٢٥)
وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة	(٦٤-٦٥)
وإني والله لا أدع أمرًا كان يصنعه فيه رسول الله ﷺ ألا صنعته	٩٩
وددت أن يكون ذلك وأنا حي، فأصلي عليك وأدعو لك	١١٨
والذي جاء بالصدق: القرآن، وصَدّق به: المؤمن يجيء يوم القيامة يقول: هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه	٢٣٨
وسألت أبا بكر عما قيل من بيعتهم فقال وهو يحدث عما تكلمت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم عمر بن الخطاب به الأنصار وما ذكَّرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه فبايعوني	(٦٧-٦٨)
وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وَجِلَتْ منها القلوب، وذَرَفَتْ منها العيون	١١٠
وقال عمر: صيده ما اصطيد، وطعامه ما رمى به، وقال أبو بكر: الطافي حلال، وقال ابن عباس: طعامه: ميتته.	١٦٥

٣- قائمة المصادر والمراجع

- الأحاديث المختارة، الحافظ ضياء الدين المقدسي، تحقيق: د. عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي ٢٠٠٨م.
- إتحاف المهرة الخيرة بالفوائد المبتكرة من المسانيد العشرة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. زهير الناصر ١٤١٥هـ
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م.
- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط. الثانية، مصر، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٨م.
- أحكام القرآن، للإمام الشافعي، استخرجها أبو بكر البيهقي، حققه الشيخ عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
- الأدب المفرد، الإمام البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر، الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي محمد عوض، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير الجزري، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٩٧م.
- الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، لأبي عبد الله القرطبي، دار المعارف، بيروت ١٩٩٥م.

- اشتقاق أسماء الله الحسنى، لأبي القاسم الزجاجي. تحقيق: د. عبد المحسن المبارك. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م.
- أصول السنة، عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: عبد الله الغفيلي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد ٢٠٠١م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ
- إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- إعلام السائلين بكتب سيد المرسلين، محمد بن طولون، حققه: محمود الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مؤسسة دار الشعب، الطبعة الأولى.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت دار المعرفة.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور ناصر العقل، الطبعة الثامنة، مكتبة الرشد ٢٠٠٠م.
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى الكلاعي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى، تحقيق: يحي إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الوفاء ١٩٩٨م.

- الأم. محمد بن إدريس الشافعي. تحقيق: رفعت فوزي، الطبعة الأولى، دار الوفاء ٢٠٠١م.
- إمتاع الأسماع، للمقريزي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٨م.
- الأمالي، أبو علي القالي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثالثة.
- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: الدكتور محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٥م.
- الأموال، لابن زنجويه، تحقيق: الدكتور شاكر ذيب الخوالدة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
- الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني. تحقيق: سيد أحمد صقر. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريّ شهري، طهران، دار الحديث ١٣٧٥هـ
- الإيمان الأوسط، شرح حديث جبريل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، الرياض.
- البارع، لأبي علي القالي، تحقيق: هشام الطحان، بيروت ١٩٧٤م.
- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، أبو بكر البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم ١٩٨٨م.
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير. تحقيق: عبد الله التركي. دار هجر ١٩٩٩م.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، بيروت دار المعرفة، بدون تاريخ.
- البرهان في متشابه القرآن، محمود بن حمزة الكرماني. تحقيق: أحمد عز الدين خلف الله، دار الوفاء للطباعة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

- بغية الباحث عن زوائد الحارث، علي بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسين الباكري، الجامعة الإسلامية ١٩٩٢م.
- بغية المرتاد، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور موسى الدويش، دار العلوم والحكم ١٩٩٥م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م.
- تاريخ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٦هـ
- التاريخ الأوسط. محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: مجد الدين العمري، دار الفكر بيروت ١٩٩٥م.
- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تثبيت دلائل النبوة، عبد الجبار بن أحمد الهمداني، حققه: الدكتور عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة.

- التحبير في علم التفسير، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فتحي عبد القادر فريد، دار المنار، القاهرة ١٩٨٦م.
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع ١٩٨٨م.
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الراغب الأصبهاني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- التعريفات، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: الدكتورعبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: الشيخ أبي إسحاق الحويني.
- تفسير ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- تفسير ابن سعدي، دار المدني بجدة ١٩٨٨م.
- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ١٤٢٩هـ
- التنبيه والإشراف، للمسعودي، تحقيق: يارون روزن، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.
- تلخيص الذهبي على مستدرك الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تهذيب الأخلاق، لأحمد بن مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد، دار الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: خليل شيحا وزميليه، دار المؤيد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ
- تهذيب اللغة للأزهري، بيروت، دار المعرفة ٢٠٠١م.

- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون. الدار العربية للطباعة ١٩٦٤م.
- التوفيق للتلفيق، للثعالبي، تحقيق: هلال ناجي، والدكتور زهير زاهد، بغداد ١٩٨٥م.
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، تصحيح: أوتوبرتزل، اسطنبول، الطبعة الأولى.
- الثقات، محمد بن حبان، الطبعة الأولى، الهند ١٩٧٣م.
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، خير الدين الألوسي، دار المدني، جدة.
- جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- جامع التفاسير، الراغب الأصبهاني، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحات، دار الدعوة ، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
- الجامع الصحيح، للإمام مسلم، تحقيق: الدكتور موسى لاشين وأحمد عمر هاشم، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
- الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر.
- الجامع الصحيح ، للإمام البخاري، دار السلام. الرياض ١٩٩٩م.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مؤسسة الرسالة بيروت ٢٠٠٦م.
- جامع المسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد ١٤٢٢هـ
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه يوسف شاهين. دار القلم، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
- الجمان في تشبيهات القرآن، ابن ناقيا البغدادي، تحقيق: عدنان زرزور، والدكتور محمد الداية، المطبعة العصرية، بالكويت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

- الجماهر في معرفة الجواهر، للبيروني، حققه: سالم الكرنكوي، حيدر آباد، الدكن بالهند ١٩٧٠م.
- الجمل للزجاجي، تحقيق: ابن أبي شنب، باريس ١٩٥٧م.
- جمهرة أشعار العرب. محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: الدكتور محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
- جمهرة اللغة. لأبي بكر بن دريد، تحقيق: كرنكو. حيدر آباد الدكن، ١٣٥١م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: الدكتور علي بن حسن بن ناصر، والدكتور عبد العزيز العسكر، والدكتور حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
- الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، أبو البركات خير الدين الآلوسي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، القاهرة ١٩٨٧م، الطبعة الأولى.
- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق: عبد العالم سالم مكرم، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٩٨١م.
- الحروف، لأبي نصر الفارابي، سلسلة الفارابي الفلسفية، باعتناء: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٧٦م.
- حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: أحمد رشاد سالم، جامعة الإمام.
- الدعوات والفصول، لعلي بن أحمد الواحدي، المنسوب خطأ للثعالبي، تحت

عنوان: تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا، تحقيق: عادل فريحات، نور للطباعة والنشر. دمشق. الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

- دلائل النبوة، علي بن محمد الماوردي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١م.
- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: مختار الندوي، الهند، الدار السلفية ١٩٨٩م.
- ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ١٩٨٨م.
- ديوان المتنبي، تحيح: عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والنشر، القاهرة.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة. الراغب الأصبهاني، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- الرد على الزنادة والجهمية، الإمام أحمد بن حنبل، نشره قصي محب الدين الخطيب ١٣٩٩هـ
- الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة.
- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- الروض الأنف، للسهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، الطبعة الأولى، دار النصر. مصر ١٩٧٦م.
- الروض الأنيق في إثبات إمامة الصّدّيق، محمد بن حاتم بن زنجويه البخاري، رسالة ماجستير.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشر ١٩٨٦م.

- زوائد المسند، للإمام عبد الله بن الإمام أحمد، تحقيق: زياد منصور، بيروت ٢٠٠٥م.
- السامي في الأسامي، للميداني، تحقيق: الدكتور عبد الله سلوم السامرائي، بغداد ١٩٧٢م.
- سبل الهدي والرشاد، للصالحي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م.
- سرائر أسرار النطقاء، جعفر بن منصور اليمن، دار الأندلس، بيروت ١٩٩٨م.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المكتبة العربية.
- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- السنن الكبرى، للبيهقي، دار المعرفة بيروت.
- سنن النسائي بحاشية السندي، تحقيق التراث الإسلامي، بيروت ١٤٢٠هـ.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الكنوز الأدبية، القاهرة ١٩٨٨م.
- السيرة النبوية، الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، الرسالة ١٩٩٧م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، بيروت، بدون تاريخ.
- الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، لمحمد بن طولون الدمشقي، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.
- شرح حديث أبي بكر، شيخ الإسلام ابن تيمية، حققه: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف ٢٠٠٢م.

- شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتب العلمية.
- شرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.
- شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
- الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٣٩٢هـ
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٥م.
- الشكوى والعتاب، المنسوب للثعالبي، تحقيق: د. إلهام المفتي، دار الصحابة، طنطا ١٩٩٢م.
- الشوارد أو ما تفرد به بعض أئمة اللغة، الحسن الصغاني، تحقيق: مصطفى حجازي، الهيئة العامة لشؤون الطباعة، القاهرة ١٩٨٣م.
- الصاحبي، أحمد بن فارس، تحقيق: الشيخ أحمد صقر، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان، خرجه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢م.
- الضوء اللامع للسخاوي، مكتبة القدس، القاهرة.

- طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، تحقيق: حياة العيو بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.
- طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٩٥٤م، القاهرة.
- طبقات النحاة واللغويين، لابن قاضي شهبة، تحقيق: محسن غياص، بغداد ١٩٧٤م.
- غريب القرآن وتفسيره، عبد الله بن يحي اليزيدي، تحقيق: محمد سليم حاج، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
- فضائل الصحابة للإمام أحمد، تحقيق وصي الله عباس، دار ابن الجوزاء ، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ
- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف المغربية ١٩٩٥م.
- فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨هـ
- فتوح البلدان، للبلاذري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.
- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- فنون الأفنان، لابن الجوزي، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

- الفهرست، لابن النديم، تحقيق: هامت ريتر، ألمانيا ٢٠٠٠م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر ١٩٩٢م.
- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، لابن الطيب الفاسي، تحقيق: الدكتور محمود فجّال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٧٧م.
- قيام الليل، محمد بن نصر المروزي، حديث أكاديمي، حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، دار الفكر، بيروت.
- كتاب سيبويه، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، الطبعة الأولى ١٣١٦هـ
- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، حيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية.
- الكشاف، جار الله الزمخشري، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٩٧٢م.
- الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، لنور الدين علي بن الحسين الباقولي، تحقيق: الدكتور عبد القادر عبد الرحمن السعدي، دار عمار، عمّان، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.
- الكناية والتعريض، للثعالبي، تحقيق: أسامة البحيري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت ٢٠٠٣م.
- لسان الميزان، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.

- العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم: عبد الرحمن الباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، لابن الملقن تحقيق: عبد الله بحر الدين، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
- اللمع في التصوف، عبد الله بن علي الطوسي، شركة القدس للنشر، القاهرة ١٤٢٩هـ
- ما وقع في القرآن من الظاء، لأبي الربيع السرقوسي، تحقيق: الدكتور علي حسن البواب، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٠م.
- المبهج، للثعالبي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: فؤاد سزكين، مطبعة السعادة ١٩٥٤م.
- مجالس العلماء، للزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٩٥٦م.
- المجرد في غريب كلام العرب، لأبي الحسن الهنائي، تحقيق: الدكتور محمد بن أحمد العمري، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- مجمع الزوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.
- المجروحين لابن حبان، تحقيق: محمد إبراهيم زايد. دار المعرفة ١٩٩٢م.
- المحرر الوجيز. لابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس ١٩٩٢م.
- المحلى. علي بن حزم الأندلسي. تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية. بيروت.
- المخصص، لابن سيدة، طبعة بولاق ١٣٢١هـ

- مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٢م.
- المدخل لعلم تفسير كتاب الله، لأبي نصر الحدادي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- المزهر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي.
- المسلسل في غريب لغة العرب، محمد بن يوسف التميمي، حققه: محمد عبد الجواد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٧م.
- مسند أبي داود الطيالسي ١٣٢١هـ، دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، الهند.
- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، الطبعة الأولى مؤسسة علوم القرآن ١٩٨٨م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ١٩٩٩م.
- المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، تحقيق: آرثرجفري، الدار الرحمانية بمصر، الطبعة الأولى ١٩٣٦م.
- المصباح المضيء، لابن حُدَيدة الأنصاري، صححه: محمد عظيم الدين، عالم الكتب.
- المصنف، عبد الرزاق بن همام، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، بيروت منشورات المجلس العلمي ١٩٧٢م.
- المصنف لابن أبي شيبة، دار الكتب الثقافية.
- معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، الطبعة الأولى.

- معاني القرآن، للفراء، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار المأمون، القاهرة ١٩٧٦م.
- المعجم الكبير للطبراني، حققه: حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي ٢٠٠٢م.
- معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، للجواليقي، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، القاهرة ١٣٦١هـ
- المغرب في ترتيب المعرب، ناصر الدين المطرزي، حققه: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.
- مفردات القرآن الأجنبية، آرثرجفري، الدار الرحمانية بمصر ١٩٤٠م.
- المفضليات، للضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، البابي الحلبي ١٩٦٦م.
- المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، مكتبة القرآن، بولاق، القاهرة.
- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.
- الممتع في التصريف، لأبي الحسن بن عصفور الإشبيلي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، المطبعة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

- منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.
- مناقب آل البيت لأبي الحسن ابن المغازلي، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، طهران الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
- المفردات للراغب الأصبهاني، دار الفكر العربي، بيروت.
- مقدمة ابن خلدون، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠١١م.
- مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: السيد صقر، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ
- المنتخب من أشعار العرب، المنسوب للثعالبي، تحقيق: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخاني، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، للسيوطي، تحقيق: التهامي الراجحي الهاشمي، مطبعة فضالة.
- الموطأ، مالك بن أنس، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- نسب قريش لمصعب الزبيري، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف الطبعة الرابعة.
- اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ، لمحمد بن محمد الخيضيري، تحقيق: د. محمد الأمين المولود الجكني، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ
- المواهب اللدنية، للقسطلاني أحمد بن محمد، تحقيق: صالح الشافي، المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
- المناقب والمثالب أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، تحقيق ماجد أحمد العطية الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، مؤسسة الأعلى للمطبوعات.
- المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، للزمخشري محمود بن

عمر، تحقيق سيد إبراهيم صادق، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠١م.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.
- محاسن الكلم، للمبشر بن فاتك، الدار الفلسفية، بيروت ١٩٩٧م.
- مسند الصّديق، للحافظ إسماعيل بن كثير، تحقيق: غالية بنت سالم آل سعيد، مكتبة الوراق العامة، سلطنة عمان ١٤٤٠هـ
- موسوعة التفسير المأثور، دار ابن حزم ومعهد الشاطبي ١٤٣٩هـ
- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز، لأبي بكر بن عُزيز السجستاني، تحقيق: الدكتور يوسف المرعشلي، من مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية ٢٠١٣م.
- النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير الجزري، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ
- وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٧م.

٤- فهرس الموضوعات

